الهدي النَّبويُّ للنَّجاةِ في الفِتَن

تأليف
الأستاذة الدكتورة
حصَّة عبد العزيز محمَّد السويدي
أستاذة الحديث وعلومه – جامعة قطر
كلية الشريعة والدراسات الإسلامية
halsowaidi@qu.edu.qa

ملخص البحث

تخيِّم على المجتمع المسلم حالةٌ من التوتر والقلق، نتيجةَ الأحداث المتلاحقة المتسارعة، التي تحدُث حولَه من حروبٍ، وقلاقلَ، وأمراض، ومشكلات، فبِتنا نرانا نلتمس إجابات عن هذه الأحداث، تارةً بما يُعرَض في التلفزة وبعض القنوات الفضائية على لسان خبراءَ يتحدثون حول هذا الموضوع أو ذاك، وتارةً بالبحث في الشبكة العنكبوتية (الإنترنت) ومواقع التواصل الاجتماعي، وأخرى ثالثةً بسؤالنا من حولَنا من أهل مجتمعنا.

ورغم ما وصل إليه التطور والتكنولوجيا في كثيرٍ من الدول العربية والإسلامية، إلا أن المسلم ما زال يعاني كثيرًا من حالات الخوف والفزع، وعدم الشعور بالأمن على نفسه ولا على ممتلكاته، فهو لطالما يظل يطرح هذا التساؤل: **ماذا نفعل في مثل هذه الظروف؟**

إنّ تحذيرَ الناس من الفتن لا يكفي، بل من الواجب توضيحُ سبيل النجاة لهم والخلاص منها، وهذا ما تحاول المؤلفة، بفضل اللَّه وتوفيقه، أن تتناوله بالبحث والإجابة فيه عن هذا السؤال، باستقرائها كتابَ ربنا وسنة نبيِّنا الهادي محمد ﷺ.

إن المعوَّل عليهم عندئذٍ هم «العلماء»، الذين يبصِّرون الناس بالحقائق، ويبيِّنون لهم الصواب؛ ذلك أنهم أدرى الناس بمواقع الفتن وكيفية المخرج منها، وذلك لِما فقُهوا واستأنسوا من حديث رسول اللَّه ﷺ.

يتحدث البحث عن الأساليب التي ذكرها النبيُّ ﷺ لنجاة المسلم من الفتن، ليتحقق للمسلم المستقرُّ الاجتماعي والأمن النفسي اللذانِ يسعى إليهما.

منهج البحث: يبدأ بمقدمة: تعرِّف بمعنى الفتنة وأنواعها، **ثم بعرضٍ لطرق اجتناب الفتن**

ثم بشرح معاني الكلمات الغريبة.

ثم بإلحاق الأحاديث النبوية آراءَ السادة العلماء وأحكامهم.

ثم بالخاتمة: التي أوجزت فيها المؤلفة أهمَّ النتائج والتوصيات التي استطاعت التوصل إليها.

ثم بفهارِس أربعة، أول: للآيات القرآنية، وثان للأحاديث النبوية والآثار، وثالثٍ للمصادر والمراجع. ورابع للموضوعات.

الكلمات المفتاحية: الفتن، النجاة ، الدعاء، الصبر

The Prophet's guidance in surviving sedition

Hissa Abdulaziz Al-Suwaidi
Department of Hadith and Science
Faculty of Sharia and Islamic Studies - Qatar University
halsowaidi@qu.edu.qa

Abstract:

The Muslim community is in a state of tension and anxiety, as a result of successive and accelerated events, which are taking place around it, such as wars, unrest, diseases and problems.

Despite the development and technology of many Arab and Muslim countries, Muslims continue to suffer a lot from fear and panic, and a lack of security on themselves or on their property, it always begs this question: What do we do in such circumstances?

Warning people against sedition is not enough, but it is necessary to clarify the way to survive for them and to get rid of them, and this is what the author, thanks to God and his reconciliation, tries to address by searching and answering this question, by extrapolating the Book of Our Lord and the Year of our Prophet Al-Hadi Muhammad (pbuh).

The dependants are the "scholars", who see the facts and show them the right thing, because they know the sites of sedition and how to get out of them, because they understand and forget the hadith of the Messenger of God.

The search speaks of the methods mentioned by the Prophet to save the Muslim from strife, in order to achieve the stable Muslim

social and psychological security that he seeks.

Research approach: Begins with an introduction: you know the meaning of sedition and its types, and then a presentation of ways to avoid sedition

Then explain the meaning of strange words.

Then by attaching prophetic hadiths to the opinions and judgments of the scholars.

Then with the conclusion: in which the author outlined the most important findings and recommendations she was able to reach.

Then with four indexes, one for Qur'anic verses, two for prophetic hadiths and relics, and a third for sources and references.

Keywords: sedition, survival, prayer, patience.

بسم اللَّه الرَّحمن الرَّحيم

مقدمة

الحمدُ للَّه السميع العليم، الذي لا تخفى عليه سرائر النفس وما تُخفي الصدور من خفيّاتٍ كامنة غائبة، الخبير الحكيم، الذي شرع من الهُدى ما يصلح به أحوال الخلق في هذه الدنيا وفي الآخرة والعاقبة: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ [الشورى: ١٣]، نحمده سبحانه، خلق الخلق وحفَّهم بصنوف البلايا والمحن واختبرهم بفروع الشبهات والفتن، ليعلم أيَّهم أنصع رَشَدًا وأقوى صبرًا وجلَدًا على ما أصابه ؛ والصلاة والسلام على النبيِّ الهادي الأمين، المبعوث فينا خاصةً ولكنْ رحمةً للعالمين، والراسخ فينا نهجُه واضحًا محجّةً بيضاء تمحو ظلام الفتنة والإشكال في الحال والمآل، لمن أراد اتباعه وقد بيَّنه للأمم أحسنَ تبيين، سيدِنا محمد، الذي أرشد وعلَّم، وقال وهَدى فتمَّم:« مَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ مِنْ الْهُدَى وَالْعِلْمِ كَمَثَلِ الْغَيْثِ الْكَثِيرِ أَصَابَ أَرْضًا فَكَانَ مِنْهَا نَقِيَّةٌ قَبِلَتْ الْمَاءَ فَأَنْبَتَتْ الْكَلَأَ وَالْعُشْبَ الْكَثِيرَ وَكَانَتْ مِنْهَا أَجَادِبُ أَمْسَكَتْ الْمَاءَ فَنَفَعَ اللَّهُ بِهَا النَّاسَ فَشَرِبُوا وَسَقَوْا وَزَرَعُوا وَأَصَابَتْ مِنْهَا طَائِفَةً أُخْرَى إِنَّمَا هِيَ قِيعَانٌ لَا تُمْسِكُ مَاءً وَلَا تُنْبِتُ كَلَأً فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ فَقُهَ فِي دِينِ اللَّهِ وَنَفَعَهُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ فَعَلِمَ وَعَلَّمَ وَمَثَلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسًا وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللَّهِ الَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ»[(١)]، صلى اللَّه عليه وعلى آله وصحبه أجمعين وسلَّم وشرَّف وعظَّم.

وبعدُ،

فقد تخيِّم على المجتمع المسلم حالةٌ من التوتر والقلق، نتيجةَ الأحداث المتلاحقة

(١) أخرجه البخاري، محمد بن إسماعيل، في الصحيح الجامع واللفظ له في كتاب العلم، باب: فضل من علم وعلَّم، بيروت، دار طوق النجاة، ط١/ ١٤٢٢هـ، وأخرجه مسلم، ابن الحجاج، في المسند الصحيح، كتاب الفضائل، باب: بيان مثل ما بعث به النبي ـ ﷺ ـ من الهدى والعلم، بيروت، دار إحياء التراث العربي (بدون تاريخ) برقم ٢٢٨٢. الحكم على الحديث: صحيح.

المتسارعة، التي تحدُث حولَه من حروبٍ، وقلاقلَ، وأمراض، ومشكلات، فبِتنا نرانا نلتمس إجابات عن هذه الأحداث، تارةً بما يُعرَض في التلفزة وبعض القنوات الفضائية على لسان خبراءَ يتحدثون حول هذا الموضوع أو ذاك، وتارةً بالبحث في الشبكة العنكبوتية (الإنترنت) ومواقع التواصل الاجتماعي، وأخرى ثالثةً بسؤالنا مَنْ حَوْلَنا من أهل مجتمعنا.

ورغم ما وصل إليه التطور والتكنولوجيا في كثيرٍ من الدول العربية والإسلامية، إلا أن المسلم ما زال يعاني كثيرًا من حالات الخوف والفزع، وعدم الشعور بالأمن على نفسه وعلى ممتلكاته، فهو لطالما يظل يطرح هذا التساؤل: **ماذا نفعل في مثل هذه الظروف؟**

والغالب على المسلم في هذه القضيَّة قضية الفتن أن ترتسم في نفسه ومخيلته صورةٌ إسلاميَّةٌ أخباريَّةٌ تحذيريَّةٌ تخويفيَّة لتبصِّره السبيل، صورةٌ حدُّها حدُّ التحذير فقط، مشفوعةً بِنِتَفٍ من نصوص وأخبار عن القادمات من الفتن في علم الغيب، ثم لا تزيدك تلك الصورة شيئًا غير التحذير.

إنّ تحذيرَ الناس من الفتن لا يكفي، بل من الواجب توضيحُ سبيل النجاة لهم والخلاص منها، وهذا ما تحاول المؤلفة، بفضل اللَّه وتوفيقه، أن تتناوله بالبحث والإجابة فيه عن هذا السؤال، باستقرائها كتابَ ربنا وسُنَّةَ نبيِّنا الهادي محمدٍ ـ ﷺ ـ.

ولما كان المسلم بفطرته يعلم أن هذه الدنيا ما هي إلا دولٌ وأزمان تتقلب وتطوى بيد اللَّه سبحانه ومشيئته، كان فطريًّا أن يستخبر المسلم عن شأنها أو يستقرئ الأخبار والآثار المنبئة به، ثم لا يتوقف بل يسأل: فما الشأن الواقع بعد ذلك وماذا أصنع؟

ولا غروَ، فقد سبقنا الصحابةُ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ـ بسؤال النبيِّ ـ ﷺ ـ مَاذَا يَفْعَلُونَ خِلَالَ الْفِتَنِ، كَقَوْلِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمْرو بن العاص ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ـ: فكَيْفَ نَصْنَعُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِذَا كَانَ ذَلِكَ؟[1] أَوْ سُؤَالُ حُذَيْفَةَ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ: كَيْفَ أَصْنَعُ يَا رَسُولَ

(١) أخرجه أحمد، أبو عبداللَّه أحمد بن حنبل في المسند، واللفظ له، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط١/ ٢٠٠١م، =

اللَّهِ إِنْ أدركتُ ذلك؟[١] و(فَمَا تَأْمُرُنَا يَا

رَسُولَ اللَّهِ؟)[٢] و(كَيْفَ تَأْمُرُ مَنْ أَدْرَكَ مِنَّا ذَلِكَ)[٣] فيجيبُهم رسولُ اللَّه ـ ﷺ ـ ويخبرهم بما يكون؛ لأنهم ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ـ كانوا يعلمون أن من سنّة اللَّه في الكون أن الحال التي يعيشونها معه ـ ﷺ ـ في حياته وهو بين ظهرانِيهم لن تدوم، لذلك كانوا يسألونه ـ ﷺ ـ وهم يتطلعون إلى معرفة ما يكون بعدُ، وإلى الموقف السليم الذي يواجهون به التغيراتِ المحيطةَ المرتقَبة.

فهذا حُذيفةُ رضي اللَّه عنه يقول: كَانَ النَّاسُ يَسْأَلُونَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنْ الْخَيْرِ وَكُنْتُ أَسْأَلُهُ عَنْ الشَّرِّ مَخَافَةَ أَنْ يُدْرِكَنِي فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّا كُنَّا فِي جَاهِلِيَّةٍ وَشَرٍّ

= ج١١/ ٦٣٤، والحاكم أبو عبد اللَّه محمد بن عبد اللَّه بن محمد بن حمدويه، في المستدرك على الصحيحين، ج٤/ ٤٨١كتاب الفتن والملاحم، وصححه ووافقه الذهبي، وأخرجه مسلم بنحوه في صحيحه في باب طاعة الأمراء، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١/ ١٩٩٠م، ج٤/ ٤٨١، وأخرج نحوه ابن أبي شيبة، أبو بكر عبداللَّه بن محمد، في المصنف في الأحاديث والآثار، الرياض، مكتبة الرشد، ط١/ ١٤٠٩ه، ج٧/ ٤٦٤، الحكم على الحديث: إسناده صحيح، رجاله ثقات، قال البوصيري أبو العباس شهاب الدين في إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة، ٨/ ٥٤: رواه أبو بكر بن أبي شيبة بإسناد حسن. الرياض، دار الوطن للنشر، ط١/ ١٩٩٥م، وصححه الألباني، ناصر الدين، في سلسلة الأحاديث الصحيحة، الرياض، مكتبة المعارف، ١٩٩٥م، ج١/ ٣٦٧ برقم ٢٠٥.

(١) أخرجه مسلم في صحيحه في باب: الأمر بلزوم الجماعة عند ظهور الفتن برقم ١٨٤٧، وأخرجه الحاكم في المستدرك وصحّحه هو والذهبي، ج٤/ ٥٤٧ كتاب الفتن والملاحم. الحكم على الحديث: صحيح.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه واللفظ له في كتاب الفتن، باب قول النبي ـ ﷺ ـ: «سترون بعدي أثرة»، وأبو داود، سليمان بن الأشعث، في السنن، ك ذكر الفتن، باب: النهي عن السعي في الفتنة، برقم٤٢٦٢، وسكت عنه، والترمذي، محمد بن عيسى، في الجامع الكبير، ك الفتن، باب: الأثرة، برقم٢١٩٠، وقال: حديث حسن صحيح، وأحمد، في المسند، ج١٠ ص٣٠. الحكم على الحديث: صحيح.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه واللفظ له في باب في طاعة الأمراء برقم ١٨٤٣، وأخرجه البخاري في صحيحه في باب قول النبي ـ ﷺ ـ سترون بعدي أثرة، وأخرجه أحمد في المسند ٧/ ١٩٦ وأخرجه الترمذي في السنن باب في الأثرة برقم ٢١٩٠ وقال: حديث حسن صحيح. الحكم على الحديث: صحيح.

فَجَاءَنَا اللَّهُ بِهَذَا الْخَيْرِ فَهَلْ بَعْدَ هَذَا الْخَيْرِ مِنْ شَرٍّ قَالَ ـ ﷺ ـ: «نعم. قُلْتُ وَهَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الشَّرِّ مِنْ خَيْرٍ قَالَ نَعَمْ وَفِيهِ دَخَنٌ قُلْتُ وَمَا دَخَنُهُ قَالَ قَوْمٌ يَهْدُونَ بِغَيْرِ هَدْيِي تَعْرِفُ مِنْهُمْ وَتُنْكِرُ قُلْتُ فَهَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الْخَيْرِ مِنْ شَرٍّ قَالَ نَعَمْ دُعَاةٌ إِلَى أَبْوَابِ جَهَنَّمَ مَنْ أَجَابَهُمْ إِلَيْهَا قَذَفُوهُ فِيهَا قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ صِفْهُمْ لَنَا فَقَالَ هُمْ مِنْ جِلْدَتِنَا وَيَتَكَلَّمُونَ بِأَلْسِنَتِنَا قُلْتُ فَمَا تَأْمُرُنِي إِنْ أَدْرَكَنِي ذَلِكَ قَالَ تَلْزَمُ جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ وَإِمَامَهُمْ قُلْتُ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ جَمَاعَةٌ وَلَا إِمَامٌ قَالَ فَاعْتَزِلْ تِلْكَ الْفِرَقَ كُلَّهَا وَلَوْ أَنْ تَعَضَّ بِأَصْلِ شَجَرَةٍ حَتَّى يُدْرِكَكَ الْمَوْتُ وَأَنْتَ عَلَى ذَلِكَ الحديث[1].

فلقد خالف حذيفةُ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ غيره، فلم يسأل عن الخير، بل يسأل عن أسباب الشر والفتن، مخافة أن تتداوله الأيام فتدركه الفتن وتهدد أمنه، وهو القائل: تعلَّم أصحابي الخير وتعلَّمتُ الشر[2].

وكان النبيُّ ـ ﷺ ـ هو الباعثَ لهم على السؤال وطلب خبر السماء وما يكون من خير أو شر؛ فقال: « « إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ نَبِىٌّ قَبْلِي إِلاَّ كَانَ حَقًّا عَلَيْهِ أَنْ يَدُلَّ أُمَّتَهُ عَلَى خَيْرِ مَا يَعْلَمُهُ لَهُمْ وَيُنْذِرَهُمْ شَرَّ مَا يَعْلَمُهُ لَهُمْ...» الحديث[3].

(١) أخرجه البخاري في صحيحه واللفظ له، ك المناقب، باب: علامات النبوة في الإسلام، وفي ك الفتن، باب: كيف الأمر إذا لم تكن جماعة، ومسلم في صحيحه في باب الأمر بلزوم الجماعة، ٣/ ١٤٧٥، وأبو داود في السنن، باب ذكر الفتن برقم ٤٢٤٤ وسكت عنه، وأحمد في المسند ٣٨/ ٣٥٣، والنسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب، في السنن الكبرى، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط١/ ٢٠٠١م، ج٧/ ٢٦٥، وأخرجه الحاكم في المستدرك ١/ ١٩٧ برقم ٣٨٦، في كتاب العلم، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي. الحكم على الحديث: صحيح.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، باب علامات النبوة في الإسلام. الحكم على الحديث: صحيح.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه واللفظ له في كتاب الإمارة، باب: الأمر بالوفاء ببيعة الخلفاء الأول فالأول برقم (١٨٤٤). وأخرجه أحمد في المسند ج١١/ ٤٠٠، وأخرجه ابن ماجه، أبو عبداللَّه محمد بن يزيد، في السنن، باب ما يكون من الفتن، القاهرة، دار إحياء الكتب العربية، برقم ٣٩٥٦، بدون تاريخ. وأخرجه النسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب في السنن، باب ذكر من بايع الإمام، حلب، المطبوعات الإسلامية، ط٢/ ١٩٨٦، ج٧/ ١٥٢. الحكم على الحديث: صحيح.

الباعث على اختيار موضوع البحث:

عندما يحزُب المسلمين أمرٌ، وتأتي الفتن من كل مكان، يتشوَّش المسلم، فلا يدري وجه الحق، ولا أين يتجه، فالمعوَّل عليهم عندئذٍ هم «العلماء»، الذين يبصِّرون الناس بالحقائق، ويبيِّنون لهم الصواب؛ ذلك أنهم أدرى الناس بمواقع الفتن وكيفية المخرج منها، وذلك لِما فقُهوا واستأنسوا من حديث رسول اللَّه ـ ﷺ ـ.

فلا بد إذًا أن يقوم العلماء والدعاة بتبصير الناس، فإن هذه مهمتهم، وهي الأمانة التي نيطت في أعناقهم(١)، قال اللَّه تعالى: ﴿لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ﴾ [آل عمران: ١٨٧]، فلقد أوجب اللَّهُ تعالى على عباده الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، بل جعله سبحانه مع الإيمان ركنين من خيريَّة هذه الأمة؛ لأن من صفات المؤمنين أنهم يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، وجعل النبيُّ ـ ﷺ ـ أضعف الإيمان أنْ يُنْكِرَ الْمُسْلِمُ الْمُنْكَرَ بِقَلْبِهِ: فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ»(٢).

قال ابن رجبٍ الحنبلي: إن المؤمن لا بد أن يُفتن بشيءٍ من الفتن المؤلمة الشاقة عليه، ليُمتحَن إيمانُه(٣)، كما قال اللَّه تعالى: ﴿الم * أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ * وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾ [العنكبوت: ١ - ٣].

---

(١) محمد العبد، مقال «الاستبصار عند الفتن»مجلة البيان، ١٤١١هـ، تصدر عن المنتدى الإسلامي العدد ٣٢/ ٢٤.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه واللفظ له في، ك الإيمان، باب: كون النهي عن المنكر من الإيمان، برقم ٤٩، وابن ماجه في الفتن، باب: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر برقم ٤٠١٣، وأحمد في المسند ١٨/ ٤٢، وابن حبان، محمد بن حبان التميمي أبو حاتم الدارمي البستي، في الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط١/ ١٩٨٨م، ١/ ٥٤١ برقم ٣٠٧، والبيهقي، أحمد بن الحسين، في السنن الكبرى، بيروت، دار الكتب العلمية، ط٣/ ٢٠٠٣م، باب نصر المظلوم، ٦/ ١٥٧ الحكم على الحديث: صحيح.

(٣) ابن رجب الحنبلي، زين الدين عبد الرحمن، اختيار الأولى من شرح حديث اختصام الملأ الأعلى، الكويت، مكتبة الأقصى، ط١/ ١٩٨٥، ج١/ ١٢٣.

إنَّ في الكتاب والسنّة وهَدْي السلف الصالح نجاةً عند حلول الفتن، وإن حاجة المجتمع المسلم، لمن يذكِّره بأحاديث نبينا ـ ﷺ ـ في مثل هذه الظروف والأحوال غير المستقرة، لَهي حاجةٌ ماسة ذاتُ أهمية عظيمة؛ لأن السنّة النبوية اشتملت على أجلِّ معاني الأمن وأكبرها، كقوله ـ ﷺ ـ: « وَاللَّهِ لَيُتِمَّنَّ هَذَا الْأَمْرَ حَتَّى يَسِيرَ الرَّاكِبُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ لَا يَخَافُ إِلَّا اللَّهَ أَوْ الذِّئْبَ عَلَى غَنَمِهِ وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ»(١)، وأصغرها وأدقِّها أيضًا، مثل قوله ـ ﷺ ـ: « مَنْ أَشَارَ إِلَى أَخِيهِ بِحَدِيدَةٍ ، فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ تَلْعَنُهُ حَتَّى يَدَعَهُ ، وفي رواية: حَتَّى يُشِيمَهُ عَنْهُ ، وَإِنْ كَانَ أَخَاهُ لِأَبِيهِ وَأُمِّهِ " »(٢).

فما أحلى الامتثالَ لأمر اللَّه تعالى وأمر رسوله ـ ﷺ ـ.

في هذا الكتاب، تحاول المؤلفة بتوفيق من اللَّه، تذكير المسلمين بالتوجيه النبوي الشريف، ذلك «**التوجيه المفتاح**» للنجاة من الفتن، من رسولٍ: ﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨]، هذا التوجيه الذي يأمرنا فيه رسول اللَّه ـ ﷺ ـ بالرجوع إلى المصدر الرباني المتمثل في الكتاب والسنّة، وأعني به قوله ـ ﷺ: « أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرُ الْهُدَى هُدَى مُحَمَّدٍ.»(٣).

وبه قال أُبيُّ بن كعب، عندما وقع الناس في أمر عثمان بن عفان ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ فسألوه: أبا المنذر، مَا الْمَخْرَجُ من هذا الأمر؟ قَالَ: كِتَابُ اللَّهِ وسنّة نبيه، مَا اسْتَبَانَ لَكُمْ

(١) أخرجه البخاري في صحيحه واللفظ له في كتاب المناقب، باب: علامات النبوة في الإسلام. الحكم على الحديث: صحيح.

(٢) أخرجه مسلم واللفظ له، ك البر والصلة والآداب، باب: النهي عن الإشارة بالسلاح إلى مسلم برقم ٢٦١٦، والترمذي في السنن في باب ما جاء في إشارة المسلم إلى أخيه برقم ٢١٦٢، وقال: حسن صحيح غريب، والنسائي، في السنن الكبرى، كتاب الملائكة، ج١٠/ ٤٢٨، وأحمد في المسند ١٢/ ٤٤٤، وابن حبان في الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، ج١٣/ ٢٧٦ برقم ٥٩٤٧ الحكم على الحديث: صحيح..

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه واللفظ له، في ك الجمعه باب تخفيف الصلاة، وأخرجه ابن ماجه في السنن باب اجتناب البدع وأخرجه النسائي في السنن في ك صلاة العيدين باب كيف الخطبة، وأخرجه الإمام أحمد في المسند ج ٢٣/ ٢٣٤، الحكم على الحديث: صحيح.

مِنْهُ فَاعْمَلُوا بِهِ، وَمَا أُشْكِلَ عَلَيْكُمْ فَكِلُوهُ إِلى عَالِمِهِ[١].

ففي هذين الخبرين ونحوهما، مما يأتي ـ إن شاء اللَّه ـ ملاذٌ ومستعصَم للمسلم، وجوابٌ له عن سؤاله: ماذا أنا صانع إذا ما غشيتني غمامة الفتن؟

ولكي لا أغمِط النفسَ حقَّها فإنني أحب أن أشير إلى أنني لا أعلم أن أحدًا قد تناول هذا المبحث من قبلُ وسبقني إلى الكتابة فيه وعلى هذا المنهج الجَمْعي، فاللَّه أسأل أن يوفقني إلى أدائه بتمامه.

أهمية الموضوع:

إن السبب فيما تعانيه المجتمعاتُ المسلمة من مشاكلَ وقلاقلَ وحروبٍ، يرجع بالكُليَّة إلى مخالفتها منهجَ الشارع في تنظيم المجتمع، قال ـ ﷺ ـ: « مَثَلُ الْقَائِمِ عَلَى حُدُودِ اللَّهِ وَالْوَاقِعِ فِيهَا، كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا عَلَى سَفِينَةٍ فَأَصَابَ بَعْضُهُمْ أَعْلَاهَا وَبَعْضُهُمْ أَسْفَلَهَا ، فَكَانَ الَّذِينَ فِي أَسْفَلِهَا يَصْعَدُونَ فَيَسْتَقُونَ الْمَاءَ ، فَيَصُبُّونَ عَلَى الَّذِينَ فِي أَعْلَاهَا فَآذَوْهُمْ فَقَالُوا: لَوْ أَنَّا خَرَقْنَا فِي نَصِيبِنَا خَرْقًا فَاسْتَقَيْنَا مِنْهُ ، وَلَمْ نَمُرَّ عَلَى أَصْحَابِنَا فَنُؤْذِيَهُمْ ، فَإِنْ تَرَكُوهُمْ وَمَا أَرَادُوا ، هَلَكُوا جَمِيعًا ، وَإِنْ أَخَذُوا عَلَى أَيْدِيهِمْ ، نَجَوْا ، وَنَجَوْا جَمِيعًا»[٢].

---

(١) الحديث أخرجه الحاكم في المستدرك واللفظ له وصححه ووافقه الذهبي في مناقب أبي بن كعب ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ ج ٣/ ٣٤٣، وأخرجه ابن أبي شيبة في المصنف ٧/ ٥١٨ برقم ٣٧٦٨١، وأخرجه المروزي، أبو عبداللَّه محمد بن نصر، في مختصر قيام الليل وقيام رمضان، وكتاب الوتر، نشر في باكستان في حديث أكاديمي، ط١، ١٩٨٨م، ج١/ ١٧٣، وأخرجه البخاري، محمد بن إسماعيل في التاريخ الأوسط، حلب، دار الوعي، ط١، ١٩٧٧م، ج١/ ٦٤. الحكم على الحديث: إسناده حسن لحال عبداللَّه بن عبد الرحمن بن أبزي: (قال ابن حجر: مقبول، وقال ابن حنبل: حسن الحديث، وذكره ابن حبان في الثقات، وقال ابن خلفون في كتاب الثقات: ليس به بأس)، (ابن حجر، أحمد بن علي، تقريب التهذيب، سوريا، دار الرشيد ط١، ١٩٨٦م، ج١/ ٣١٠، وعند مغلطاوي بن قليج أبو عبداللَّه في إكمال تهذيب الكمال في أسماء الرجال، القاهرة، الفاروق الحديثة، ط١، ٢٠٠١م، ج٨/ ٢٩-٣٠، وعند ابن حجر، أحمد بن علي، في تهذيب التهذيب، الهند، دائرة المعارف العثمانية، ط١، ١٣٢٦هـ، ج٥/ ٢٩٠).

(٢) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه واللفظ له، في ك الشركة، باب: هل يقرع في القسمة، وأحمد في =

هكذا دين اللَّه؛ إذا أخذ العقلاءُ وأهل الدين والعلم على يد الجهال والسفهاء نجَوْا جميعًا، وإن تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعًا[1].

إن فتنةَ مسايرة الواقع، والتأثر بما عليه الناس، لتشتدُّ حتى تكون سببًا في الوقوع في الشِّرك الموجب للخلود في النار كما فعل السابقون، حيث كانوا يتواصَوْن باتباع ما وجدوا عليه آباءهم: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا﴾ [البقرة: ١٧٠]، وقد تبيَّن الحق للناس، ولكنْ لفعل الهوى، وشدة ضغط الواقع، وضعف المقاومة، يُؤْثِر المخذول أن يبقى مع الناس ولو كان يعتقد أنهم على باطل.

فالإنسانيَّة في صراع دائم بين الخير والشر، على سبيل الفتنة والاختبار، فإن كنا نحمد اللَّه أن هدانا لنعمة الإسلام فضلًا منه ورحمة، فإن الواجب يقضي إلينا أن ننظر بعين هذه النعمة إلى ما يحدث حولنا، في حدود مضمون ما جاء في كتاب ربنا وسنّة نبينا محمد ـ ﷺ ـ.

ومن هنا نعلم أنْ لا علاجَ لتلك المشاكل إلا بالفهم الصحيح لمنهج الإسلام، والتطبيق الصادق لأحكامه وأوامره في كل نواحي الحياة، أملًا في أن يعود المجتمع المسلم إلى المكانة التي تليق به.

خُطة الكتاب:

أمّا **الكتاب** فموضوعه ومحوره: الأساليب التي ذكرها النبيُّ ـ ﷺ ـ لنجاة المسلم من الفتن، اعتمادًا على الأحاديث النبوية الشريفة: الصحيحة والحسنة، حتى يتسنى للمسلم توظيف هذه الأحاديث الصحيحة والحسنة في حياته، ليتحقق له المستقرُّ

= المسند ٣٠/ ٣١٠، والترمذي في السنن باب الفتن برقم ٢١٧٣، وقال: حديث حسن صحيح، والبيهقي في السنن الكبرى، في العتق باب إثبات استعمال القرعة ١٠/ ٤٨٦. الحكم على الحديث: صحيح.

(١) العثيمين، محمد بن صالح، شرح رياض الصالحين، الرياض، دار الوطن للنشر، ط ١٤٢٦ه، ج٢/ ٤٢٣، باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

الاجتماعي والأمن النفسي اللذانِ يسعى إليهما.

وأمّا **خُطة الكتاب** فتبدأ المؤلفة كتابها هذا بفضل اللَّه تعالى:

بتمهيد: يُعرِّف بمعنى الفتنة وأنواعها، مع ذكر الشواهد التي توضح المعنى من القرآن الكريم والسنّة النبوية.

ثم بعرضٍ لطرق اجتناب الفتن: وقد جمعتْها المؤلفة كلها استقراءً بحسب الاستطاعة من الأحاديث الصحيحة أولًا ثم الأحاديث الحسنة، وعلى هذا الشرط لدى المؤلفة بدأتْ بالصحيحين: «**الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول اللَّه** ـــ ﷺ ـ وسننه وأيامه»، للإمام البخاريِّ: أبي عبد اللَّه محمد بن إسماعيلَ، و«**المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول اللَّه** ـــ ﷺ ـــ» للإمام أبي الحسن مسلم بن الحجاج. ذلك بأن "الأحاديث الصحيحة هي المصدر الثاني للتشريع الإسلامي، والمبينة لما جاء في القرآن من النصوص العامة والمطلقة والمجملة، والهادية إلى طرق تطبيقه[(١)]. فإن لم يكن الحديث في الصحيحين أحدهما أو كليهما التمسته المؤلفة في كتب السنن الأربعة: أبي داود والترمذي والنسائي وابن ماجه، فالمسانيد والمصنفات والموطآت والجوامع والأجزاء من دواوين السنة النبوية المعتبرة عند أهل التحديث، على ألا تنزل درجة الحديث المراد عن: درجة الحسن.

ثم بشرح معاني الكلمات الغريبة.

ثم بإلحاق الأحاديث النبوية آراءَ السادة العلماء وأحكامهم.

ثم **بالخاتمة:** التي أوجزت فيها المؤلفة أهمَّ النتائج والتوصيات التي استطاعت التوصل إليها.

ثم بفهارِس أربعة، أول: للآيات القرآنية، وثان للأحاديث النبوية والآثار، وثالثٍ للمصادر والمراجع، ورابع للموضوعات.

(١) أحمد بن حنبل؛ المسند، مقدمة التحقيق ١/ ٢٨- ٢٩.

وفق اللَّه ويسَّر إكماله على الوجه المرجَّى وأعان عليه، ووقى به الطالبين للنجاة من الفتن والراغبين في البعد عنها ما ظهر منها وما بطن، وجعله لهم حرزًا منيعًا وحافظًا، ولمؤلفته عملًا عنده سبحانه مُتَقَبَّلًا مَقْبُولًا، وأن يثيبها عليه بكرمه الفيضيِّ ويكتبها سبحانه في كوكبة المحسنين من العاملين، آمين.

تمهيد

الفتنة . . معناها وأنواعها

ينضمُّ جذر هذه الكلمة ومشتقاته المختلفة، على ما بينه الخبراء في العربية، إلى معنى واحد هو: **الابتلاء والاختبار**، ثم يتفرَّع منه معانٍ أخرى بسبب حيوية اللفظ والزيادة عليه: حقيقةً أو مجازًا.

قال أبو منصور الأزهري في «تهذيب اللغة»: جماع معنى الفتنة في كلام العرب: الابتلاء والامتحان، وأصل كلمة (فتن) مأخوذٌ من قولك: فتنت الفضة والذهب: إذا أذبتَهما بالنار ليتميز الرديء من الجيد، ومن هذا قول اللَّه عز وجل: ﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ﴾ [الذاريات: ١٣]، أي: يُحرَقون بالنار[(١)].

كذلك الفتنة معناها في كلام العرب: المُمِيلة عن الحق والقصد، قال اللَّه عز وجل: ﴿وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ [الإسراء: ٧٣]، ومعناها: ليميلونك[(٢)]،قال الفيروزآبادي : إن معاني كلمة (الفتنة) في القرآن اثني عشر وجها[(٣)].

وفيما يلي عرض لأهم هذه المعاني لكلمة(الفتنة):

١-**الابتلاء والامتحان**: ويكون بالخير والشر معًا، فليس الابتلاء مقصورًا على الشر، ومنه قوله تعالى: ﴿وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً﴾ [الأنبياء: ٣٥]، قال التُّستَري: الشر: متابعة النفس والهوى بغير هدى، والخير: العصمة من المعصية والمعونة على الطاعة[(٤)]، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ [التغابن: ١٥]، يعني:

(١) الأزهري، أبو منصور محمد بن أحمد بن طلحة بن نوح بن الأزهر الأزهري، تهذيب اللغة، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط١، ٢٠٠١م، ج١٤/ ٢١١.

(٢) الأنباري، محمد بن القاسم أبو بكر، الزاهر في معاني كلمات الناس، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٩٩٢م، ج١/ ٤٧٢.

(٣) الفيروزآبادي، أبو طاهر مجد الدين محمد، بصائرذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، القاهرة، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي،١٤١٢ه،١٩٩٢م، ج٤/ ١٦٧.

(٤) التستري، أبو محمد سهل بن عبداللَّه، تفسير التستري، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢٣هـ، سورة الأنبياء.

بلاء وشغل عن الآخرة[1]. قال الزَّبيدي: سماهم فتنة اعتبارًا بما ينال الإنسانَ من الاختبار بهم، وسماهم عدوًّا في قوله تعالى: ﴿إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ﴾ [التغابن: ١٤]، اعتبارًا بما يتولّد منهم، وجعلهم زينةً في قوله عز وجل: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ﴾ [آل عمران: ١٤]، اعتبارًا بأحوال الناس في تزيُّنهم بهم[2]. ويؤكده قوله ـ ﷺ ـ : « فِتْنَةُ الرَّجُلِ فِي أَهْلِهِ وَمَالِهِ وَجَارِهِ تُكَفِّرُهَا الصَّلَاةُ وَالصَّدَقَةُ وَالْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُ عَنْ الْمُنْكَرِ »[3]، ومن البلاء قوله تعالى: ﴿وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا﴾ [طه: ٤٠]، أي: ابتليناك بلاءً بعد بلاء[4]. ومن الامتحان :قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا الذين مِن قَبْلِهِمْ﴾ [العنكبوت:٣]:امتحنَّاهُمْ،[5] وقوله ـ ﷺ ـ: «فَبِي تُفْتَنُونَ»[6]، أَيْ: تُمْتَحَنُونَ بِي فِي قُبُورِكُمْ، وَيُعْرَفُ إِيمَانُكُم بِنُبُوَّتِي[7].

(١) المرجع السابق، سورة التغابن.

(٢) الزبيدي، أبو الفيض محمد، تاج العروس من جواهر القاموس، الرياض، دار الهداية (بدون تاريخ) ج٣٥/ ٤٩٠.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه واللفظ له في الفتن، باب في الفتنة التي تموج موج البحر برقم ١٤٤، وأخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الفتن، باب الفتنة التي تموج موج البحر، وأخرجه الترمذي في السنن في كتاب الفتن برقم ٢٢٥٨، وقال: هذا حديث صحيح، وأخرجه أحمد في المسند ٣٨/ ٤١٤. الحكم على الحديث:صحيح.

(٤) الحربي، إبراهيم بن إسحاق، غريب الحديث، مكة المكرمة، جامعة أم القرى، ط١، ١٤٠٥هـ، ج٣/ ٩٣١.

(٥) الفيروزآبادي، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، ج ٤/ ١٦٧.

(٦) الحديث أخرجه أحمد في المسند واللفظ له في ٤٢/ ١٢، وأخرجه البيهقي، احمد بن الحسين في إثبات عذاب القبر، الأردن، دار الفرقان، ط٢، ١٤٠٥هـ، ج١/ ٤١، وأخرجه ابن مندة، أبو عبداللَّه محمد بن إسحاق في كتاب الإيمان، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤٠٦هـ، ج٢/ ٩٦٧. الحكم على الحديث:الإسناد صحيح، رجاله ثقات، قال السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن في شرح الصدور بشرح أحوال الموتى والقبور: أخرجه أحمد والبيهقي بسند صحيح، بيروت، دار المعرفة، ط١٩٩٦،١م، ج١/ ١٣٩، وحسّنه الألباني، ناصرالدين في صحيح الجامع الصغيروزيادته، بيروت، المكتب الإسلامي(بدون تاريخ)، ج١/ ٢٩٠ برقم ١٣٦١.

(٧) ابن الأثير، مجد الدين أبو السعادات، النهاية في غريب الحديث، بيروت، المكتبة العلمية، ط ١٩٧٩م، ج٣/ ٤١٠ مادة (فتن). قلت: ورد ذلك في حديث رسول اللَّه ـ ﷺ ـ: "إن العبد إذا وُضع في قبره وتولّى =

٢-**القتل والهلاك**: ومنه قوله تعالى: ﴿إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [النساء: ١٠١]، أي: يقتلكم[(١)]. ومنه قوله ـ ﷺ ـ: «إِنِّي أَرَى الْفِتَنَ تَقَعُ خِلَالَ بُيُوتِكُمْ..»[(٢)]، أي: يكون القتل والحروب، والاختلاف الذي يكون بين فرق المسلمين إذا تحزّبوا، ويكون ما يُبلَوْن به من زينة الدنيا وشهواتها فيُفتنون بذلك عن الآخرة، والعمل لها[(٣)].

٣-**العذاب**: نحو تعذيب الكفار ضعفاءَ المؤمنين في أول الإسلام ليصدّوهم عن الإيمان، ومنه قوله تعالى: ﴿ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ﴾ [الذاريات: ١٤]، أي: ذوقوا عذابكم. وتارةً يسمُّون ما يحصل عنه العذاب فتنةً، فتُستعمل فيه[(٤)]، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ [البروج: ١٠]، أي: أحرقوهم بالنار الموقدة في الأخدود[(٥)]. وفي «معجم اللغة العربية»: يقال: عذبه ليحوّله عن رأيه أو دينه، مثل: فتن المحتل الثوار[(٦)].

= عنه أصحابه٩ وإنه ليسمع قرع نعالهم، أتاه ملكان فيُقعدانه فيقولان: ما كنت تقول في هذا الرجل لمحمد ـ ﷺ ـ ؟ فأما المؤمن فيقول: اشهد أنه عبداللَّه ورسوله.. إلخ الحديث. (أخرجه البخاري في صحيحه واللفظ له في باب ما جاء في عذاب القبر، ومسلم في صحيحه في باب عرض مقعد الميت من الجنة برقم ٢٨٧٠، وأبو داود في السنن باب المسألة في القبر برقم ٤٧٥١، وسكت عنه، وأخرجه النسائي في السنن الكبرى باب مسألة الكافر ج٤/ ٢٣٨، وأحمد في المسند ٢١/ ١١٨.

(١) الفيروزآبادي، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، ج ٤/ ١٦٨ا، وأبو منصور الأزهري، تهذيب اللغة، ج١٤/ ٢١٢.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، واللفظ له في المناقب باب علامات النبوة في الإسلام، وأخرجه مسلم في صحيحه في الفتن، باب نزول الفتن لمواقع القطر، وأخرجه أحمد في المسند ٣٦/ ٧٨، وأخرجه الحميدي، أبو بكر عبداللَّه بن الزبير في المسند، سوريا، دار السقا، ط١، ١٩٩٦، ج١/ ٤٦٧ برقم ٥٥٢. الحكم على الحديث: صحيح.

(٣) أبو منصور الأزهري، تهذيب اللغة، ج١٤/ ٢١٢.

(٤) الزبيدي، تاج العروس ٣٥/ ٤٩٢.

(٥) أبو منصور الأزهري، تهذيب اللغة، ج١٤/ ٢١١.

(٦) عبد الحميد، أحمد مختار، معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، ط١، ٢٠٠٨م، ج٣/ ١٦٧٠مادة (فتن).

٤-**الإعجاب بالشيء**: والفتنة تعني: إعجابك بالشيء، ومنه قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [يونس: ٨٥]، أي: لا تُظهرهم علينا فيُعجبوا ويظنوا أنهم خير منا، والفتنة هنا: إعجاب الكفار بكفرهم(١). وفي «معجم اللغة العربية»: الفتنة تعني: الإعجاب الشديد والقدرة على الإغراء والجذب، مثل قولنا: أخذته الفتنة بما شاهد من روعة وجمال(٢).

٥-**الإثم**: كقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ ائْذَنْ لِي وَلَا تَفْتِنِّي أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا﴾ [التوبة: ٤٩]، قال الماوَردي: في معنى ﴿وَلَا تَفْتِنِّي﴾ ثلاثة أوجه: أحدها: لا تكسبني الإثم بالعصيان في المخالفة(٣). قال الواحدي: أي وقعوا في الإثم والشرك بنفاقهم(٤)، وفي المُحكم: أي: لا تؤثمني بأمرك إياي بالخروج، وذلك غير متيسر لي فآثم به(٥). فأعلم اللَّه سبحانه وتعالى أن المنافقين قد سقطوا في الفتنة، أي: في الإثم.

٦-**الفضيحة**،كما في قوله تعالى:﴿وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ﴾[المائدة:٤١]،قيل معناه: فضيحته(٦).

٧-**الضلاله**: كقوله تعالى: ﴿مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ بِفَاتِنِينَ﴾ [الصافات: ١٦٢]، أي: بمُضلين(٧)، ومثله قول رسول اللَّه ـ ﷺ ـ: «يَبْعَثُ الشَّيْطَانُ سَرَايَاهُ فَيَفْتِنُونَ النَّاسَ..»

(١) أبو منصور الأزهري، تهذيب اللغة، ج١٤/ ٢١٢.

(٢) عبدالحميد، معجم اللغة العربية المعاصرة، ج٣/ ٦٧٠، مادة فتن.

(٣) الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد، تفسير الماوردي، النكت والعيون، بيروت، دار الكتب العلمية، بدون تاريخ، سورة التوبة، ج٢/ ٣٧٠.

(٤) الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد، الوسيط في تفسير القرآن المجيد، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٩٩٤م، سورة التوبة، ج٢/ ٥٠٢.

(٥) أبو الحسن، علي بن إسماعيل، المحكم والمحيط الأعظم، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ٢٠٠٠م، ج٩/ ٥٠١.

(٦) ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، بيروت، دار صادر، ط٣، ١٤١٤هـ، ج١٣/ ٣١٩.

(٧) المزي، غريب الحديث، ج٣/ ٩٣٨.

الحديثَ[١]، أي: يُضلونهم بتزيين المعاصي إليهم حتى يقعوا فيها[٢].

٨- **المعذرة**:لقوله تعالى:﴿ ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ ﴾ أَي ثم لم تكن معذرتهم ﴿إِلاَّ أَن قَالُواْ واللَّه ربنا ماكنا مشركين﴾ [الأنعام ٢٣]، [٣].

٩-**وفتنة الصدر**: الوساوس[٤].

١٠-**وفتنة المحيا والممات**: الأولى: ما يتعرض له الإنسان مدة حياته من الافتتان بالدنيا والشهوات والجهالات وأشدها وأعظمها والعياذ باللَّه تعالى: أمر الخاتمة عند الموت، [٥]، والثانية: أن يُسأل في القبر[٦].

١١-**الغلوُّ في التأويل المظلم**: يقال: فلان مفتون بطلب الدنيا، أي: غلا في طلبها[٧].

١٢- **الجنون والغفلة**: لقوله تعالى: ﴿بِأَيِّكُمُ المفتون﴾ [القلم:٥] يعني: أيكم المجنون؟[٨] وغير ذلك من المعاني.

المخرج من الفتن:

قيل:

إن كنت من أهل الفِطَنْ فلا تدُرْ حـول الفتـنْ

(١) أخرجه مسلم في صحيحه واللفظ له في باب تحريض الشيطان، وأحمد في المسند ٢٢/ ٤١٩، وابن حبان في الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، ج١٤/ ٦٦ الحكم على الحديث:صحيح.

(٢) القاري، مرقاة المفاتيح، ١/ ١٤١.

(٣) الدامغاني، أبوعبداللَّه الحسين بن محمد، الوجوه والنظائر لألفاظ كتاب اللَّه العزيز، تحقيق عربي عبد الحميد علي، بيروت، دارالكتب العلمية بدون تاريخ ص٣٦٥

(٤) أبو منصور الأزهري، تهذيب اللغة، ج١٤/ ٢١١.

(٥) ابن دقيق العيد، إحكام الاحكام شرح عمدة الأحكام، القاهرة، مطبعة السنة المحمدية،١٣٧٤ه، ج١/ ٣١١.

(٦) أبو منصور الأزهري، تهذيب اللغة، ج١٤/ ٢١١.

(٧) المرجع السابق، ١٤/ ٢١٣.

(٨) الدامغاني، الوجوه والنظائر لألفاظ كتاب اللَّه العزيز، ص ٣٦٥.

إنّ خوف المؤمن لَيشتدُّ في أزمنة الفتنة التي تموج موج البحر[1]، وما إخال زماننا اليوم إلا من هذه الأزمنة العصيبة التي تراكمت فيها الفتن، فعندما سأل الصحابةُ رضوان اللَّه عليهم رسولَ اللَّه ـ ﷺ ـ: «فَمَا تَأْمُرُنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ؟»[2]، كانت إجابته ـ عليه الصلاة والسلام ـ لهم ولكل مسلم، بأنْ ذكر علاماتٍ يسترشد بها كل مسلم في الفتن، حيث أخبرنا في أحاديثَ كثيرة عن فساد أديان الناس، وقلة أمانتهم، حيث يُغَربَلون[3]، وتتغير حالهم في آخر الزمان.

ومن هذه الأحاديث التي ذكر فيها رسول اللَّه ـ ﷺ ـ العلاماتِ التي متى حدثت فعلينا اتباع أوامره للنجاة من الفتن حديثُ: «**إذا رأيتم الناسَ قد مَرِجت عهودُهم[4]، وخفَّت أماناتُهم[5]، وكانوا هكذا، وشبّك بين أصابعه[6]، قال عبداللَّه بن عَمرو بن العاص: فقُمت إليه فقلت: كيف أفعل عند ذلك، جعلني اللَّهُ فداك؟ قال: الزَمْ بيتك، واملِك عليك لسانك[7]، وخذْ بما تعرف[8]، ودَعْ ما تُنكر[1]، وعليك بأمر خاصَّةِ**

(١) أي الفتن العامة التي تجيء وتذهب ويتبع بعضها بعضاً كأمواج البحر (ابن رجب الحنبلي، زين الدين، فتح الباري شرح صحيح البخاري، القاهرة، دار الحرمين، ط١، ١٩٩٦م، ج٤/ ٢٠٣، وكتاب عياض بن موسى أبو الفضل، مشارق الأنوار على صحاح الآثار، القاهرة، دار التراث (بدون تاريخ) ج١/ ٣٩٠.

(٢) الحديث صحيح، سبق تخريجه في ص٣.

(٣) يُغربلون: أي يذهب خيارهم ويبقى شرارهم وأراذلهم (ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث ٣/ ٣٥٢).

(٤) مرجت عهودهم: معناه اختلطت عهودهم ولم يفوا بها، (ابن الجوزي، جمال الدين، كشف المشكل من حديث الصحيحين، الرياض، دار الوطن (بدون تاريخ) ج٢/ ٥٨١).

(٥) خفّت أماناتهم: بتشديد الفاء، أي: قلّت، فهم ينقضون العهود ويخونون الأمانات(المناوي، زين الدين، فيض القدير شرح الجامع الصغير، مصر، المكتبة التجاريةالكبرى، ط١، ١٣٥٦هـ، ج١/ ٣٥٣، والقاري، مرقاة المفاتيح ٨/ ٣٣٩٤).

(٦) شبّك بين أصابعه: أي شبك النبي ـ ﷺ ـ بين أصابعه ليمثل لهم اختلاطهم فلا يُعرف الأمين من الخائن ولا البر من الفاجر (العيني، بدر الدين، عمدة القاري شرح صحيح البخاري، بيروت، دار إحياء التراث العربي (بدون تاريخ)، ج٤/ ٢٦٧، والقاري، مرقاة المفاتيح، ج٨/ ٣٣٩٥).

(٧) املك عليك لسانك: أي لا تتكلم في أحوال الناس كيلا يؤذوك. (القاري، مرقاة المفاتيح ٨/ ٣٣٩٥).

(٨) خذ بما تعرف: أي افعل ما تراه حقًّا. (القاري، مرقاة المفاتيح ٨/ ٣٣٩٤).

نفسِك[٢]، ودَعْ عنك أمرَ العامَّة»[٣][٤].

(ﺗ) دع ما تُنكر: أي اترك ما تنكر من أمر الناس المخالف للشرع. وانظر إلى تدبير اللَّه تعالى فيهم بقلبك فإذا رأيت معصية فاحمد اللَّه إذ صرفها عنك في وقتك وتلطف في الأمر والنهي في رفق وصبر فإن قبل منك فاحمد اللَّه وإلا فاستغفره لتفريطك. (المناوي، فيض القدير ١/ ٣٥٣).

(٢) عليك بأمر خاصة نفسك: الزم أمر نفسك وعلى من يختص بك من الأهل والخدم فأصلح أحوالها واحفظ دينك. (بتصرف من كتاب القاري، مرقاة المفاتيح ٨/ ٣٣٩٥، والسندي، نور الدين، حاشية السندي على سنن ابن ماجه، بيروت، دارالجيل(بدون تاريخ) ج٢/ ٤٦٨، وفي معجم اللغةالعربية المعاصرة:خاصةالنفس:ما يهمها. ج١/ ٦٥١)

(٣) دع عنك أمر العامة: أي اترك الناس ولا تتبعهم ولا تترأس عليهم وتتوسط في أمورهم، وهذا رخصة في ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إذا كثر الأشرار وضعف الأخيار. (بتصرف من كتاب القاري، مرقاة المفاتيح ٨/ ٣٣٩٥، والخطابي، أبو سليمان حمد بن محمد في كتاب العزلة، ج١/ ٩).

(٤) الحديث أخرجه أبو داود، واللفظ له في السنن، باب الأمر والنهي، برقم ٤٣٤٣، وسكت عنه، وأخرجه النسائي، في السنن الكبرى، ج٩/ ٨٧، قال المنذري، عبد العظيم بن عبدالقوي في الترغيب والترهيب: رواه أبو داود والنسائي بإسناد حسن، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٧هـ، ج٣/ ٢٩٨، وقال العراقي، أبو الفضل زين الدين عبد الرحيم، في المغني عن حمل الأسفار في الأسفار: أخرجه أبو داود والنسائي في اليوم والليلة بإسناد حسن، بيروت، دار ابن حزم، ط١، ٢٠٠٥، ج١/ ٦٩٨، والحديث صححه الألباني، ناصر الدين، في سلسلة الأحاديث الصحيحة، الرياض، مكتبة المعارف، ط١، ١٩٩٥م، ج١/ ٤١٥، وأخرجه أحمد بن حنبل في المسند، ج١١/ ٥٧٦، وأخرجه الحاكم في المستدرك على الصحيحين ج٤/ ٣١٥، في كتاب الأدب وصححّه الحاكم ووافقه الذهبي، وأخرجه ابن أبي شيبة في المصنف ج٧/ ٤٤٧، وأخرجه الطبراني، سليمان بن أحمد في المعجم الكبير، القاهرة، مكتبة ابن تيمية، ط٣ (بدون تاريخ) ج١٣/ ٩، وأخرجه ابن المبارك، أبو عبد الرحمن عبداللَّه بن المبارك في المسند، الرياض، مكتبة المعارف، ط١، ١٤٠٧هـ، ج١/ ١٥٨، وأخرجه ابن ماجة في السنن، باب التثبت في الفتنة برقم ٣٩٥٧، وأخرجه البخاري في صحيحه مختصراً، في باب تشبيك الأصابع. الحكم على الحديث:الحديث حسن، لحال يونس بن أبي إسحاق، قال عنه ابن حجر: صدوق يهم قليلًا، وقال الذهبي: صدوق، ووثقه ابن معين وابن حبان، وقال أبو حاتم: صدوق، إلا أنه لا يحتج بحديثه، وقال أحمد: حديثه مضطرب، (ابن حجر، تقريب التهذيب، ج١/ ٦١٣، والمزي، يوسف بن عبد الرحمن، تهذيب الكمال في أسماء الرجال، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٩٨٠، ج٣٢/ ٤٨٨، والذهبي، شمس الدين، الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة، جده، دار القبلة للثقافة، ط١، ١٩٩٢م، ج٢/ ٤٠٢).

قال ابن رجب الحنبلي: دلّ هذا الحديث على سقوط الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عند عدم القبول والانتفاع به، فإن عجَز المسلم عن الأمر بالمعروف، أو خاف الضرر، سقط عنه[1]؛ لأن الإسلام وقَّتها بتعاليمه: «سَيَعُودُ غَرِيبًا كَمَا بَدَأَ...» [2].

وقد شبّك رسول اللَّه ـ ﷺ ـ بين أصابعه في هذا الحديث كناية عن تداخل الأمور واختلاط بعضها ببعض ،وليمثِّل للصحابة هيئة اختلاطهم، وهذ كما قال القسطلاني:من باب تصوير المعقول بصورة المحسوس[3]، وكان ـ ﷺ ـ جديرًا أن يفعل ذلك لما وصفه اللَّه ـ سبحانه وتعالى ـ في كتابه الكريم بأنه: ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَاعَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨].

وفي توضيح الحديث السابق: «إِذَا رَأَيْتُمُ النَّاسَ قَدْ مَرِجَتْ عُهُودُهُمْ..» الحديثَ، قال الخطابي: قسّم رسول اللَّه ـ ﷺ ـ الحديث إلى قسمين اثنين، **الأول:** قسّم أمر الدين في قوله ـ ﷺ ـ: «خذ بما تعرف»، وهذا إشارة إلى معهودٍ تعارفوه فيما بينهم من حقوق الأئمة وما يتعلق بهم من أمور الدين مثل: إقامة الصلاة خلفهم، وأداء الزكاة إليهم، وجهاد الكفار معهم، وما يشبه هذا من الأمور التي يليها الأمراء. ثم قال ـ ﷺ ـ: «ودَعْ ما تنكر» ويعني: كل ما حدث بعده ـ ﷺ ـ من الفتن، والتنازع في الملك. **والقسمة الثانية:** أنه قسّم أمر الدنيا، فقال ـ ﷺ ـ: «وعليك بأمر خاصَّة نفسك» ويعني: كل ما يخصه ويعنيه من إعالة أهله والسعي في مصالحهم، ثم قال ـ ﷺ ـ: «ودعْ عنك أمر العامة»؛ نهاه عن التعرض لأمر العامة والتعاطي لسياستهم والتوسط في أمورهم. وهكذا نظّم رسول اللَّه ـ ﷺ ـ للسائل ولكل مسلم من أمر دينه ودنياه في القصير

(١) ابن رجب الحنبلي، زين الدين، الجامع للتفسير، السعودية، دار العاصمة، ط١، ٢٠٠١م، ج١/ ٤٦٣.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه واللفظ له في باب بيان أن الإسلام بدأ غريبًا، و الترمذي في السنن باب ما جاء أن الإسلام بدأ غريبًا، برقم ٢٦٢٩ وقال: حديث حسن صحيح غريب، وابن ماجه في السنن باب بدأ الإسلام غريبًا، وأحمد في المسند ٦/ ٣٢٥. الحكم على الحديث:صحيح.

(٣) القسطلاني، أحمد بن محمد، في إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، مصر، المطبعة الكبرى، ط٧، ١٣٢٣هـ، ج١/ ٤٦٠.

الوجيز من كلامه[١].

لهذا اعتبر العلماء هذا الحديثَ من أعلام النبوة؛ لأن فيه الإخبارَ عن فساد أديان الناس وقلة أمانتهم في آخر الزمان[٢].

فهذه الأحاديث وأمثالها تتضمن وصايا عامةً تُنبئ عن الفتن وأخبارها، وتدل المسلم الذي يعاصرها على ما ينبغي أن يفعله ليتقيَ شرها؛ لأنه كلما قَرُبت الساعة كثرت الفتن، قال رسول اللَّه ـ ﷺ ـ: «لَمْ يَبْقَ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا بَلَاءٌ وَفِتْنَةٌ»[٣].

(١) الخطابي، كتاب العزلة،(باختصار) ص٩.

(٢) ابن بطال، أبو الحسن علي بن خلف، شرح صحيح البخاري، الرياض، مكتبة الرشد، ط٢، ٢٠٠٣م، باب إذا بقي في حثالة من الناس، ١٠/ ٣٨.

(٣) أخرجه ابن ماجه في السنن، واللفظ له برقم ٤٠٣٥ باب الصبر على البلاء، وهو إسناد صحيح رجاله ثقات كما قال البوصيري، أبو العباس شهاب الدين في كتاب مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه، بيروت، دار العربية، ط٢، ١٤٠٣هـ، ج٤/ ١٩٠، وأخرجه ابن حبان في الإحسان برقم ٦٩٠، وأخرجه الطبراني، سليمان بن أحمد في مسند الشاميين برقم ٦٠٧، ط١، ١٩٨٤م، بيروت، مؤسسة الرسالة، وقال العراقي، أبو الفضل زين الدين عبد الرحيم، في المغني عن حمل الأسفار في الأسفار: أخرجه ابن ماجه من حديث معاوية ورجاله ثقات،، ج١/ ١١١٨وأخرجه ابن المبارك، أبو عبدالرحمن عبداللَّه، في الزهد والرقاق، بيروت، دار الكتب العلمية، ج١/ ٢١١ برقم ٥٩٦ (بدون تاريخ) وأخرجه أحمد في المسند ٢٨/ ٦٦، وأخرجه الأصبهاني أبو نعيم، أحمد بن عبداللَّه في حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، مصر، مكتبة السعادة، ١٩٧٤م،ج٥/ ١٦٢.
الحكم على الحديث : إسنادالحديث عند ابن ماجه حسن، لحال أبوعبدربه هو أبو عبد رب العزة، ويقال: أبو عبد ربه عبد الجبار ويقال: عبد الرحمن بن عبد اللَّه، ويقال: ابن أبي عبد اللَّه مولى ابن غيلان الثقفي، ويقال: مولى الزاهد، قال المزي : روى له ابن ماجه حديثين، وهما عندنا بعلو عنه، وقال الذهبي عن حديث(لم يبق من الدنيا إلا بلاء وفتنة):أخرجه ابن ماجة من حديث الوليد بن مسلم عن ابن جابر، وهوحديث صالح الإسناد، وقال الذهبي: صدوق، وقال ابن حجر:مقبول، وذكره ابن حبان في الثقات.(تهذيب الكمال٣٤/ ٣٨، ميزان الاعتدال٤/ ٤٤٣، الكاشف٢/ ٤٤٠، التقريب١/ ٦٥٥)، وصححه الألباني، في سلسلة الأحاديث الصحيحة ٤/ ٣١٢ برقم ٧٣٤، وقال المتقي الهندي، علاء الدين: صحيح، كتاب كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط٥، ١٩٨١م، ج٣/ ٢٧ رقم ٥٢٨٧.

الشرح والبيان لهذا الحديث:

كم قد رأينا كثيرًا من هذه العلامات التي وردت في الحديث، ووقعت في زماننا هذا، ويمكن بيان بعضها كالتالي:

أ- «**إِذَا رَأَيْتُمُ النَّاسَ**»: الخطاب عام لكل مسلم، أي: وجدتم، وعلمتم أن هذه الأمورَ هي الغالبة على الناس[(١)].

وهذا انتشر في وقتنا الحالي من خلال القنوات الفضائية والإنترنت ومواقع التواصل الاجتماعي، فاصبح كثيرٌ منّا يشاهد ويعلم كثيرًا من الوقائع والأمور الخارجة عن الأخلاقيات الإسلامية.

ب- وذلك لأنهم «**مرِجت عهودُهم**» أي: فسَدت ذمتهم، وقيل: لم يفُوا بها[(٢)].

حيث تكثر في المحاكم قضايا (الشيك بدون رصيد) الذي يكتبه صاحبه لمن يأخذ منه مالًا بغرض السداد ثم عندما يستحق وقته ويذهب حاملُ الشيك ليصرفه ويستردَّ ماله فإنه يكتشف احتيال صاحب الشيك عليه عندما لا يجد له رصيدًا من المال يغطي ما أخذه منه صاحب الشيك.

ومن المشاهَد أيضًا: فساد الذمم، مثل: استخدام أدوية كالهرمونات في المحاصيل الزراعية بنسب خطيرة تضر بصحة الإنسان، كذلك كم من مبانٍ انهارت أو ظهرت فيها عيوب كثيرة بسبب فساد ذمة بانيها.

ومما يدخل في فساد الذمة أيضًا: مكائد أعداء الوطن، وغدرهم بوطنهم، من خلال نشر معلومات خاطئة عنه، أو تسريب معلومات تضر بالوطن وأهله.

---

(١) المناوي، زين الدين محمد، التيسير بشرح الجامع الصغير، الرياض، مكتبة الإمام الشافعي، ط٣، ١٩٨٨، ج١/ ٩٨، والمباركفوري، محمد بن عبدالرحمن، تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، بيروت، دار الكتب العلمية (بدون تاريخ) ج٨/ ٣٣٧.

(٢) قاله سعيد بن منصور في كتاب اتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة، البوصيري، أبو العباس شهاب الدين، الرياض، دار الوطن، ط١/ ١٩٩٩م، ج٨/ ٥٧.

ج- كل ذلك لأنهم «**خفَّت أماناتهم**» وقلّت، بحيث لا يُعرف الأمين من الخائن ولا البَر من الفاجر، فلا يكون أمرهم مستقيمًا، بل يكون كل واحد في لحظة على طبع وعلى عهد، ينقضون العهود، ويخونون الأمانات[(١)]، وذلك لأنهم «مرِجت عهودهم» كما سبق في قول رسول اللَّه ـ ﷺ ـ فكلما ضعف الإيمان بحب الدنيا على حساب الآخرة، اضمحلّت الأمانة وضعفت شيئًا فشيئًا، حتى ينتهي الأمر إلى رفعها، كما قال عبداللَّه بن مسعود رضي اللَّه عنه: «أَوَّلُ مَا تَفْقِدُونَ مِنْ دِينِكُمُ الْأَمَانَةَ...»[(٢)]، وهذا إنذار لكل مسلم ومسلمة، وبلاغ على أهمية الأمانة وعظمها ومكانتها من عقيدة المسلم، وتحذير من عدم التساهل فيها والاستهانة بها، والتمادي في إهمال دورها، فعندما تُرفع الأمانة تحل محلها الخيانة في كل شيء: في الأسرة والعمل والعبادات،

(١) القاري، مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ٨/ ٣٣٩٤.

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة، في المصنف في الأحاديث والآثار، كتاب الأوائل ج٧/ ٢٥٦، وأخرجه الحاكم في المستدرك ٤/ ٥٤٩ برقم ٨٥٣٨في كتاب الفتن، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي. وأخرجه عبد الرزاق أبو بكر عبد الرزاق بن همام، في المصنف، كتاب فضائل القرآن، بيروت، المكتب الإسلامي، ط٢/ ١٤٠٣ه، ج٣/ ٣٦٢. وأخرجه الطبراني، في المعجم الكبير، ج٩/ ٣١١، قال الهيثمي في مجمع الزوائدج ٧/ ٣٣٠ :رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح غير شداد بن معقل وهو ثقة، وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى ج ٦/ ٤٧٢ في باب الترغيب في أداء الأمانات، وأخرجه الخرائطي، محمد بن جعفر في مكارم الأخلاق، القاهرة، دار الآفاق العربية، ط١، ١٩٩٩م، ج١/ ٧٣، وأخرجه ابن بطة، أبو عبداللَّه عبيد اللَّه بن محمد في الإبانة الكبرى، الرياض، دار الراية للنشر، ط٢، ١٩٩٤م، ج٥/ ٣٦٥.وقال الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحه٤/ ٣١٩:الحديث صحيح على كل حال فإن له شواهد كثيرة، وأخرجه نعيم بن حماد، في الفتن، القاهرة، مكتبة التوحيد، ط١، ١٤١٢هـ، ج٢/ ٦٠٣ برقم ١٦٨٥. الحكم على الحديث: الحديث حسن لحال شداد بن معقل الكوفي روى عن عبداللَّه بن مسعود، روى عنه عبدالعزيز بن رفيع والمسيب بن رافع، روى له البخاري في خلق افعال العباد، قال ابن حجر:صدوق، ووثقه الهيثمي، وذكره ابن حبان في الثقات وقال ابن سعد: كان قليل الحديث.(تهذيب الكمال ١٢/ ٤٠٣، ابن سعد، أبوعبداللَّه محمدبن سعد في الطبقات الكبرى، بيروت دار الكتب العلمية، ط،١، ١٩٩٠ج٦/ ٢١٦، تقريب التهذيب١/ ٢٦٤، وعند الهيثمي، أبو الحسن نور الدين علي، مجمع الزوائدومنبع الفوائد، القاهرة، مكتبة القدسي١٩٩٤، ٧/ ٥٢، وعند ابن حبان، محمد بن حبان في الثقات، الهند، دائرة المعارف العثمانية، ط١، ١٩٧٣م، ج٤/ ٣٥٧).

وفي العلاقات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية في شتى مجالاتها، فإذا أطلَّت الفتنة بوجهها فيجب على المسلم أن يأخذ بتوجيهات النبي الكريم ـ ﷺ ـ التي ذكرها في الحديث السابق: «إذا رأيتم الناس مرِجت عهودُهم»، فإنما هذا الزمان زمان الصبر، كما قال الجعبري: لأنه قد أُنكر المعروف، وعُرف المنكر، وفسدت النيات، وظهرت الخيانات، وأوذي المُحِقُّ، وأُكرِمَ المُبْطِلُ[1].

لذا أرى أن زماننا هذا هو الموصوفُ في حديث رسول اللَّه ـ ﷺ ـ السابق، حيث يرى الطحاوي: «أنه عندما تختلف القلوب والأهواء، لا ينفع فيه أمر بمعروف أو نهي عن منكر، ولا قوة على من يُنكر المنكر في القيام بواجبه، حينها يسقط حكم فرض القيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عن المسلم، ويرجع إلى خاصة نفسه في أمرها بالمعروف ونهيها عن المنكر، ولا يضره مع ذلك من ضلّ»[2].

فإذا رأيتَ بعض الناس يعملون المعاصي، ولا بد لك من السكوت لعجزك، فاحفظ نفسك من المعاصي، واترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، واشتغل بنفسك، ودع أمر الناس إلى اللَّه، فإنه تعالى القائل: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦]، ويبقى أمامك إنكار المعصية بالقلب، وهي أضعف مراتب الإيمان؛ لأن المسلم إذا رأى منكرًا معلومًا من الدين بالضرورة فلم ينكره، ولم يكرهه، ورضي به واستحسنه، كان كافرًا[3]. وهذا يتفق مع ما قاله رسولنا الكريم ـ ﷺ ـ لابن عَمرو: «عَلَيْكَ بِأَمْرِ خَاصَّةِ نَفْسِكَ»[4].

ولكني أرى، بالإضافة إلى هذا، أن معنى «**خاصَّة نفسِك**» يعني: الانشغال بالأسرة والنفس، وإصلاحها وفق منهاج النبوة، ولا يعني الحديث التوقف تمامًا عن القيام

(١) القاري، مرقاة المفاتيح، ٨/ ٣٣٦٥.

(٢) الطحاوي، أبو جعفر أحمد بن محمد، شرح مشكل الآثار، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٠٥هـ، ج٣/ ٢١٤.

(٣) القاري، مرقاة المفاتيح ٨/ ٣٢١٥.

(٤) الحديث إسناده حسن، سبق تخريجه، في ص١٥.

بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، بل يعني: أن تجعل هذا الأمر في خاصة نفسك وأهلك، بأن تحفظهم من المعاصي، لقوله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾ [التحريم: ٦].

فوائد الفتن:

قال ابن عبد البر القرطبي: واجبٌ على كل مسلم أن يُعلِّم أهله ما بهم الحاجة إليه من أمر دينهم، ويأمرهم به، وواجبٌ عليه أن ينهاهم عن كل ما لا يحِلُّ لهم، ويمنعهم منه(١).

كذلك المرأة مكلَّفة بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لقوله تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالمَعرُوفِ وَيَنهَونَ عَنِ المُنكَرِ﴾ [التوبة: ٧١]، فوجود المنكر في البيت يتطلب النهي عنه؛ لأن عدم القدرة على النهي عنه أمرٌ خطير ربما أدى إلى نقص الإيمان من فاعله.

إن وقوع الفتن له فوائد: فهي تميِّز الصديق من العدو، وتساعد المسلم على مراجعة النفس ومحاسبتها، وتُظهر مقدار الإيمان وثباته في القلب، كذلك تساعد المسلم على اختبار بعض الأساليب والوسائل التي تساعده على تجاوز الفتن، ومن فوائدها أيضًا: أنها تصحح كثيرًا من المفاهيم والمواقف، مثل: التعرّف إلى سنن اللَّه تعالى في خلقه وأقداره، و﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١]، الآية، قال الطبري: مراد اللَّه تعالى ذِكره يعني: إن اللَّه لا يغير ما بقوم من عافية ونعمة، فيزيل ذلك عنهم ويُهلكهم، حتى يغيروا ما بأنفسهم من ذلك، بظلم بعضهم بعضًا، واعتداء بعضهم على بعض، فتحلّ بهم حينئذٍ عقوبته وتغييره(٢).

---

(١) القرطبي، أبو عمر يوسف بن عبد البر، التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، المغرب، وزارة الأوقاف ١٣٨٧هـ، ج١٧/ ٢٨٣.

(٢) الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان في تأويل القرآن، بيروت، مؤسسة الرسالة، ج١، ٢٠٠٠م، سورة الرعد، ج١٦/ ٣٨٢.

لذا، على المسلم أن يعجِّل في عمل الطاعات؛ لأنه لا يدري ما يعرِض له من فتنٍ وموانعَ تعيقه عن فعل الطاعات، قال ـ ﷺ ـ: « بَادِرُوا بِالأَعْمَالِ فِتَنًا كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا أَوْ يُمْسِي مُؤْمِنًا وَيُصْبِحُ كَافِرًا يَبِيعُ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا »[(١)]، أي: أسرعوا بالقيام بالأعمال الصالحة واغتنام الأوقات قبل مجيء الفتن المظلمة من القتل، والنهب والسرقة، والاختلاف بين المسلمين في أمر الدنيا والدين، هذه الفتن وصفها رسول اللَّه ـ ﷺ ـ بأنها: «كقطع الليل المظلم» إشارةً إلى تتابع الفتن المضلة، فكلما انقضى منها فتنةٌ أعقبتها أخرى، فتؤثّر على إيمان المسلم؛ لأن الفتن إذا تراكمت أفسدت القلب وأورثته القسوة والغفلة التي هي سبب الشقاء، فيستحل المسلم ما حرَّمه اللَّه تعالى ورسوله ـ ﷺ ـ[(٢)].

فهناك أمورٌ لا ينفع بعدها عمل، كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا﴾ [الأنعام: ١٥٨]، فماذا يفعل من رأى أن الحق أصبح باطلًا، والباطل أصبح حقًّا، إلا أن يرجع في هذه الأمور إلى الكتاب والسنّة، ويلتزم توجيهاته ـ ﷺ ـ فيها، وهي المخرج لكل مسلم من الفتن.

ومن هذه التوجيهات النبوية:

- **[المبحث الأول] الدعاء:**

أمر اللَّهُ تعالى عباده بالدعاء، وضمن لهم الإجابة، فقال عز وجل: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠].

وقال رسول اللَّه ـ ﷺ ـ: «إِنَّ الدُّعَاءَ هُوَ الْعِبَادَةُ»، ثُمَّ قَرَأَ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿ادْعُونِي

(١) أخرجه مسلم في صحيحه واللفظ له باب الحث على المبادرة بالأعمال برقم ١١٨، والترمذي في السنن برقم ٢١٩٥، وقال: حديث حسن صحيح، وأحمد في المسند ١٣/ ٤٠٠ الحكم على الحديث: صحيح.

(٢) المباركفوري، تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، ج٦/ ٣٦٤، والشافعي، محمد علي علان، دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، بيروت، دار المعرفة، ط٤، ٢٠٠٤م، ج٢/ ٢٩٨.

أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠][١]. قال ابن حجر: قال الجمهور: معنى الحديث أن الدعاء من أعظم العبادة، فهو كالحديث الآخر «الْحَجُّ عَرَفَةُ»[٢]، أي: معظم الحجِّ وركنه الأكبر: الوقوف بعرفة[٣].

فالدعاء عبادة جليلة تترتب عليها فائدة جميلة وهي: الامتثال الرباني لقوله تعالى: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠]

قال الطِّيبي: إن الدعاء هو: إظهار غاية التذلل والافتقار إلى اللَّه، والاستكانة له، وما شُرعت العبادات إلا للخضوع للباري، وإظهار الافتقار إليه، ولهذا ختم اللَّهُ تعالى الآية السابقة بقوله سبحانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي﴾ حيث عبّر سبحانه عن عدم التذلل والخضوع له بالاستكبار، وجعل سبحانه جزاء الاستكبار: الهوان[٤]

(١) أخرجه أحمد في المسند واللفظ له في ٣٠/ ٣٣٦، وأخرجه أبو داود في السنن باب الدعاء برقم ١٤٧٩ وسكت عنه، وأخرجه الترمذي في السنن برقم ٣٢٤٧ باب سورة المؤمنون، وقال: حسن صحيح، وأخرجه ابن ماجة في السنن باب فضل الدعاء برقم ٣٨٢٨، وأخرجه الحاكم في المستدرك وصححه ١/ ٦٦٧، كتاب الدعاء. الحكم على الحديث: إسناده صحيح، رجاله ثقات، قال المناوي في التيسير بشرح الجامع الصغير ٢/ ١١: روي بأسانيد صحيحة. وقال ابن حجر في فتح الباري: أخرجه أصحاب السنن بسند جيد، ج١/ ٤٩، وقال النووي: هذا الحديث رويناه بالأسانيد الصحيحة، أبو زكريا، محيي الدين، الأذكار، بيروت، دار الفكر، ١٩٩٤م، ١/ ٣٨٧ برقم ١١٦١ وقال الألباني، أبو عبدالرحمن محمد ناصرالدين في صحيح أبي داود: إسناده صحيح، الكويت، مؤسسة غراس للنشر، ط١، ٢٠٠٢، ج٥/ ٢١٩،

(٢) أخرجه أحمد في المسند ٣١/ ٦٤، واللفظ له، وابن ماجه في السنن ٢/ ١٠٠٣ برقم ٣٠١٥، والترمذي في السنن، باب فيمن أدرك الإمام بجمع ٢/ ٢٢٩ برقم ٨٩٠، وقال سفيان بن عيينة: هذا أجود حديث رواه سفيان الثوري، وأخرجه أيضا الترمذي في السنن بلفظ (عرفات) في باب سورة البقرة ٥/ ٦٤ برقم ٢٩٧٥ وقال: هذا حديث حسن صحيح، والنسائي في السنن ٥/ ٢٥٦، والحاكم في المستدرك ٢/ ٣٠٥ في كتاب المناسك وصححه الحاكم.) الحكم على الحديث: صحيح رجال أحمد ثقات، قال الترمذي في السنن ٦/ ٢٥٧: هذا الحديث صحّ عند أهل الحديث بهذا الإسناد، وقال الألباني، في سلسلة الأحاديث الصحيحة: صحيح، ١/ ٦٠٦ برقم ٣١٧٢.

(٣) ابن حجر، فتح الباري ١١/ ٩٤، كتاب الدعوات.

(٤) المباركفوري، تحفة الأحوذي، باب ما جاء في فضل الدعاء ج٩/ ٢٢٠.

﴿سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠].

وكيفيَّة الدعاء: أن يرفع المسلم يديه، ويدعوَ بكل إخلاص، ويكرِّر الدعاء، ولكن يُشترط أن يكون: مطعمه ومشربه وملبسه من حلال، وكذلك يشترط ألا يكون في دعائه إثمٌ أو قطيعة رحم[(١)]، وألّا يستعجل الإجابة فيترك الدعاء، يقول رسول اللَّه ـ ﷺ ـ: «يُسْتَجَابُ لِأَحَدِكُمْ مَا لَمْ يَعجَلْ، يَقُولُ: قَدْ دَعَوْتُ رَبِّي، فَلَمْ يُسْتجَبْ لِي»[(٢)].

ويفتتح دعاءه بحمد اللَّه، والصلاة والسلام على رسول اللَّه ـ ﷺ ـ ففي الحديث: «إِذَا صَلَّى أَحَدُكُمْ فَلْيَبْدَأْ بِتَحْمِيدِ رَبِّهِ جَلَّ وَعَزَّ وَالثَّنَاءِ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصَلِّي عَلَى النَّبِيِّ ـ ﷺ ـ ثُمَّ يَدْعُو بَعْدُ بِمَا شَاءَ»[(٣)]

والدعاء مشروعٌ في كل وقت، ولكنّ هناك أوقاتًا أخصَّ للدعاء، منها:

- ثُلث الليل الآخر[(٤)]، لقوله ـ ﷺ ـ: «يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى

(١) لحديث: «لَا يَزَالُ يُسْتَجَابُ لِلْعَبْدِ مَا لَمْ يَدْعُ بِإِثْمٍ أَوْ قَطِيعَةِ رَحِمٍ»، أخرجه مسلم في صحيحه برقم ٢٧٣٥ في باب بيان أنه يُستجاب للداعي ما لم يعجل، وأخرج نحوه الترمذي في السنن، باب ما جاء أن دعوة المسلم مستجابة برقم ٣٣٨١، وأحمد في المسند ٣٤/ ٩. الحديث؛صحيح

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه واللفظ له برقم ٢٧٣٥ باب يستجاب للداعي ما لم يعجل، واخرجه البخاري في صحيحه في باب يستجاب للعبد ما لم يعجل، وأخرجه أبو داود في السنن باب الدعاء برقم ١٤٨٤ وسكت عنه، وأخرجه الترمذي في السنن برقم ٣٣٨٧ باب فيمن يستعجل في دعائه وقال: حديث حسن صحيح، وأخرجه أحمد في المسند ١٦/ ٢١١. الحكم على الحديث: صحيح.

(٣) أخرجه أحمد في المسند واللفظ له في ٣٩/ ٣٦٣، وأخرجه الترمذي في السنن باب رقم ٦٥ برقم ٣٤٧٧، وقال:حسن صحيح، وأبو داود في السنن باب الدعاء برقم ١٤٨١ وسكت عنه، وابن خزيمة.أبو بكر محمد بن إسحاق، في الصحيح، بيروت، المكتب الإسلامي ١/ ٣٥١ برقم ٧١٠ (بدون تاريخ)، والحاكم في المستدرك في ك الإمامة وصلاة الجماعة ١/ ٤٠١، وصححه الحاكم والذهبي. الحكم على الحديث: الحديث عند أحمد في المسند، إسناده حسن، لحال حميد بن هاني أبو هاني الخولاني، قال ابن حجر والنسائي: لا بأس به، وقال الدار قطني: لا باس به ثقة، ووثقه الذهبي، وذكره ابن حبان وابن شاهين في كتاب الثقات، وقال =ابن عبد البر: هو عندهم صالح الحديث لا بأس به. (المزي، تهذيب الكمال ٧/ ٤٠٢، الذهبي، الكاشف ١/ ٣٥٥، ابن حجر، تهذيب التهذيب ٣/ ٥١، والتقريب ١/ ١٨٢).

(٤) ثلث الليل الآخر: يبدأ الليل من غروب الشمس وينتهي عند أذان الفجر، فتُقسم هذه الساعات على ثلاثة ثم =

السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرُ يَقُولُ مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ ؟»(١).

- وبين الأذان للصلاة والإقامة، لحديث: «إِنَّ الدُّعَاءَ لَا يُرَدُّ بَيْنَ الْأَذَانِ وَالْإِقَامَةِ فَادْعُوا»(٢).

- والدعاء يومَ الجمُعة، وتحديدًا في ساعة منه، وقد اختلف العلماء فيها وفي موضعها على أكثرَ من أربعين قولًا ذكرها الحافظ ابن حجر في الفتح(٣)، وأرجحُ هذه الأقوال قولان تضمَّنتهما الأحاديث الثابتة، أحدهما أرجح من الآخر كما قال ابن القيِّم(٤)، فالقول **الأول**: أنها من جلوس الإمام إلى انقضاء الصلاة، وحجة هذا القول: ما رواه مسلم، من حديث أَبِي بُرْدَةَ بْنِ أَبِي مُوسَى الأَشْعَرِيِّ قَالَ قَالَ لِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ

= نحتسب الثلث الأخير وهو المقصود في الحديث، مثال: إذا بدأ أذان المغرب الساعة ٥.٣٠ مثلاً وأذان الفجر يؤذن في الساعة ٤.٣٠ إذن عدد الساعات هنا ١١ ساعة، وبقسمة هذا الرقم على ثلاثة يكون ثلث الليل الآخر يبدأ من الساعة ٢.٣٠ حتى ٤.٣٠ عند أذان الفجر، واللَّه أعلم.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه واللفظ له في باب الدعاء، ومسلم في صحيحه باب الترغيب في الدعاء برقم ٧٥٨، وابن ماجه في السنن، باب: ما جاء في أي ساعات الليل أفضل؟ برقم ١٣٦٦، وأبو داود في السنن باب أي الليل أفضل؟برقم ١٣١٥وسكت عنه، والدارمي، أبو محمد عبد اللَّه بن عبد الرحمن، في مسند الدارمي المعروف بـ(سنن الدارمي)السعوديه دار المغني للنشر، ط١، ٢٠٠٠ م باب ينزل اللَّه إلى السماء الدنيا ٢/ ٩٢٧ برقم ١٥١٩، والترمذي في السنن برقم ٣٤٩٨، وقال: حديث حسن صحيح، والنسائي في السنن الكبرى باب المعافاة والعقوبة ٧/ ١٦٧ برقم ٧٧٢٠، وأحمد في المسند١٦/ ٢١١ الحكم على الحديث:صحيح.

(٢) أخرجه أحمد في المسند واللفظ له في ٢٠/ ٤١، وابن أبي شيبة في المصنف، وأبو يعلى، في المسند، ج٦/ ٣٥٣، وابن خزيمة في صحيحه باب استجابة الدعاء بين الأذان والإقامة ج١/ ٢٢٢ برقم ٤٢٦، وابن حبان في الإحسان ٤/ ٥٩٤ برقم ١٦٩٦، والترمذي في السنن باب الدعاء لا يرد بين الأذان والإقامةبرقم:٢١٢ وقال: حديث حسن. الحكم على الحديث: الحديث إسناده صحيح ورجاله ثقات، وقال ضياء الدين المقدسي في الأحاديث المختارة ٤/ ٣٩٣: إسناده صحيح.

(٣) ابن حجر، فتح الباري ٢/ ٤١٦-٤٢١.

(٤) ابن القيم، محمد بن أبي بكر الجوزية، زاد المعاد في هدى خير العباد، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط٢٧، ١٩٩٤م، ج ١/ ٣٧٧.

أَسَمِعْتَ أَبَاكَ يُحَدِّثُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ -ﷺ- فِي شَأْنِ سَاعَةِ الْجُمُعَةِ قَالَ قُلْتُ نَعَمْ سَمِعْتُهُ يَقُولُ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ـ ﷺ ـ يَقُولُ « هِيَ مَا بَيْنَ أَنْ يَجْلِسَ الإِمَامُ إِلَى أَنْ تُقْضَى الصَّلاَةُ »(١).

والقول الثاني: أن وقتها بعد صلاة العصر إلى غروب الشمس، وهذا القولُ أرجحُ القولين، وهو قول جماعة من الصحابة والتابعين(٢)، وقول عبد اللَّه بن سلَام وأبي هريرة والإمام أحمدَ وخلق، وحجة هذا القول(٣): حديث رسول اللَّه ـ ﷺ ـ: «يومُ الجمُعة ثنتا عشْرةَ، يريد: ساعةً، لا يُوجَدُ مُسْلِمٌ يَسْأَلُ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ شَيئًا إِلَّا آتَاهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، فَالْتَمِسُوهَا آخرَ سَاعَةٍ بَعْدَ الْعَصْرِ»(٤)، أي: بعد صلاة العصر. فهذه الساعة

(١) أخرجه مسلم في صحيحه في باب: في الساعة التي في يوم الجمعة برقم ٨٥٣، قال النووي، أبو زكريا محيي الدين، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط٢، ١٣٩٢هـ، ج٦/ ١٤١ :قال مسلم هو أجود حديث وأصحه في بيان ساعة الجمعه ، وأخرجه أبو داود في السنن، باب الإجابة أية ساعة هي برقم ١٠٤٩، قَالَ أَبُو دَاوُدَ: «يَعْنِي عَلَى الْمِنْبَرِ»، وأخرجه ابن خزيمة، في صحيحه، ج٣/ ١٢٠. الحكم على الحديث: صحيح.

(٢) القرطبي، أبو الوليد سليمان بن خلف، المنتقى شرح الموطأ، القاهرة، دار الكتاب الإسلامي، ط١، ١٣٣٢هـ، ج١/ ٢٠٠ وما بعدها.

(٣) ابن القيم، زاد المعاد ١/ ٣٧٧.

(٤) أخرجه أبو داود في السنن واللفظ له في باب الإجابة أي ساعة هي؟ برقم ١٠٤٨، وسكت عنه وأخرجه النسائي في السنن باب وقت الجمعة ج٣/ ٩٩، وأخرجه الحاكم وصحّحه في المستدرك ١/ ٤١٤، وأخرجه البيهقي، أحمد بن الحسين في شعب الإيمان، الرياض، مكتبة الرشد، ط١، ٢٠٠٣م، ج٤/ ٣٩٨، وأخرجه الطبراني، ابو القاسم سليمان بن أحمد في الدعاء، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٣هـ، ج١/ ٧٢ برقم ١٨٤. الحكم على الحديث:الحديث إسناده حسن لحال: الجلاح أبي كثير مولى عمر بن عبد العزيز، قال ابن حجر: صدوق، وقال الدارقطني: لا بأس به، ووثقه ابن عبد البر وابن حبان وابن خلفون وزاد: هو عندي ثقة مشهور. (ابن حجر، تقريب التهذيب ١/ ١٤٣، ابن حبان، كتاب الثقات ١/ ١٥٨، ومغلطاي الحنفي في إكمال تهذيب الكمال في أسماء الرجال، ج٣/ ٢٦٣.)
وحسّن إسناده: ابن حجر في فتح الباري ٢/ ٤٢٠، والقسطلاني في شرح الساري ٢/ ١٩١، والحنبلي، منصور بن يونس في كشاف القناع عن متن الإقناع، بيروت، دار الكتب العلمية، بدون تاريخ، ج٣/ ٤٣، والمباركفوري، ابو الحسن عبيد اللَّه بن محمد في مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، الهند، إدارة =

يُستجاب فيها الدعاء كما قال رسولنا الكريم ـ ﷺ ـ: «فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ سَاعَةٌ لَا يُوَافِقُهَا[١] مُسْلِمٌ[٢] وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي يَسْأَلُ اللَّهَ خَيْرًا إِلَّا أَعْطَاهُ»[٣].

- يومُ عرفة، وهو من الأوقات المباركة التي يُستجاب فيها الدعاء أيضًا، ففي الحديث قال رسول اللَّه ـ ﷺ ـ: « " مَا مِنْ يَوْمٍ أَكْثَرَ مِنْ أَنْ يُعْتِقَ اللَّهُ فِيهِ عَبْدًا مِنْ النَّارِ مِنْ يَوْمِ عَرَفَةَ وَإِنَّهُ لَيَدْنُو ، ثُمَّ يُبَاهِي بِهِمْ الْمَلَائِكَةَ فَيَقُولُ: مَا أَرَادَ هَؤُلَاءِ؟[٤]»[٥].

= البحوث العلمية، ط٣/ ١٩٨٤م، ج٤/ ٤٣٠، وصحّح إسناده: العراقي أبو الفضل زين الدين عبد الرحيم، طرح التثريب في شرح التقريب، القاهرة، دار الفكر العربي، بدون تاريخ ج٣/ ١٧٤، والنووي، أبو زكريا محيي الدين في المجموع شرح المهذب، القاهرة، دار الفكر (بدون تاريخ) ج٤/ ٥٤١، وصحّح إسناده أيضاً الأنصاري، زكريا بن محمد في الغرر البهية في شرح البهجة الوردية، المطبعة الميمنية، بدون تاريخ، ج٢/ ٣٢، والرملي، شمس الدين محمد بن أبي العباس في غاية البيان في شرح زيد بن رسلان، بيروت، دار المعرفة، بدون تاريخ، ج١/ ١٢٧، والألباني، ابو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، في صحيح الجامعة الصغير وزياداته، بيروت، المكتب الإسلامي، بدون تاريخ، ج٢/ ١٣٦٠ برقم ٨١٩٠، وابن رجب الحنبلي، زين الدين، في فتح الباري شرح صحيح البخاري، المدينة المنورة، مكتبة الغرباء الأثرية، ط١، ١٩٩٦م، ج٨/ ١٠١، وقال: أخرجه أبو داود والنسائي بإسناد كلهم ثقات.

(١) لا يوافقها: أي لا يصادفها. (القاري، مرقاة المفاتيح ٣/ ١٠١٢).

(٢) لا يوافقها مسلم: تخصيصاً لدعاء المسلمين بالإجابة في تلك الساعة. (القرطبي، المنتقى شرح الموطأ ١/ ٢٠٠).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه واللفظ له في باب الدعاء في الساعة التي في يوم الجمعة، ومسلم في صحيحه باب في الساعة التي في يوم الجمعة برقم ٨٥٢، وابن ماجه في السنن برقم ١١٣٧، باب ما جاء في الساعة التي تُرجى يوم الجمعة، والترمذي في السنن برقم ٤٩١ وقال: حديث صحيح، والنسائي في السنن الكبرى ٩/ ١٧٧ برقم ١٠٢٣٥، باب: ما يستحب من الاستغفار يوم الجمعة، وأحمد في المسند ١٢/ ٦٢. الحكم على الحديث: صحيح.

(٤) ما أراد هؤلاء: قال القاري: أي: أيَّ شيء أراد هؤلاء حيث تركوا أهلهم وأوطانهم وصرفوا أموالهم وأتعبوا أبدانهم، أي: ما أرادوا إلا المغفرة والرضا والقرب واللقاء، وهذا شيئًا سهلًا يسيرًا عند رب الأرباب. (القاري، مرقاة المفاتيح ٥/ ١٨٠٠).

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه واللفظ له باب فضل الحج والعمرة برقم ١٣٤٨، وابن ماجه في السنن باب الدعاء بعرفة برقم ٣٠١٤، والنسائي في السنن باب ما ذكر في يوم عرفة برقم ٣٠٠٣. الحكم على الحديث: صحيح.

- وكذلك الدعاءُ في جميع ساعات الليل رجاءَ أن يصادف الداعي ساعةَ الاستجابة، ففي الحديث قال النبيَّ ﷺ: «"إِنَّ فِي اللَّيْلِ لَسَاعَةً، لَا يُوَافِقُهَا رَجُلٌ مُسْلِمٌ، يَسْأَلُ اللَّهَ خَيْرًا مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، إِلَّا أَعْطَاهُ إِيَّاهُ، وَذَلِكَ كُلَّ لَيْلَةٍ»[1].

- عند نزول المطر، قال الشوكاني: يستحب الدعاء عند نزول المطر[2]، وعن عائشة، أن رسول اللَّه ـ ﷺ ـ كَانَ إِذَا رَأَى الْمَطَرَ، قَالَ: «اللَّهُمَّ صَيِّبًا[3] نَافِعًا»[4]، قال الشافعي: وقد حفظتُ عن غير واحدٍ طلبَ الإجابة عند نزول الغيث[5].

- وعند السجود، لقوله ـ ﷺ ـ: «أقربُ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ مِنْ رَبِّهِ، وَهُوَ سَاجِدٌ، فَأَكْثِرُوا الدُّعَاءَ»[6].

وأن يسأل اللَّهَ بأسمائه الحسنى، لقول تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠].

ومن الفئات الذين تُستجاب دعوتهم:

- المظلوم، لقوله ـ ﷺ ـ لمعاذ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ: «اتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ، فَإِنَّهُ

(١) أخرجه مسلم في صحيحه واللفظ له باب في الليل ساعة برقم ٧٥٧، وأخرجه أحمد في المسند ٢٢/ ٢٥٥، وأخرجه أبو يعلى الموصلي في المسند، ج٣/ ٤٢٢، وأخرجه ابن حبان في صحيحه ٦/ ٣٠١ برقم ٢٥٦١، وأخرجه الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد في المعجم الصغير (الروض الداني)، بيروت، المكتب الإسلامي، ط١، ١٩٨٥م، ج٢/ ٩٦ برقم ٨٤٨ الحكم على الحديث: صحيح.

(٢) الشوكاني، محمد بن علي، نيل الأوطار، مصر، دار الحديث، ط١، ١٩٩٣م، ج٤/ ١٧.

(٣) صيبًا نافعًا: بتشديد الياء، أي مطرًا شديدًا نافعًا، لا مُغرقًا كقوم نوح عليه السلام. (القاري، مرقاة المفاتيح ٣/ ١١٠٧).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه واللفظ له باب ما يقال إذا أمطرت، وابن ماجة في السنن باب ما يدعو به الرجل إذا رأى السحاب برقم ٣٨٩٠، والنسائي في الكبرى، باب ما يقول إذا رأى المطر برقم ١٠٦٨٧، والإمام أحمدفي المسند ٤٠/ ١٧٢ والبيهقي في السنن الكبرى ج٣/ ٥٠٤ برقم ٦٤٦٦، باب مايقول إذا رأى المطر. الحكم على الحديث: صحيح.

(٥) الشافعي، أبو عبداللَّه محمد بن إدريس، كتاب الأم، بيروت، دار المعرفة، سنة ١٩٩٠، ج١/ ٢٨٩.

(٦) أخرجه مسلم في صحيحه واللفظ له برقم ٤٨٢ باب ما يقال في الركوع والسجود، وأحمد في المسند ١٥/ ٢٧٤، وأبو داود في السنن برقم ٨٧٥ باب الدعاء في الركوع والسجود، وسكت عنه، والنسائي في السنن ٢/ ٢٢٦. الحكم على الحديث: صحيح.

لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللَّهِ حِجَابٌ»[١][٢].

- ودعوة المرء المسلم لأخيه بظهر الغيب مستجابة، أي: في غيبة المدعوِّ له وفي سرّه؛ لأنه أبلغ في الإخلاص[٣]، فقال رسول اللَّه ـ ﷺ ـ: «دَعْوَةُ الْمَرْءِ الْمُسْلِمِ لِأَخِيهِ بِظَهْرِ الْغَيْبِ مُسْتَجَابَةٌ»[٤].

- والمسلم يستيقظ من نومه ليلًا، تُستجاب دعوته لحديث رسول اللَّه ـ ﷺ ـ: قَالَ « مَنْ تَعَارَّ[٥] مِنَ اللَّيْلِ فَقَالَ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ ، لَهُ الْمُلْكُ ، وَلَهُ الْحَمْدُ ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ . الْحَمْدُ لِلَّهِ ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ ، وَلاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ ، وَلاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللَّهِ . ثُمَّ قَالَ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِى . أَوْ دَعَا اسْتُجِيبَ ، فَإِنْ تَوَضَّأَ وَصَلَّى قُبِلَتْ صَلاَتُهُ » [٦].

(١) ليس بينها وبين اللَّه حجاب: أي أنها دعوة مسموعة لا تُرد. (النووي في شرح صحيح مسلم ١/ ١٩٧).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه واللفظ له، باب الاتقاء والحذر من دعوة المظلوم، ومسلم في صحيحه في باب الدعاء كالشهادتين برقم ١٩، والترمذي في السنن باب ما جاء في دعوة المظلوم برقم:٢٠١٤وقال: حسن صحيح، وابن ماجة في السنن، باب فرض الزكاة برقم ١٧٨٣، وأبو داود في السنن باب في زكاة السائمة برقم ١٥٨٤، وسكت عنه، والنسائي في الكبرى، في باب إخراج الزكاة من بلد إلى بلد، ج٣/ ٤٥. الحكم على الحديث:صحيح.

(٣) النووي، أبو زكريا محيي الدين، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط٢، ١٣٩٢هـ، ج١٦/ ٣٧.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه واللفظ له، باب فضل الدعاء للمسلمين برقم ٢٧٣٣، وأبو داود في السنن برقم ١٥٣٤، وسكت عنه، وابن ماجه في السنن برقم ٢٨٩٥، والإمام أحمد في المسند ٤٥/ ٥٣٩. الحكم على الحديث: صحيح.

(٥) تعارَّ: تعار بمهملة وراء مشددة: السهر والتقلب على الفراش ليلًا مع كلام. وهذا هو السر في اختيار لفظ (تعار) بدلًا من (استيقظ) أو (انتبه)؛ لأن هذا الثواب يستحقه من تعوّد الذكر وغلب عليه حتى صار حديث نفسه في نومه ويقظته، فرسول اللَّه ـ ﷺ ـ قد أكرم من اتصف بذلك وبشَّره بإجابة دعوته وقبول صلاته. (ابن حجر، فتح الباري ٣/ ٤٠).

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه واللفظ له في باب فضل من تعار من الليل، وأبو داود في السنن باب ما يقول الرجل إذا تعار من الليل برقم ٥٠٦٠، وسكت عنه، وابن ماجة في السنن باب ما يدعو به إذا انتبه من الليل برقم٣٨٧٨، والترمذي في السنن باب ما جاء في الدعاء إذا انتبه من الليل برقم ٣٤١٤، وقال: حسن =

- وكذلك المسلم الذي يدعو بدعاء يونُسَ عليه السلام يُستجاب له، ففي الحديث: «دَعْوَةُ ذِي النُّونِ، إِذْ هُوَ فِي بَطْنِ الْحُوتِ: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧] فَإِنَّهُ لِمْ يَدْعُ بِهَا مُسْلِمٌ رَبَّهُ فِي شَيْءٍ قَطُّ إِلَّا اسْتَجَابَ لَهُ»(١).

أدعيةُ الفتن:

وهناك أدعية خاصة يقولها المسلم عند وقوع الفتن، وقد أمرنا نبينا الكريم بالاستعاذة بها من الفتن، مثل حديث: « عُوذُوا بِاللَّهِ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ عُوذُوا بِاللَّهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ عُوذُوا بِاللَّهِ مِنْ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ عُوذُوا بِاللَّهِ مِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ»(٢).

= صحيح غريب، والنسائي في الكبرى ج٩/ ٣١٧، وأحمد في المسند ٣٧/ ٣٤٧.الحكم على الحديث: صحيح.

(١) أخرجه أحمد في المسند واللفظ له ج٣/ ٦٥، وأخرجه أبو يعلى الموصلي في المسند ٢/ ١١٠، والبزار أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبدالخالق في المسند، المدينة المنورة، مكتبة العلوم والحكم، ط١، ٢٠٠٩م، ج٤/ ١٤، قال الهيثمي في مجمع الزوائد ١٠/ ١٥٩: رواه أحمد وأبو يعلى والبزار ورجال أحمد وأبي يعلى وأحد إسنادي البزار رجال الصحيح غير إبراهيم بن محمد بن سعد، وهو ثقة، وقال المقدسي في الأحاديث المختارة ٣/ ٢٣٤: "إسناده عند أحمد صحيح"، وأخرجه الحاكم في المستدرك ٢/ ٤١٤ وصححه الحاكم والذهبي، وأخرجه النسائي في الكبرى ٩/ ٢٤٣، والترمذي في السنن برقم ٣٥٠٥.الحكم على الحديث:الإسناد حسن لحال يونس بن أبي إسحاق الهمداني؛ قال أبو حاتم: صدوق لا يحتج به، وقال النسائي وابن مهدي وابن معين: ليس به بأس، وقال مرة: ثقة، وقال الذهبي: صدوق، وقال أحمد: حديثه مضطرب، وقال أبو أحمد الحاكم: ربما وهم في روايته، وقال العجلي: جائز الحديث، وقال الساجي: صدوق، وذكره ابن حبان وابن شاهين في الثقات، (ابن حجر.تهذيب التهذيب ١١/ ٤٣٤، الذهبي، الكاشف ٢/ ٤٠٢).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه واللفظ له في باب ما يُستعاذ منه في الصلاة برقم ٥٨٨، و النسائي في السنن باب الاستعاذة من عذاب اللَّه ج٨/ ٢٧٧، وأبو يعلى الموصلي في المسند ١١/ ١٦٨، والبيهقي، في إثبات عذاب القبر وسؤال الملكين، ج١/ ١١٦، والحميدي، في المسند، ج٢/ ٢٠١. الحكم على الحديث: صحيح.

وقد بدأ رسول اللَّه ـ ﷺ ـ بنفسه بالاستعاذة، فيما تروي السيدة عَائِشَةَ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ـ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ـ ﷺ ـ كَانَ يَدْعُو بِهَؤُلاَءِ الدَّعَوَاتِ « اللَّهُمَّ فَإِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ النَّارِ وَعَذَابِ النَّارِ وَفِتْنَةِ الْقَبْرِ وَعَذَابِ الْقَبْرِ وَمِنْ شَرِّ فِتْنَةِ الْغِنَى وَمِنْ شَرِّ فِتْنَةِ الْفَقْرِ وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ »[(١)].

وإنما تعوّذ النبيُّ ـ ﷺ ـ من هذه الأمور تعليمًا لأمته، فإن اللَّه تعالى كان أمّنه من جميع ذلك[(٢)].

وقد أمرنا رسولنا الكريم ـ ﷺ ـ بأن نستعيذ باللَّه من الفتن بعد التشهد الأخير من الصلاة، يقول أبو هريرة ـ رضي اللَّه عنه ـ: قال رسول اللَّه ـ ﷺ ـ: « « إِذَا فَرَغَ أَحَدُكُمْ مِنَ التَّشَهُّدِ الآخِرِ فَلْيَتَعَوَّذْ بِاللَّهِ مِنْ أَرْبَعٍ مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ وَمِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ وَمِنْ شَرِّ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ »[(٣)]. قال جمهور العلماء: يُستحبُّ الإتيان بهذا الدعاء قبل السلام في التشهد الأخير، ويمكن للمصلي أن يتخيّرَ من الدعاء ما شاء بعد هذه الاستعاذة وقبل السلام[(٤)].

وبلغ من أهمية هذه الأمور الأربعة، واهتمام رسول اللَّه ـ ﷺ ـ بها: أَنَّهُ كَانَ يُعَلِّمُهَا

(١) أخرجه مسلم في صحيحه واللفظ له في باب التعوذ من شر الفتن برقم ٥٨٩، وأخرجه البخاري في صحيحه باب التعوذ من فتنة الفقر، واخرجه ابن ماجة في السنن باب ما تعوّذ منه رسول اللَّه ـ ﷺ ـ برقم ٨٣٨، وأخرجه أبو داود مختصراً في السنن باب في الاستعاذة برقم ١٥٤٣، وسكت عنه، وأخرجه الترمذي في السنن باب الدعوات برقم ٣٤٩٥ وقال: حديث حسن صحيح، وأخرجه النسائي في السنن باب الاستعاذة من شر فتنة الفقر، ج٨/ ٢٦٢، وأخرجه أحمد في المسند ٤٠/ ٣٤٥. الحكم على الحديث: صحيح.

(٢) ابن حجر، فتح الباري ١١/ ١٤٩.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه واللفظ له باب ما يُستعاذ منه في الصلاة برقم ٥٨٨، وأبو داود في السنن باب ما يقول بعد التشهد برقم ٩٨٣، وسكت عنه، وأحمد في المسند ١٢/ ١٧٦، وابن ماجه في السنن باب ما يقال في التشهد برقم ٩٠٩. الحكم على الحديث: صحيح.

(٤) العراقي، أبو الفضل زين الدين، طرح التثريب ٣/ ١٠٧.

لِلصَّحَابَةِ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ـ كَمَا يُعَلِّمُهُمُ السُّورَةَ مِنَ الْقُرْآنِ [1]، وهذا دليلٌ على شدة الاهتمام بهذا الدعاء، وحفظه ومنع النقص منه، والمحافظة عليه، ووجهُ تشبيه هذا الدعاء بسورةٍ من القرآن الكريم هو عموم الحاجة إليه دائمًا، كالحاجة إلى القراءة في كل الصلوات[2]. وانتقل هذا الاهتمام إلى الصحابة رضوان اللَّه عليهم في تعليمهم هذا الدعاءَ لأبنائهم، فهذا سعد بن أبي وقاص ـ رضي اللَّه عنه ـ يعلِّم بَنِيه هؤلاء الكلمات، كما يعلِّم المعلِّم الغلمانَ الكتابةَ، ويقول: إن رسول اللَّه ـ ﷺ ـ كان يتعوّذ منهن دُبُر الصلاة [3]. وكذلك طاووس كان يعلمها ولده حتى إِنَّهُ حِينَ سَأَلَ وَلَدَهُ :أَدَعَوْتَ بِهَا فِي صَلَاتِكَ؟ فَقَالَ: لَا، قَالَ لَهُ: أَعِدْ صَلَاتَكَ(٦).

وقد ثبت أن النبيَّ ـ ﷺ ـ كان يدعو للميت بأن يقيَه اللَّه من فتنة القبر وعذاب النار[4]؛ لأن فتنة القبر تعني: أن يتحيّر الميت في جواب الملكين المؤدِّي إلى عذاب القبر، أو أن يأتي الملكان للميت على صورةٍ غيرِ حسنة[5].

(١) أخرجه مسلم في صحيحه واللفظ له في باب ما يُستعاذ منه في الصلاة برقم ٥٩٠، والترمذي في السنن في باب الدعوات برقم ٣٤٩٤وقال:حسن صحيح غريب، وأبو داود في السنن باب في الاستعاذة برقم ١٥٤٢، وسكت عنه، وابن ماجه في السنن في باب ما تعوّذ منه رسول اللَّه ـ ﷺ ـ برقم ٣٨٤٠، والنسائي في السنن ج٤/ ١٠٤، وأحمد في المسند، ج٤/ ٦١. الحكم على الحديث: صحيح.

(٢) الزرقاني، محمد بن عبدالباقي، شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك، القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية، ط١، ٢٠٠٣م، ج٢/ ٥٢، وابن حجر في فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ج١١/ ١٨٤.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه واللفظ له في باب ما يتعوّذ من الجُبن، والترمذي في السنن برقم ٣٥٦٧ وقال: حسن صحيح، والنسائي في السنن في باب الاستعاذة من البخل ج٨/ ٢٥٦. الحكم على الحديث:صحيح.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه في باب مايُستعاذ منه في الصلاة برقم ٥٩٠. الحكم على الحديث: صحيح.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه واللفظ له في باب الدعاء للميت برقم ٩٦٣، وابن ماجه في السنن في باب الدعاء في الصلاة على الجنازة برقم ١٥٠٠، والنسائي في الكبرى في باب الدعاء للميت برقم ١٠٨٥٩، ج٩/ ٣٩٨. الحكم على الحديث:صحيح.

(٥) القاري، مرقاة المفاتيح ج٣/ ١١٩٨، والهيثمي، أحمد بن محمد في كتاب تحفة المحتاج في شرح المنهاج، بيروت، دار إحياء التراث العربي، نشر سنة ١٩٨٣م، ج٣/ ٢٠٨.

وفتنةُ القبر تشبه في شدَّتها فتنة الدجال، أو تقرُب منها، ففي الحديث: « أَنَّكُمْ تُفْتَنُونَ فِي قُبُورِكُمْ مِثْلَ أَوْ قَرِيبَ لَا أَدْرِي أَيَّ ذَلِكَ قَالَتْ أَسْمَاءُ مِنْ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ» (١).

والدُّعاء بالأمور الأربعة السابقة فيها: الاستعاذة من فتنة المحيا وهي فتنة الدجال، وأيضًا ما يتعرَّض له الإنسان في حياته من انشغال بالدنيا والشهوات، وفيها أيضًا الاستعاذة من فتنة الممات، وتعني عذاب القبر (٢).

وقد أوصى النبيُّ ـ ﷺ ـ معاذًا ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ أن يقول في دبُر كل صلاة: «اللهمَّ أعنِّي على ذكرك وشُكْرِك وحُسن عِبَادَتِكَ»(٣)؛ لأن اللَّه سبحانه وتعالى: ﴿يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾ [النمل: ٦٢]، والذي يخاف على نفسه من الفتن أعظمُ المضطرين، لذا كان ـ عليه الصلاة والسلام ـ دائمًا ما يأمر أصحابه بالاستعاذة من الفتن وأنواعها، فقد كان يومًا مع الصحابة ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ـ عندما مرَّ بمجموعة من القبور، فأقبل على الصحابة بوجهه وقال: «تعوَّذوا باللَّه من عذاب النار»، قالوا: نعوذ باللَّه من عذاب النار، قال: «تعوَّذوا باللَّه من عذاب القبر»، قالوا: نعوذ باللَّه من عذاب القبر، فقال: «تعوَّذوا باللَّه من الفتن ما ظهر منها وما بطن»، قالوا: نعوذ باللَّه من الفتن ما

(١) أخرجه البخاري في صحيحه واللفظ له في باب من أجاب الفتيا بإشارة، والدارمي في السنن في باب الصلاة عند الكسوف، والنسائي في السنن ٤/ ١٠٣ برقم ٢٠٦٢ باب التعوذ من عذاب القبر. الحكم على الحديث: صحيح.

(٢) الزرقاني، شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك ٢/ ٥٣، وأبو عبد الرحمن، عبداللَّه بن عبدالرحمن، في كتاب تيسير العلام شرح عمدة الأحكام، القاهرة، مكتبة الصحابة، ط١٠، ٢٠٠٦م، ج١/ ٢١٣.

(٣) أخرجه أحمد في المسند واللفظ له، ج٣٦/ ٤٣٠، وأخرجه أبو داود في الفتن باب في الاستغفار برقم ١٥٢٢، وسكت عنه، وأخرجه النسائي في السنن الكبرى باب الحث على قول ربِّ أعني برقم ٩٨٥٧، وأخرجه الحاكم في المستدرك ٣/ ٣٠٧، وصححه الحاكم والذهبي وأخرجه ابن خزيمة في صحيحه برقم ٧٥١، وابن حبان في صحيحه برقم ٢٠٢٠. الحكم على الحديث: الإسناد صحيح، رجاله ثقات، وقال ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي في بلوغ المرام من أدلة الأحكام ١/ ٩٦: رواه أحمد وأبو داود والنسائي بسند قوي، الرياض، دار الفلق، ط٧، ١٤٢٤هـ، وقال النووي، =أبو زكريا محيي الدين في الأذكار: إسناده صحيح في سنن أبي داود والنسائي، بيروت، دار الفكر، ١٩٩٤، ج١/ ٧٣.

ظهر منها وما بطن، قال: «تَعَوَّذُوا بِاللَّهِ مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَّالِ»، قَالُوا: نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَّالِ[1]. لأن الفتن إذا أتتْ أصابتِ الجميع، وأولُ ما تُعرَض الفتن تُعرض على القلوب؛ لأن الفتن أولُ ما يتأثر بها هو القلب، كما قال رسول اللَّه ـ ﷺ ـ: «تُعرَض الفتن على القلوب كالحصير عُودًا عودًا [2]، فأيُّ قلبٍ أُشرِبَها[3]، نُكِت فيه نُكتةٌ سوداء[4]، وأيُّ قلبٍ أنكَرَهَا[5]، نُكِتَ فِيهِ نُكتةٌ بَيْضَاء، حَتَّى تَصِيرَ عَلَى قَلْبَيْنِ[6]: عَلَى أبيضَ مثل الصَّفا، فلا تضرُّه فتنةٌ مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ[7]، والآخَرُ أسودَ مُرْبَادًّا[8] كالكُوز،.....

(١) أخرجه مسلم في صحيحه واللفظ له باب عرض مقعد الميت برقم ٢٨٦٧، وأخرجه أحمد في المسند ٣٥/ ٥١٤، وأخرجه ابن أبي شيبة، أبو بكر عبداللَّه بن محمد في المسند، الرياض، دار الوطن، ط١، ١٩٩٧م، ج١/ ١٠١ برقم ١٢٢، وأخرجه الطبراني، في المعجم الكبير، ج٥/ ١١٤ برقم ٤٧٨٤، وأخرجه البيهقي، في إثبات عذاب القبر وسؤال الملكين، ج١/ ١٢٠ برقم ٣٠٢.الحكم على الحديث: صحيح.

(٢) تعرض الفتن على القلوب كالحصير: أي تلتصق الفتن والبلايا بالقلوب كما يُلصق الحصير بجنب النائم ويؤثر فيه شدة التصاقها به، و(عودًا عودًا)بضم العين وبالدال المهملة وهو الأشهر، قال النووي:رجح القاضي رواية ضم العين وقال:"إن ناسج الحصير عند العرب كلما صنع عودا أخذ آخر ونسجه فشبه رسول اللَّه ـ ﷺ ـ عرض الفتن على القلوب واحدة بعد أخرى بعرض قضبان الحصير على صانعها واحداً بعد واحد، وهذا معنى الحديث عندي وهو الذي يدل عليه سياق لفظه وصحة تشبيهه واللَّه أعلم."والمعنى: تُعاد الفتن وتتكرر شيئاً بعد شيء، (النووي، شرح صحيح مسلم ٢/ ١٧١).

(٣) قلب أشربها:أي قَبِل الفتن ودخلت فيه وسكنت إليه.(الحميدي، أبو عبداللَّه محمد، تفسير غريب ما في الصحيحين البخاري ومسلم، مصر، مكتبة السُّنة، ط١، ١٩٩٥، ج١/ ٧٨).

(٤) نُكت فيه نكتة سوداء: أي دليل على السخط. والنكتة البيضاء دليل على الرضاعنه والاستحسان لفعله. (الحميدي، تفسير غريب ما في الصحيحين البخاري ومسلم،، ج١/ ٧٨).

(٥) وأيّ قلب أنكرها: أي ردّ الفتن وامتنع من قبولها. (القاري، مرقاة المفاتيح ٨/ ٣٣٧٨).

(٦) تصير على قلبين: اي تصير قلوب أهل ذلك الزمان على نوعين. (القاري، مرقاة المفاتيح ٨/ ٣٣٧٨).

(٧) أبيض مثل الصفا... السماوات والأرض: أي أن الفتن لم تؤثر به لشدة إيمانه وسلامته من الخلل، فهو كالحجر الأملس الصفا الذي لا يعلق به شيء، فَحُفظ عن الفتن من تلك الساعة إلى يوم القيامة. (النووي، شرح صحيح مسلم ٢/ ١٧٢، والقاري، مرقاة المفاتيح ٨/ ٣٣٧٨).

(٨) أسود مرباداً: صار لونه بين السواد والغبرة. (القاري، مرقاة المفاتيح ٨/ ٣٣٧٨).

مُجَخِّيًا[١] لَا يَعْرِفُ مَعْرُوفًا وَلَا يُنْكِرُ مُنْكَرًا، إِلَّا مَا أُشْرِبَ مِنْ هَوَاهُ»[٢][٣].

قال النووي: إن الرجل إذا تبع هواه وارتكب المعاصيَ، دخل قلبَه بكل معصية يتعاطاها ظُلمةٌ، وإذا صار كذلك افتُتن وزال عنه نور الإسلام، والقلب مثل الكوز، فإذا انقلب انصبَّ ما فيه ولم يدخله شيءٌ بعد ذلك[٤].

وقال ابن القيِّم: قسَّم رسول اللَّه ـ ﷺ ـ عَرْض الفتن على القلوب إلى قسمين، **الأول**: قلبٌ إذا عُرضت عليه فتنة أُشرِبها كما يشرب السِّفِنْجُ الماء، فتنكُت فيه نكتةً سوداء، فلا يزال يشرب كل فتنة تُعرَض عليه حتى يسودَّ وينتكس، وهذا معنى قوله ـ ﷺ ـ: «كالكوز مُجَخِّيًا»، فإذا وصل لهذه المرحلة اشتبه المعروفُ عليه بالمنكر، فيعتقد المعروفَ منكرًا والمنكر معروفًا، والسُّنَّة بدعةً والبدعة سنَّة، والحقَّ باطلًا والباطل حقًّا. **الثاني**: قلبٌ أبيض أشرقَ فيه نور الإيمان، فإذا عُرضت عليه الفتنة أنكرها وردَّها فازداد نوره وقوته، والفتن التي تُعرَض على القلوب وتُمرِضها هي: فتن الشهوات وفتن الشبهات، وفتن الضلال، وفتن المعاصي والبدع، وفتن الظلم والجهل[٥].

---

(١) كالكوز مجخياً: الكوز هو الكأس، ومجخياً: مائلاً، قال ابن الأثير: شبه رسول اللَّه ـ ﷺ ـ القلب الذي لا يعي بالكوز المائل الذي لا يثبت فيه شيء، وأضاف القاري: وهذا معنى قوله ـ ﷺ ـ: «لا يعرف معروفاً ولا ينكر منكراً» أي لا يبقى في قلبه معرفة ما هو معروف ولا إنكار ما هو منكر. (ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث ١/ ٢٤٢، ومرقاة المفاتيح ٨/ ٣٣٧٨).

(٢) إلا ما أُشرب من هواه: أي ما خالط القلب فيتبعه من غير ملاحظة كونه معروفاً أو منكراً شرعاً. (القاري، مرقاة المفاتيح ٨/ ٣٣٧٨).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه واللفظ له في باب بيان أن الإسلام بدأ غريباً برقم ١٤٤، وأحمد في المسند ٣٨/ ٤٣٢، والبزار، في المسند، البحر الزخار، ج٧/ ٢٦٣ برقم ٢٨٤٤، وابن منده في كتاب الإيمان، ج١/ ٤٦٨. الحكم على الحديث: صحيح.

(٤) النووي، شرح صحيح مسلم ٢/ ١٧٣.

(٥) ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر، إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، الرياض، مكتبة المعارف، (بدون تاريخ) ١/ ١٢ في باب انقسام القلوب.

ولذا، كان رسول اللَّه ـ ﷺ ـ يدعو: «اللَّهُمَّ مُصَرِّفَ الْقُلُوبِ[1] صَرِّفْ قُلُوبَنَا عَلَى طَاعَتِكَ»[2]، أي: ثبِّته على طاعتك، فلا يتقلَّب على معصية اللَّه؛ لأن القلب إذا تقلّب على الطاعة، صار ينتقل من طاعةٍ إلى أخرى من طاعة اللَّه[3].

[المبحث الثاني] اعتزالُ الفتنة وملابساتِها:

وهذا من التوجيهات النبوية أيضًا للنجاة من الفتن.

قال في «لسان العرب»: عزَل الشيءَ فاعتزل وانعزَل وتعزَّل: نحَّاه جانبًا فتنحى، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ﴾ [الشعراء: ٢١٢]، والعُزلة: الانعزال نفسه، يقال: العزلة عبادة، واعتزلتُ القومَ: أي فارقتُهم[4].

وفي «المفردات في غريب القرآن» قال الأصفهاني: الاعتزال: تجنُّب الشيء بالبراءة منه، ويكون ذلك بالاعتزال بالبدن أو بالقلب[5].

قال رسول اللَّه ﷺ يُثني على من يلزم بيتَه طلبًا للسلامة من الفتن:

«ثَلَاثَةٌ كُلُّهُمْ ضَامِنٌ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ رَجُلٌ خَرَجَ غَازِيًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَهُوَ ضَامِنٌ

(١) مصرف القلوب: أي أن اللَّه سبحانه يتصرف في قلوب عباده بما شاء لا يمتنع عليه شيء منها. (ابن حجر، فتح الباري ١٣/ ٣٧٧).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه واللفظ له باب تصريف اللَّه تعالى القلوب برقم ٢٦٥٤، والنسائي في الكبرى باب قوله تعالى (ولتصنع على عيني)، ج٧/ ١٥٦، وأخرجه البيهقي، أحمد بن الحسين في الأسماء والصفات، جدة، مكتبة السوادي، ط١، ١٩٩٣م، ج١/ ٣٧، وأخرجه أحمد في المسند١١/ ١٣٠، والطبراني في المعجم الكبيرج١٣/ ٣٥ برقم ٧٩، وأخرجه عبد بن حميد في المنتخب من المسند، القاهرة، مكتبة السنة، ط١، ١٩٨٨م ١/ ١٣٧ برقم ٣٤٨، وأخرجه البزار في المسند ٦/ ٤٣٠. الحكم على الحديث: صحيح.

(٣) ابن العثيمين، محمد بن صالح، شرح رياض الصالحين، الرياض، دار الوطن للنشر، ط ١٤٢٦هـ، ج٦/ ٢٢.

(٤) ابن منظور، لسان العرب ١١/ ٤٤٠ (عزل).

(٥) الراغب الأصفهاني، أبو القاسم حسين بن محمد، المفردات في غريب القرآن، دمشق، دارالقلم، ط١أ١٤١٢هـ، ج١/ ٥٦٥ كلمة عزل.

عَلَى اللَّهِ حَتَّى يَتَوَفَّاهُ فَيُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ أَوْ يَرُدَّهُ بِمَا نَالَ مِنْ أَجْرٍ وَغَنِيمَةٍ وَرَجُلٌ رَاحَ إِلَى الْمَسْجِدِ فَهُوَ ضَامِنٌ عَلَى اللَّهِ حَتَّى يَتَوَفَّاهُ

فَيُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ أَوْ يَرُدَّهُ بِمَا نَالَ مِنْ أَجْرٍ وَغَنِيمَةٍ وَرَجُلٌ دَخَلَ بَيْتَهُ بِسَلَام [(١)] فَهُوَ ضَامِنٌ عَلَى اللَّهِ

عزَّ وجل»[(٢)].

فرسول اللَّه ـ ﷺ ـ يأمر المسلمَ في هذا الحديث بالعُزلة والإقلال من الخلطة، والضمانُ المراد في الحديث يعني: في رعاية اللَّه وحفظه من مضارِّ الدنيا والآخرة. قال النووي: وما أجزل هذه العطية[(٣)]؛ لأنّ من كان ضامنَه اللَّهُ سبحانه وتعالى فلن يتعرَّض للأذى مطلقًا.

ولكن، متى يجب، ومتى يُستحبُّ للمسلم أن يعتزل الناس، وكيف يكون ذلك؟

قال القرطبي: أحوال الناس في هذا الأمر تختلف، فرُبَّ رجلٍ تكون له قوة على

(١) دخل بيته بسلام: المعنى الأرجح كما قال الطيبي: هو الذي يلزم بيته طلباً للسلامة وهرباً من الفتن، وهذا المعنى أوجه؛ لأن لزوم البيت اتقاءً من الفتن يجعله هو المضمون برعاية اللَّه تعالى وجواره عن الفتن. (القاري، مرقاة المفاتيح ٢/ ٦١٢).

(٢) أخرجه أبو داود في السنن واللفظ له، في باب فضل الغزو في البحر برقم ٢٤٩٤ وسكت عنه، والحاكم في المستدرك ٢/ ٨٣ وصححه ووافقه الذهبي، والبيهقي في السنن الكبرى ٩/ ٢٨٠ برقم ١٨٥٣٨، وابن حبان في صحيحه برقم ٤٩٩ ج٢/ ٢٥١، والطبراني في المعجم الكبير ٨/ ٩٩ برقم ٧٤٩١، والبخاري في الأدب المفرد ١/ ٦١٤ برقم ١٠٩٤. الحكم على الحديث:الإسناد حسن لحال عبدالسلام بن عتيق، قال أبو حاتم والذهبي وابن حجر: صدوق، وقال النسائي: صالح، وقال في موضع آخر: لا بأس به. (المزي، تهذيب الكمال ١٨/ ٩١، الذهبي، الكاشف ١/ ٦٥٣، ابن حجر، التقريب ١٠/ ٣٥٥). وقال النووي في الأذكار ج١/ ٢٤: حديث حسن، رواه أبو داود بإسناد حسن، وقال الحنبلي، محمد بن مفلح، في كتاب الآداب الشرعية والمنح المرعية ١/ ٤٠١:رواه أبو داود بإسناد جيد، وقال ابن حجر في فتح الباري ٦/ ٨: أخرجه أبو داود بإسناد صحيح، وقال الألباني، في صحيح أبي داود: إسناده صحيح، ج٧/ ٢٥٥، وقال المناوي، في التيسير بشرح الجامع الصغير١/ ٤٧٥ : صحيح.

(٣) الخطابي، ابو سليمان، حمد بن محمد، معالم السنن، حلب، المطبعة العلمية، ط١، ١٩٣٢، ج٢/ ٢٣٩، والمناوي، زين الدين، التيسير بشرح الجامع الصغير ١/ ٤٧٥، والنووي في الأذكار ١/ ٢٤.

سُكنى الكهوف والغِيران – جمع غار –في الجبال، وهي أرفعُ الأحوال؛ لأنها الحالة التي اختارها اللَّه لنبيِّه ـ ﷺ ـ في بداية أمره، وهدى إليها أهلَ الكهف، فقال سبحانه وتعالى مخبرًا عن الفتية: ﴿وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ﴾ [الكهف: ١٦]. ورُبَّ رجل تكون العزلة في بيته أخفَّ عليه وأسهل، وقد اعتزل رجالٌ من أهل بدر فلزموا بيوتهم بعد قتل عثمانَ رضي اللَّه عنه، فلم يخرجوا إلَّا إلى قبورهم، ورُبَّ رجل متوسطٌ بينهما، فيكون له من القوة ما يصبر بها على مخالطة الناس وأذاهم، فهو معَهم في الظاهر، ومخالفٌ لهم في الباطن[(١)].

يقول ابنُ كثير: المشروعُ عند وقوع الفتن في الناس أن يفرَّ العبد منهم خوفًا على دينه، ففي هذه الحالة تُشرَع العزلة عن الناس، ولا تُشترط فيما عداها، بسبب ما يفوتُ بها من ترك الجماعات والجُمع[(٢)]؛ لأن الاعتزال عن الشرِّ من الإيمان[(٣)].

وفي حديث عبد اللَّه بن عَمْرو بن العاص السابق حدَّد رسول اللَّه ـ ﷺ ـ مؤشِّريْنِ اثنين يساعدان المسلم عند رؤيتهما على التحرك لتنفيذ أمر رسول اللَّه ـ ﷺ ـ والمؤشِّران في حديث ابن عَمرو هما: «إِذَا رَأَيْتُمْ النَّاسَ قَدْ مَرِجَتْ عُهُودُهُمْ وَخَفَّتْ أَمَانَاتُهُمْ ..»، وأوامر رسول اللَّه ـ ﷺ ـ هي:

«الزَمْ بيتَك، واملِكْ عليك لسانَك، وخُذْ بما تعرِفُ، ودَعْ ما تُنكِر، وَعَلَيْكَ بِأَمْرِ خَاصَّةِ نَفْسِكَ، ودَعْ عَنْكَ أَمْرَ الْعَامَّةِ»[(٤)].

ستةُ أوامرَ عُليا ممّن قال عنه اللَّه تعالى: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى﴾ [النجم: ٣]، إذا التزم بها المسلم وطبَّقها، فسوف يتحقق له الفوز العظيم: ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧١]، فهذه الأوامر الستة أرى أنها تندرج جميعًا تحت

(١) القرطبي، أبو عبداللَّه محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن، تفسير القرطبي، سورة الكهف، القاهرة، دار الكتب المصرية، ط٢، ١٩٦٤م.

(٢) ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل، تفسير القرآن العظيم، دار طيبة للنشر، ط٢، ١٩٩٩م، سورة الكهف.

(٣) ابن رجب الحنبلي، فتح الباري، ١/ ١٠٦.

(٤) الحديث حسن، سبق تخريجه ص ١٥.

مسمَّى (العُزلة)، وهو التنحي جانبًا كما ورد معناها في لسان العرب[١].

والعزلةُ، في رأيي، تنقسم إلى أنواع عدة، وعلى المسلم والمسلمة أن يختار النوع الذي يناسبه ويستطيع القيام به، لأن «السَّعِيدُ لِمَنْ جُنِّبَ الْفِتَنَ[٢]..»[٣]، قالها رسولُ اللَّهُ ـ ﷺ ـ ثلاثًا.

وأنواع العُزْلات هي:

١- **العزلة الفكريَّة:** بأن يتبنَّى المسلم رأيَه الخاص، ويتركَ الآراءَ الجماعيَّة، ويمكنُ تسميتُها بالعزلة العلمية، فلا يخالط العلماء، ولا يتحلى صاحبها بالروح العلمية التي تدفعه إلى مجالسة العلماء وزيارتهم إذا كانوا قريبين منه، أو مراسلتهم إذا لم يستطع الوصول إليهم، لأخذ العلم وتبادل الأفكار معهم.

وهذه العزلة يمكن أن تكون مطلوبة إذا فسَدت آراء العلماء، وخيف على نفسه ودينه منها، مثلما اعتزل إبراهيمُ ـ عليه السلام ـ قومه فقال اللَّهُ تعالى مخبرًا عنه: ﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ [مريم: ٤٨]، قال الفخر الرازي: الاعتزال للشيء هو: التباعد عنه مكانًا وطريقة، فالمراد من الآية الكريمة: إني أفارقكم في

(١) انظر الصفحة السابقة رقم ٣١.

(٢) لمن جُنِّب الفتن: أي الإنسان الذي بَعُد عن الفتن ووُفِق للزوم بيته. (المناوي، التيسير بشرح الجامع الصغير ١/ ٢٧٨).

(٣) أخرجه أبو داود في السنن باب النهي عن السعي في الفتنة برقم ٤٢٦٣وسكت عنه، وأخرجه البزار في المسند ٦/ ٤٦، وأخرجه الطبراني في المعجم الكبير ٢٠/ ٢٥٢ برقم ٥٩٨، وأخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء ١/ ١٧٥، وأخرجه ابن بطة، في الإبانة الكبرى،، ج٢/ ٥٨٦. الحكم على الحديث: إسناده حسن، لحال معاوية بن صالح، وثقه أحمد بن حنبل وابن معين والعجلي والنسائي وأبو زرعة، وابن سعد، وقال أبو حاتم: صالح الحديث، حسن الحديث يكتب حديثه ولا يحتج به، وقال الذهبي: صدوق إمام، وقال ابن حجر: صدوق له أوهام. (المزي، تهذيب الكمال ٢٨/ ١٩١، الذهبي، الكاشف ٢/ ٢٧٦، ابن حجر، التقريب ١/ ٣٥٨)، قال الألباني ناصر الدين في سلسلة الأحاديث الصحيحة: صحيح على شرط مسلم، ج٢/ ٦٦٧ برقم ٩٧٥، وقال البزار في المسند ٦/ ٤٦: إسناده حسن.

المكان، وأفارقكم في طريقتكم أيضاً وأُبعد عنكم[1].

٢- **العزلة النفسيَّة**: بأن يمنع المسلم نفسَه عن التجاوب والتفاعل مع الآخرين، فلا يأبَهُ لما يتعرض له مجتمعُه من مشاكل، فرُغم أنه يعيش بينهم، لكنه لا يشاركهم في آرائهم، فهو ليس ميَّالاً إلى ما يقولون ويفعلون، ويجعل من الصمت حاجزاً له عن الصَّدع بالحق، ربما لإيمانه بأن الصمت مَنْجاة: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتَ»[2].

والسبب في اختيار المسلم هذه العزلةَ التي يفرضها على نفسه يعود إلى الاحباطات التي تعرَّض لها في علاقته بأسرته، أو بالعمل، أو بالمجتمع، فيعزل نفسه وعقله عن التجاوب مع الآخرين، كما كان يفعل عليُّ بن بكَّارٍ[3] العابد الذي يقول: كنت أُجالس الناس ولا أكلِّمهم[4].

قال ابن المبارك[5] في تفسير العزلة: أن تكون مع القوم، فإذا خاضوا في ذكر اللَّه

(١) الرازي، فخر الدين أبو عبداللَّه محمد بن عمر، التفسير الكبير، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط٣، ١٤٢٠هـ، ج٢١/ ٥٤٧.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه واللفظ له باب حفظ اللسان، ومسلم في صحيحه باب الحث على إكرام الجار برقم ٤٧، والدارمي في السنن في الضيافة برقم ٢٠٧٨، وأحمد في المسند ٤٥/ ١٣٨، ومالك في الموطأ باب ما جاء في الطعام برقم ٢٢، وأبو داود في السنن باب في حق الجوار برقم ٥١٥٤ وسكت عنه، والترمذي في السنن باب ٥ برقم ٢٥٠٠ وقال: حديث صحيح. الحكم على الحديث: صحيح.

(٣) علي بن بكار المصيصي الكبير: الإمام الزاهد، كان فارساً مرابطاً مجاهداً، كثير الغزو، قال عنه الذهبي: صدوق، وقال ابن حجر: صدوق عابد، وذكره ابن حبان في الثقات. (الذهبي، سير أعلام النبلاء ٨/ ٢٣٤، ابن حجر، تقريب التهذيب ١/ ٤٣٩٨، ابن حبان، في الثقات، ج٨/ ٤٧٤).

(٤) ابن الأعرابي، أبو سعيد أحمد بن عمر، معجم ابن الأعرابي، السعودية، دار ابن الجوزي، ط١، ١٩٩٧م، ج٣/ ٩١١ برقم ١٩١٢.

(٥) ابن المبارك، هوعبداللَّه بن المبارك التميمي، شيخ الإسلام، أحد الأعلام، كان فقيهاً، عالماً، شجاعاً، شاعراً، زاهداً، قالوا عنه كان ثقة مأموناً حجة كثير الحديث وهوإمام عصره، كانت فيه خصال لم تجتمع في أحد من أهل العلم في زمانه في الأرض كلها(الذهبي، سيرأعلام النبلاء ٧/ ٣٦٥، ابن حجر، تهذيب التهذيب ٥/ ٣٨٢).

فخُضْ معهم، وإن خاضوا في غير ذلك فاسكت[١].

وهذا المعنى سماه عليُّ بن أبي طالب رضي اللَّه عنه (النُّوَمةَ)، ففي الحديث الذي يرويه أبو بكرِ بن عيَّاش يقول: قيل لعليِّ بن أبي طالب رضي اللَّه عنه: ما النُّوَمة؟ قال: الرجل يسكت في الفتنة فلا يبدو منه شيءٌ[٢]. وقال ابن الأثير في النهاية: النُّوَمة: الغامض في الناس الذي لا يعرف الشرَّ وأهله[٣].

قال النووي: ينبغي للمسلم الإمساكُ عن الكلام الذي ليس فيه خيرٌ ولا شرّ؛ لأنه مما لا يعنيه، فقد يجرُّ الكلامُ المباح إلى حرام، وهذا موجود في العادة وكثير، فينبغي لمن أراد النطق بكلمة أو كلام أن يتدبره في نفسه قبل نطقه، فإن ظهرت مصلحةٌ تكلَّم، وإلَّا أمسك[٤]. هذه هي ضوابط التواصل الاجتماعيِّ السليم.

٣- **العزلة الاجتماعيَّة**: بأن يقطع المسلم نفعَه عن المجتمع، فيعتزلَ جماعة المسلمين، فلا يأمر بمعروف ولا ينهى عن منكر، قال ابن حجر: عندما تقع الفتنة تترجَّح العزلة، لِما ينشأ في الفتنة غالباً من الوقوع في المحذور، وقد تقع العقوبة بأصحاب الفتنة فتعُمُّ من ليس من أهلها[٥]، قال اللَّه تعالى: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً﴾ [الأنفال: ٢٥].

والعزلة عند الفتنة سُنة الأنبياء، وعصمة الأولياء وسيرة الحكماء والأولياء، لا سيما في هذا الزمان القليل خيرُه[٦]، فإنّ من خالط الناس يقع لا محالةَ في إحدى اثنتين:

---

(١) ابن عبد البر القرطبي، التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، ج١٧/ ٤٤٦.

(٢) أخرجه نعيم بن حماد، واللفظ له في الفتن، ج١/ ٢٥٩ برقم ٧٣٥، وأخرجه ابن وضاح، أبو عبداللَّه محمد بن وضاح في البدع والنهي عنها، القاهرة، مكتبة ابن تيمية، ط١، ١٤١٦هـ، باب في نقض عرى الإسلام ج٢/ ١٢١ برقم ١٦١.

(٣) ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر ٥/ ١٣١.

(٤) النووي، شرح صحيح مسلم ١٢/ ٣١ و١٨/ ١١٧.

(٥) ابن حجر، فتح الباري ١٣/ ٤٣.

(٦) قاله الخطابي، في كتاب العزلة، ج١/ ٨.

أ- إما أن يشترك معهم في الخوض في الباطل والمنكر.

ب- أو يسكت، ولا يغيِّر المنكر بأية صورةٍ من الصور، فيأثم.

ولكنّ مخالطة الناس والصبرَ عليهم خيرٌ له وللمجتمع؛ لأن فوائد الاختلاط بالناس تتعدى إلى الغير، بخلاف العزلة، لأنها قاصرة عليه، ولأن«الْمُؤْمِنُ الَّذِي يُخَالِطُ النَّاسَ وَيَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُمْ ،أَعْظَمُ أَجْرًا مِنْ الْمُؤْمِنِ الَّذِي لَا يُخَالِطُ النَّاسَ ،وَلَا يَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُمْ »كما قال رسول اللَّه ــ ﷺ ــ (١).

ونظرًا لأن هناك خلافًا بين الناس أيُّهما أفضلُ: العزلة أم الاختلاط بالناس؟ فقد يبدو للقارئ أن هناك تعارضًا وتضادًّا بين حديث عبد اللَّه بن عَمرو ــ رَضِيَ اللَّهَ عَنْهُمَا ــ السابق: «الْزَمْ بَيْتَكَ..» وبين حديث المخالطة: « الْمُؤْمِنُ الَّذِي يُخَالِطُ النَّاسَ ». ولكني أرى أنه لا تعارُضَ أو تضادَّ بينهما؛ لأن كل حديث يمكن أن يُستعمل في موضعه، فحديثُ عبد اللَّه بن عمرو ــ رَضِيَ اللَّهَ عَنْهُمَا ــ يُحمل معناه على الالتزام

(١) أخرجه أحمد في المسند واللفظ له ٣٨/ ١٨٨، وأخرجه الطيالسي، أبو داود سليمان بن داود في المسند، مصر، دار هجر، ط١، ١٩٩٩م، ج٣/ ٣٩٩ برقم ١٩٨٨، وأخرجه ابن الجعد، علي بن الجعد في المسند، بيروت، مؤسسة نادر، ط١، ١٩٩٠م، ج١/ ١٢١ برقم ٧٤٥، وأخرجه البخاري، محمد بن إسماعيل في الأدب المفرد، بيروت، دار البشائر الإسلامية، ط٣، ١٩٨٩م، ج١/ ١٤٠ برقم ٣٨٨،، وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى، ج١٠/ ١٥٣، وأخرجه ابن ماجة في السنن باب الصبر على البلاء برقم ٤٠٣٢، وأخرجه الترمذي في السنن برقم ٢٥٠٧ وسكت عنه. الحكم على الحديث: الإسناد صحيح رجاله ثقات عند أحمد في المسند ٣٨/ ١٨٨، قال الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة ٢/ ٦١٥: سنده صحيح، والحديث عند ابن ماجة في السنن قد حسّن إسناده كل من: ابن حجر في فتح الباري ١٠/ ٥١٢، وقال: أخرجه ابن ماجة بسند حسن، قلتُ: في إسناد ابن ماجة عبد الواحد بن صالح وهو مجهول، كما قال عنه ابن حجر في التقريب ١/ ٣٦٧، لذا فإن إسناد ابن ماجة ضعيف وليس حسناً، وقد حسّن إسناد ابن ماجة أيضاً المناوي في التيسير بشرح الجامع الصغير ٢/ ٤٥٢، والمباركفوري في تحفة الأحوذي ٧/ ١٧٧، قال الدارقطني: أبو الحسن علي بن عمر في العلل الواردة في الأحاديث النبوية: يرويه الأعمش وقد اختلف عنه على مسانيد كثيرة، والصحيح قول من قال: (عن يحيى بن وثاب عن ابن عمر)، الدمام، دار ابن الجوزي، ط١، ١٤٢٧هـ، ج١٣/ ٢٣٠. وصححه الألباني، محمد ناصر الدين في صحيح الأدب المفرد للإمام البخاري، دار الصديق للنشر، ط٤، ١٩٩٧م، ج١/ ١٥٣.

بالاعتزال عن الناس إذا خاف على نفسه وعلى دينه من المخالطة، أمّا حديث المخالطة فيُحمل معناه على أن الاختلاط أفضل إذا كان عارفًا بدقائق الحلال والحرام، فهو يختلط بالناس ليعلِّمهم وينصحهم في دينهم، بشرط السلامة على نفسه ودينه من الفتن.

العزلة تعتريها الأحكام الخمسة:

يقول ابن القيِّم: تجب العزلةُ في وقت، وتُستحبُّ في وقت ما، وتباح في وقت، وتكره في وقت، وتحرُم في وقتٍ آخر؛ فهي تُحمد في بعض الأوقات دون بعض[(١)]، فالأفضل في كل وقتٍ وحال إيثار مرضاة اللَّه، وقد اعتزل أصحاب الكهف قومهم، فيما يخبر اللَّه تعالى عنهم فيقول: ﴿وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ﴾ [الكهف: ١٦]، قال القُشَيري: العزلة عن غير اللَّه توجب الوصلةَ باللَّه، بل لا تحصل الوصلة باللَّه إلا بعد العزلة عن غير اللَّه[(٢)].

إن العزلة والانغلاق لا يكونان خيارًا جيِّدًا إلا في حالة خوف الإنسان على نفسه ودينه من الآخرين.

ولكن، قبل اتخاذ قرار العزلة والابتعاد عن الناس، عليه أن يدعو من حولَه إلى الخير ما استطاع، فإن أَيِس من استجابتهم اشتغل بإصلاح نفسه، ورجا القَبول من ربه؛ لأن الاعتزال والوَحدة أحياناً خيرٌ من جليس السوء.

قال المَراغي: السلف متَّفقون على أن المؤمن لا يكون مهتدياً إذا أصلح نفسه ولم يهتمَّ بإصلاح غيره، بأن يأمره بالمعروف وينهاه عن المنكر، وأن ذلك فرضٌ لا هوادةَ فيه، ولكنّ هذه الفريضةَ تسقط إذا فسَد الناسُ فساداً لا يُرجى معه تأثير الوعظ

(١) ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر، مدراج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، بيروت، دار الكتاب العربي، ط٣، ١٩٩٦م، ج٣/ ٢٧٧.

(٢) القشيري، عبد الكريم بن هوازن، لطائف الإشارات، تفسير القشيري، سورة الكهف، مصر، الهيئة العامة للكتاب، ط٣، بدون تاريخ، ج٢/ ٣٨٢.

والإرشاد، أو فساداً يؤدي إلى إيذاء الواعظ المرشد، بأن يعلم أو يظن ظنًّا قويًّا بأنْ لا فائدة من نصحه، أو بأنه سيُؤذَى إذا أَمَر بمعروف أو نهى عن منكر، ويحرُم عليه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، إذا أدى ذلك إلى الوقوع في التهلكة، فمن عجَز عن إنكار المنكر بيده ولسانه ولكنه أنكره بقلبه فلا يضرُّه ضلالُ غيره[1].

وهذا معنى قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾ [المائدة: ١٠٥]؛ لأن أكثر أهل هذا الزمان يأبى قبول النصائح، وقد يقومون بالاعتداء قولاً أو فعلاً على من يدعُونهم لما هو خيرٌ لهم، فالسلامة من إثم السكوت عما يفعله هؤلاءِ يكون بالتباعد عنهم، لأن «السعيد لمن جُنِّب الفتن»[2]، كما قال رسول اللَّه ـ ﷺ ـ فإن المسلم يحصل على السعادة لأنه حفظ جوارحه وأطاع ربه، وعصى شيطانه، ولم يسعَ إلى زرع الفتن وكفر النعم، والسعيد يحب الخير للناس، ويكره أذاهم.

فكيف يفرُّ المرءُ بدينه، وإلى أين؟

لمَّا كانت الفتن الاجتماعيَّة تغشى الصالح والظالم سواءً بسواء، فتكون عقوبتها مشتركةً بين المصطلي بنارها فعلاً، وبين المؤاخَذ بها لتقصيره في دفعها، وإقراره على فعلها، لذا وجب على المسلم أن يتقيَ هذه الفتن التي تقع بين الأمم، في التنازع على مصالحها العامة، أو التفرق في الدين والشريعة، أو الانقسام إلى أحزابِ دينية وسياسيَّة[3].

وقد انهمك كثيرٌ من الناس في وقتنا الحاضر في متابعة كثير من توافهِ الأمور التي تثير النعرات الإقليميَّة والمذهبيَّة والسياسيَّة من خلال شبكة المعلومات ومواقع

(١) المراغي، أحمد مصطفى، تفسير المراغي، القاهرة، مطبعة الحلبي، ط١، ١٩٤٦م، سورة المائدة، ج٧/ ٤٧.

(٢) الحديث حسن، سبق تخريجه ص ٣٣.

(٣) رضا، محمد رشيد، تفسير المنار، مصر، الهيئة العامة للكتاب، ط ١٩٩٠م، سورة الأنفال، ج٩/ ٥٣٠.

التواصل الاجتماعي، وهنا تدخل أفكارٌ وتعليقات يريد أصحابُها من خلالها تفكيك التواصل الاجتماعي الإسلاميِّ خصوصاً، أو التشكيكَ في بعض المفاهيم الإسلاميَّة الصحيحة، فبعض الناس يتحدثون عن الاكتفاء بالقرآن الكريم كمصدر أساسي وحيد في التشريع الإسلاميِّ دون السنة النبوية، ويأتي بأدلةٍ تؤثر في بعض الناس، وبعضهم يتحدثون عن مساواة المرأة بالرجل في الميراث، وهكذا، فهؤلاءِ يريدون أن ينحرف المجتمع المسلم عن مساره قولاً وفعلاً.

إن الدَّهْمَ الثقافيَّ لعقولنا ولأفكارنا وقيمنا الإسلامية هو الذي حذَّرنا منه رسولنا الكريم ـ ﷺ ـ فقال: «ما من نبيٍّ بعثه اللَّهُ في أمَّةٍ قَبْلي[١] إلّا كَانَ لَهُ مِنْ أُمَّتِهِ حَوَارِيُّونَ[٢]، وَأَصْحَابٌ يَأْخُذُونَ بِسُنَّتِهِ وَيقْتَدُونَ بِأَمْرِهِ[٣]، ثمَّ إِنَّهَا تَخْلِفُ[٤] مِنْ بَعْدِهِمْ خُلوفٌ[٥] يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ وَيَفْعَلُونَ مَا لَا يُؤْمَرُونَ[٦]، فَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِيَدِهِ[٧] فَهُوَ

(١) ما من نبي بعثه اللَّه في أمة قبلي: المعنى: ما من نبي من الأنبياء في أمة من الأمم. (القاري، مرقاة المفاتيح ١/ ٢٤١).

(٢) حواريون: أي ناصرون. (القاري، مرقاة المفاتيح ١/ ٢٤١).

(٣) يأخذون بسنته: أي بهديه وسيرته، (ويقتدون بأمره) أي يتبعونه في أمره ونهيه. (القاري، مرقاة المفاتيح ١/ ٢٤١).

(٤) تخلُف: أي تحدث. (النووي، شرح النووي على صحيح مسلم ٢/ ٢٨).

(٥) خلوف: بضم الخاء وهو الخالف بشر، وبفتح اللام هو الخالف بخير، والمعنى أنه يجيء من بعد أولئك السلف الصالح أناس لا خير فيهم ولا خلاق لهم في أمور الديانات. (النووي، شرح صحيح مسلم ٢/ ٢٨، المباركفوري، مرعاة المفاتيح ١/ ٢٥٤).

(٦) يقولون ما لا يفعلون ويفعلون ما لا يؤمرون: أي يقولون فعلنا ما أُمرنا، ولكنهم لم يفعلوا شيئاً من ذلك، بل فعلوا المنكرات التي لم يأتِ بها الشرع. (القاري، مرقاة المفاتيح ١/ ٢٤١، وابن علان الشافعي، في دليل الفالحين، ج٢/ ٤٧٠).

(٧) فمن جاهدهم بيده: هنا خطاب عام، ينص في أن للرعية أن يغيروا المنكر إذا لم يترتب على إزالة المنكر مفسدة أعظم منه. (ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس، الحسبة، ط٢، ٢٠٠٧م، ج١/ ١٥٥، بدون دار نشر، وابن علان، دليل الفالحين ٢/ ٤٧٠).

مُؤْمِنٌ[1]، وَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِلِسَانِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ[2]، وَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِقَلْبِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ[3]، وَلَيْسَ وَرَاءَ ذَلِكَ مِنَ الْإِيمَانِ[4] حَبَّةُ خَرْدَل»[5].

إن الإنكار بالقلب فرضٌ على كل مسلم، لا يسقط عن أحد في حالٍ من الأحوال، فمن لم ينكر قلبُه المنكرَ دلَّ على ذهاب الإيمان من قلبه، وخرج المسلم من دائرة الإيمان، ودخل فيمن استحلَّ محارمَ اللَّه[6].

وما يحدث على مواقع التواصل الاجتماعي في عصرنا الحالي من الكذب والضلال مما يثير الفتن، خاصةً عندما تنتشر هذه الأقاويلُ الباطلة في أصقاع الدنيا وآفاقها، هو مما حذّر منه رسول اللَّه ـ ﷺ ـ وبيّن عقوبته الشديدة فقال: «رأيتُ الليلةَ رجلين[7] أتَياني، قالا: الذي رأيتَه -أي: في منامك- يُشَقُّ شِدقُه[8] فكذَّاب[1]، يكذب

(١) فهو مؤمن: كامل الإيمان لتغييره المنكر بيده. (القاري، مرقاة المفاتيح، بتصرف ١/ ٢٤١).

(٢) ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن: بأن أنكر المنكر أو استعان بمن يدفعه. (ابن علان، دليل الفالحين ٢/ ٤٧٠).

(٣) ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن: أي أن يكره ذلك الفعل بقلبه، ويعزم على أن لو قدر على التغيير لغيّره. (القرطبي، المفهم لما أُشكل من تلخيص كتاب مسلم، دمشق، دار ابن كثير، ط١ ١/ ١٩٩٦م، ج١/ ٢٤٣).

(٤) وليس وراء ذلك من الإيمان حبةُ خردل: الإيمان في هذا الحديث بمعنى الإسلام، أي أضعف خصال الإيمان مرتبة التغيير بالقلب، ولم يبق وراءها مرتبة أخرى، فمن لم ينكر بالقلب يعني أنه رضي بالمنكر وهذا كفر، لأن أدنى مراتب أهل الإيمان ألا يستحسن المعاصي وينكرها بقلبه. (القرطبي، المفهم ١/ ٢٣٤، القاري، مرقاة المفاتيح ١/ ٢٤٢).

(٥) أخرجه مسلم واللفظ له باب كون النهي عن المنكر من الإيمان برقم ٥٠، وابن حبان في الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان برقم ٦١٩٣، والطبراني في المعجم الكبير ١٠/ ١٣ برقم ٩٧٨٤، والبيهقي في السنن الكبرى ١٠/ ١٥٣، وابن منده، في الإيمان، ج١/ ٣٤٥، وأحمد في المسند مختصراً ج٧/ ٣٨٧. الحكم على الحديث: صحيح.

(٦) ابن رجب الحنبلي، جامع العلوم والحكم ٢/ ٢٤٥، والقاري في المرقاة ١/ ٢٤٢.

(٧) هما جبريل وميكائيل عليهما السلام كما ورد اسماهما صريحينِ في البخاري في الجنائز باب ما قيل في أولاد المشركين: «وأنا جبريل، وهذا ميكائيل».

(٨) يشق شدْقَهُ: أي يُقطع جانب الفم. (مرقاة المفاتيح ٧/ ٢٩٢٥).

بالكَذْبة تُحمَل عنه[٢] حتى تبلغ الآفاق[٣]، فيُصنَع به إلى يوم القيامة[٤]»، وفي رواية أخرى، أنهما قالا لرسول اللَّه ـ ﷺ ـ: « وَأَمَّا الرَّجُلُ الَّذِى أَتَيْتَ عَلَيْهِ يُشَرْشَرُ شِدْقُهُ إِلَى قَفَاهُ [٥] وَمَنْخِرُهُ إِلَى قَفَاهُ ، وَعَيْنُهُ إِلَى قَفَاهُ ، فَإِنَّهُ الرَّجُلُ يَغْدُو مِنْ بَيْتِهِ[٦] فَيَكْذِبُ الْكَذْبَةَ تَبْلُغُ الآفَاقَ»[٧].

قال القسطلاني: إنما استحقَّ هذا الكاذبُ هذا التعذيبَ لِما ينشأ عن تلك الكذبة من المفاسد وهو فيها غيرُ مُكره، وأضاف ابن هُبيرة: لمّا كان الكاذب يساعد أنفُه وعينه ولسانه على الكذب بترويج الباطل، وقعت المشاركةُ لهذه الأعضاء في العقوبة[٨].

فكلما انتشرت الكذبة كان وِزرها على صاحبها أعظم.

والكذب على دين اللَّه من أقبح المنكرات مثلَ: أن يُنسب شيءٌ إلى اللَّه تعالى وهو غير صحيح، أو إلى رسول اللَّه ـ ﷺ ـ ولم يقلْه أو يفعله، قال رسول اللَّه ـ ﷺ ـ :

(ﻫ) فكذاب: أي هو كثير الكذب. (القاري، مرقاة المفاتيح ٧/ ٢٩٢٧).

(٢) يكذب بالكذبة تُحمل عنه: أي تُروى وتُنقل تلك الكذبة عنه. (القاري، مرقاة المفاتيح ٧/ ٢٩٢٧). قلت: وهو ما يحدث في عصرنا الحالي من تناقل الأكاذيب من خلال مواقع التواصل الاجتماعي.

(٣) حتى تبلغ الآفاق: أي حتى تُنشر في أطراف الأرض. (القاري، مرقاة المفاتيح ٧/ ٢٩٢٧).

(٤) فيُصنع به إلى يوم القيامة: ألذي رأيته من شق فمه يستمر إلى يوم القيامة، وجُعل عذابه في الفم لأنه موضع المعصية (القسطلاني، إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري ٩/ ٦٣).

(٥) الرجل الذي أتيت عليه يشرشر شدقه إلى قفاه: أي يقطع جانب فمه شقاً وصولاً إلى مؤخرة العنق، ويفعل ذلك من منخره وهو الأنف إلى قفاه، ومن عينه إلى قفاه أيضاً. (ابن حجر، فتح الباري ١٢/ ٤٤٢، ابن علان، دليل الفالحين ٨/ ٣٧٧).

(٦) الرجل يغدو من بيته: أي يخرج من بيته مبكراً. (ابن حجر، فتح الباري ١٢/ ٤٤٤).

(٧) أخرجه البخاري في صحيحه، واللفظ له، الرواية الأولى: في ك الأدب، باب: قول اللَّه تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩]، والرواية الثانية: في ك التعبير، باب: تعبير الرؤيا بعد صلاح الصبح، وأخرجه أحمد في المسند ٣٣/ ٢٨٨، والنسائي في الكبرى ٧/ ١٢٠، باب الحلم، والبيهقي في إثبات عذاب القبر ج١/ ٧٦، والطبراني في الكبير ٧/ ٢٣٧، وابن أبي شيبة في المصنف ٦/ ١٧٧. الحكم على الحديث: صحيح.

(٨) القسطلاني، إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري ١٠/ ١٦٥.

«إِنَّ كَذِبًا عليَّ لَيْسَ كَكَذِبٍ عَلَى أَحَدٍ، فَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا، فلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ من النَّارِ»[(١)]، لذا فاعتزال الناس واجب على العاقل للسلامة من الوقوع في الإثم[(٢)].

على أن أقلَّ نوع للعزلة كما يرى محمدٌ الحنفي هو: أن يلازم المرءُ بيته، فلا يخرج منه إلا لضرورة الجمُعة والجماعات[(٣)]. وهذا معنى قوله ـ ﷺ ـ لعبد اللَّه بن عمرو ـ رَضِيَ اللَّهَ عَنْهُمَا ـ: «الْزَمْ بيتَك، وامْلِكْ عليكَ لسانَك، وخُذْ بما تعرف، ودَعْ ما تُنْكِر»[(٤)].

وكان الصحابة ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ـ يتواصَون فيما بينهم بلزوم البيت، فهذا الصحابيُّ حذيفة رضي اللَّه عنه يقول: إيَّاك والفتنَ لا يشخَصْ[(٥)] لَهَا أحدٌ، فَوَ اللَّهِ مَا شخَصَ مِنْهَا أَحَدٌ إِلَّا نَسَفَتْهُ كَمَا يَنْسِفُ السَّيلُ الدِّمَن[(٦)]، إنَّها مُشْبِهةٌ[(٧)] مُقْبِلة، حَتَّى يَقُولَ الْجَاهِلُ: هَذِهِ تُشبِهُ مُقْبِلَة، وتتبيَّن مُدبِرة[(٨)]، فَإِذَا رَأَيْتُمُوهَا، فَاجْتَمَعُوا فِي بُيُوتِكُمْ،

(١) أخرجه مسلم في صحيحه واللفظ له باب التحذير من الكذب برقم ٤، وأخرجه البخاري في صحيحه باب ما يُكره من النياحة على الميت، وأخرجه أحمد في المسند ٣٠/ ٧١، والبيهقي في شعب الإيمان ٦/ ٤٦٩، وأبو يعلى الموصلي في المسند ٢/ ٢٥٧. الحكم على الحديث: صحيح.

(٢) أبو حاتم، محمد بن حبان، روضة العقلاء ونزهة الفضلاء، بيروت، دار الكتب العلمية (بدون تاريخ) ١/ ٨١.

(٣) محمد بن الحنفي، أبو سعيد، بريقة محمودية في شرح طريقة محمدية وشريعة نبوية، مصر، مطبعة الحلبي، ط ١٣٨٠هـ، ج٢/ ٥٤.

(٤) الحديث حسن، تقدم تخريجه وشرح مفرداته في ص ١٤.

(٥) لا يشخص: قال السندي: أي لا يرتفع ولا يظهر ولا يحضر. (السندي، أبو الحسن نور الدين، حاشية مسند الإمام أحمد بن حنبل، نشر وزارة الأوقاف القطرية، ط١، ٢٠٠٨، ج١١/ ١٣٨).

(٦) ينسف السيل الدمن، أي: يقتلع السيل، وهو مياه الأمطار، ما تدمِّنه الإبل والغنم من الروث والبعر. (الأزهري، تهذيب اللغة ١٣/ ٧ و٥٠، ١٤/ ١٠٣) أراد: أن من خرج للفتنة فإنها تأخذه في طريقها كما يفعل السيل المندفع يأخذ في طريقه كل ما مر به، واللَّه أعلم.

(٧) مشبهة: المشبهات من الأمور، ويعني اختلط عليك الأمر واشتبه. (الأزهري، تهذيب اللغة ٦/ ٥٩).

(٨) أي: أن الفتنة إذا أقبلت شبّهت على القوم، فأرتهم أنهم على الحق حتى يدخلوا فيها ويركبوا منها ما لا يجوز، فإذا أدبرت وانقضت بان أمرها، فعلم من دخل فيها أنه كان على الخطأ. (ابن الأثير، النهاية ٢/ ٤٤٢).

وَاكْسِرُوا سُيُوفَكُمْ، وَقَطِّعُوا أَوْتَارَكُمْ، وَغَطُّوا وُجُوهَكُمْ[١][٢].

وأثنى أبو الدرداء رضي اللَّه عنه على من التزم بيته في الفتنة فقال: نِعم صومعةُ[٣] الرجل بيتُه، يحفظ فيها لسانه وبصره[٤].

قال ابن تيمية: لا بدَّ للعبد من أوقات ينفرد بها بنفسه في دعائه، وذِكره، وصلاته، ومحاسبة نفسه، وإصلاح قلبه، إمّا في بيته – كما في حديث أبي ذر – وإمّا في غير بيته[٥].

ومن الوصايا النبويَّة بلزوم البيت في الفتنة: ما خَصَّ به رسولُ اللَّه ـ ﷺ ـ بعض أصحابه، فيما يرويه أبو ذرٍّ رضي اللَّه عنه في حديثه عن وصيَّة رسول اللَّه ـ ﷺ ـ له في الفتنة، فيقول: إن رسول اللَّه ـ ﷺ ـ قال لي: «يا أبا ذر، أرأيتَ إن قَتَل الناسُ بعضهم بعضاً، يعني: حتى تغرق حجارةُ الزيت[٦] من الدماء، كيف تصنع؟» قال: اللَّهُ

(١) قوله: «وغطوا وجوهكم» والمعنى واللَّه أعلم أنه ربما أراد: غط وجهك لئلا ترى ولا تفزع ولا تجزع إن دخل عليك البيت أحد بل استسلم نفسك للقتل حتى يبوء ويرجع هو بإثم قتلك. (القاري، مرقاة المفاتيح ٨/ ٣٣٩٤).

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك واللفظ له ٤/ ٤٩٥ وصححه الحاكم والذهبي، واخرجه نعيم بن حماد في الفتن ١/ ١٤٠، وأخرجه الأصبهاني في حلية الأولياء ١/ ٢٧٣، وأخرجه معمر، بن أبي عمرو راشد في الجامع، بيروت، المكتب الإسلامي، ط٢، ١٤٠٣هـ، ١١/ ٣٥٩. الحكم على الحديث:الإسناد صحيح رجاله ثقات.

(٣) صومعة: موضع عبادة الرهبان والنصارى. (القاري، مرقاة المفاتيح ١/ ٢٦٦).

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف واللفظ له في ج ٧/ ١١٢، وأخرجه أبي داود، سليمان بن الأشعث، في كتاب الزهد، حلوان، دار المشكاة، ط١، ١٩٩٣م، ج١/ ٢٠٣ برقم ٢١٨، وأخرجه الخرائطي، أبو بكر محمد بن جعفر، في مكارم الأخلاق ومعاليها، القاهرة، دار الآفاق العربية، ط١، ١٩٩٩م، ١/ ٢٤٤، وابن بطة، في الإبانة الكبرى، ٣/ ٥٩٣، والبيهقي في شعب الإيمان ١٣/ ١٩٤. الحكم على الحديث: صحيح رجاله ثقات.

(٥) ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس، الفتاوى الكبرى، ج١٣/ ١٦٣.

(٦) حجارة الزيت: موضع بالمدينة في الحرّة، سمي بهذا الاسم لسواد الحجارة كأنها طُليت بالزيت، والمعنى: أن الدم يعلو حجارة الزيت ويسترها لكثرة القتلى. (السندي، حاشية السندي على سنن ابن =

ورسوله أعلم، قال: «اقعُدْ فِي بَيْتِكَ، وَأَغْلِقْ عَلَيْكَ بَابَكَ»[1].

ولمّا كان النبيُّ ـ ﷺ ـ يحرص على أن يظل المسلم بعيدًا عن الفتن، لا يشارك فيها بشيءٍ ما استطاع، بيَّن للمسلم ما يجب عليه فعله عند وقوع الفتن، كحديث: «ستكون فتنٌ، القاعد فيها خيرٌ من القائم، والقائم فيها خيرٌ من الماشي، والماشي فيها خيرٌ من الساعي، من تشرَّف[2] لَهَا تَسْتَشْرِفْهُ[3]، فَمَنْ وَجَدَ مِنْهَا مَلْجَأً، أَوْ مَعاذًا[4]، فلْيَعُذْ بِهِ»[5][6]. وفي روايةٍ لمسلم: «تَكُونُ فِتْنَةٌ النَّائِمُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْيَقْظَانِ، وَالْيَقْظَانُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْقَائِمِ..» الحديثَ[7].

ونقل العيني، عن ابن التِّين قوله: "أن بعض الناس في مواجهة الفتن هم أشدُّ من بعض، فأعلاهم في ذلك: الساعي فيها بحيث يكون سبباً لإثارة الفتن، ثم بعده من

= ماجه، ج٢/ ٤٦٨).

(١) أخرجه أحمد في المسند واللفظ له ج٣٥/ ٥٢٥، وأبو داود في السنن برقم٤٢٦١ قَالَ أَبُو دَاوُدَ: «لَمْ يَذْكُرِ الْمُشَعَّثَ فِي هَذَا الْحَدِيثِ غَيْرَ حَمَّادِ بْنِ زَيْدٍ»والحاكم في المستدرك ٤/ ٤٧٠، وصححه الحاكم، وأخرجه ابن أبي شيبة، في المصنف ٧/ ٤٤٨ برقم ٣٧١٢٣،، وابن ماجه في السنن برقم ٣٩٥٨، ج٢/ ١٣٠٨، وابن حبان في صحيحه ١٥/ ٧٨ برقم ٦٦٨٥، والبيهقي في السنن الكبرى ٨/ ٣٣٠. الحكم على الحديث:إسناده صحيح رواته ثقات، وقال البوصيري في إتحاف الخيرة المهرة ٨/ ٧٢: (رواه ابن أبي شيبة ورواته ثقات)، وصححه الألباني، ناصر الدين في صحيح الجامع الصغير وزياداته برقم ٧٨١٩.

(٢) تشرّف لها: أي تطلّع لها بأن يتصدى ويتعرض لها، ولا يُعرض عنها. (ابن حجر، فتح الباري ١٣/ ٣١).

(٣) تستشرفه: أي تهلكه، يعني: من أعرض عنها أعرضت عنه، ومن خاطر فيها بنفسه أهلكته. (ابن حجر، فتح الباري ١٣/ ٣١).

(٤) ملجأً أو معاذاً، أي:موضعاً يلتجأ إليه من شرها، والمَعاذ بمعنى الالتجاء أيضاً.(العيني، عمدة القاري ٢٤/ ١٩١).

(٥) فليعذ به: أي ليعتزل فيه- في الملجأ أو الموضع- ليسلم من شر الفتنة (ابن حجر، فتح الباري ١٣/ ٣١).

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه واللفظ له في باب تكون فتنة القاعد فيها خير من القائم، ومسلم في صحيحه باب نزول الفتن برقم ٢٨٨٦، وأحمد في المسند ١٣/ ٢٠٧، إلا أنه لم يقل: من تشرف لها تستشرفه. والبيهقي في السنن الكبرى ١٥/ ٢٢. الحكم على الحديث: صحيح.

(٧) أخرجه مسلم في صحيحه واللفظ له باب نزول الفتن برقم ٢٨٨٦، وأخرجه الطيالسي، أبو داود سليمان بن داود في المسند، ج٤/ ١٠٣ برقم ٢٤٦٥ الحكم على الحديث:صحيح.

يكون قائماً بأسبابها وهو الماشي، ثم من يكون مباشراً لها وهو القائم، ثم من يكون مع النَّظَّارة – أي المشاهدين – ولا يقاتلُ، وهو القاعد، ثم من يكون محسنًا للفتن فلا يباشرها ولا ينظر إليها وهو: المضطجع اليقظان، ثم من لا يقع منه شيءٌ من ذلك، وهو النائم.

وأضاف العيني: الأفضليَّة في هذه الخيريَّة من يكون أقلَّ شرًّا ممن فوقه[١].

فهذه النصوص دلَّت على أن السلامة في الفتن: أن يلزم المسلم بيته، كما فعله أكثرُ الصحابة ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ـ استجابةً لأمر رسول اللَّه ـ ﷺ ـ لهم بلزوم بيوتهم في الفتنة، ومن هؤلاء: سعد بن أبي وقاص ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ كان ممن قعد في الفتنة ولزم بيته[٢]، وعندما طلُب منه أن يشارك في فتنة عليٍّ ومعاوية قال: لَا وَاللَّهِ، حَتَّى أُعْطَى سيفاً إن ضربتُ به مؤمناً نَبَا عنه[٣]، وإن ضربتُ به كافراً قتله[٤].

كذلك أبو موسى الأشعري رضي اللَّه عنه، كان أميراً على الكوفة يوم قُتل عثمان رضي اللَّه عنه، دعا الناسَ إلى لزوم البيوت، فكان مما قاله لهم يومئذٍ: أرسلوا

(١) العيني، عمدة القاري ٢٤/ ١٩٠.

(٢) العراقي، طرح التثريب في شرح التقريب، ج١/ ٥٣.

(٣) نبا عنه: أي تجافى السيف عنه ولم يقتله. (ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث بتصرف ٥/ ١١).

(٤) أخرجه أحمد في المسند واللفظ له في ٣/ ١١٢، والبزار في المسند ٤/ ١٦، وقال: هذا الحديث لا نعلم له طريقاً عن سعد أحسن من هذا الطريق، وأبو نعيم في حلية الأولياء ١/ ٩٤، والدورقي، أبو عبداللَّه أحمد بن إبراهيم في مسند سعد بن أبي وقاص، بيروت، دار البشائر الإسلامية، ط١، ١٤٠٧هـ، ج١/ ١٣٣ وابن شبة، عمر بن شبة، في تاريخ المدينة، طبع في جدة سنة ١٣٩٩هـ، ج٣/ ١١٢٤. الحكم على الحديث: إسناده حسن لحال كثيّر بن زيد الأسلمي: (قال ابن حجر: صدوق يخطئ، وقال أبو حاتم: صالح ليس بالقوي يكتب حديثه، وقال أبو زرعة: صدوق فيه لين، وقال ابن حنبل: ما أرى به بأساً، وكذا قال ابن معين، وقال مرة: ليس بذاك، ليس بشيء، وذكره ابن حبان في كتاب الثقات.) (المزي، تهذيب الكمال ٢٤/ ١١٣، ابن حجر، تهذيب التهذيب ٨/ ٤١٣، وتقريب التهذيب ١/ ٤٥٩). وذكره الألباني،، في سلسلة الأحاديث الصحيحة ج٧/ ١٤٦٨ برقم ٣٥١٤.

سهامَكم، واقطعوا أوتارَكم، والزموا بيوتكم[1]. وكان أبو موسى رضي اللَّه عنه يستدلُّ على ما قاله لهم بما سمعه من رسول اللَّه ـ ﷺ ـ أنه قال في الفتنة: «كسِّروا قِسِيَّكم[2]، وَقطِّعُوا أَوْتَارَكُمْ، يَعْنِي فِي الْفِتْنَةِ، وَالْزَمُوا أَجْوَافَ الْبُيُوتِ[3]، وَكُونُوا فِيها كَالْخَيِّرِ مِنْ ابنَيْ آدم»[4][5].

وممَّن اعتزل الفتنة ولزم بيته من الصحابة أيضًا: عبداللَّه بن عمر بن الخطاب ـــ رَضِيَ اللَّهَ عَنْهُمَا ـــ وقد أثنى عليه جابر بن عبداللَّه ـــ رَضِيَ اللَّهَ عَنْهُمَا ـــ فقال: مَا مِنَّا

(١) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الرسل والملوك، بيروت، دار التراث، ط٢، ١٣٨٧هـ، ج٤/ ٤٨٤.

(٢) كسروا قسيِّكم وقطعوا أوتاركم: القسيّ: جمع قوس، والكسر على الحقيقة، وأمر بقطع الأوتار إذ لا منفعة لوجود الأوتار مع كسر القسيّ، وهذا دليل على ترك القتال عند ظهور الفتن، والتحذير من الدخول فيها. (القاري، مرقاة المفاتيح ٨/ ٣٣٩٥، والصنعاني، محمد بن إسماعيل، سبل السلام، القاهرة، دارالحديث، ج٢/ ٤٥٧ (بدون تاريخ)

(٣) أجواف البيوت: يعني الزموا بيوتكم في الفتن حتى يسلم من الناس ويسلموا منه. (المنذري، الترغيب والترهيب من الحديث الشريف، ج٣/ ٢٩٨، والقرطبي، أبو عبداللَّه محمد بن أحمد التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة، ج١/ ١٠٩٤). الرياض، دار المنهاج، ط١، ١٤٢٥ه.

(٤) كالخيّر من ابني آدم: أي إن دخل عليه أحد فليستسلم حتى يكون قتيلاً كهابيل ولا يكون قاتلاً كقابيل. (القاري، مرقاة المفاتيح ٨/ ٣٣٩٥).

(٥) أخرجه أحمد في المسند واللفظ له ٣٢/ ٤٣٣، وابن ماجه في السنن٢/ ١٣١٠ باب التثبت في الفتنة، والترمذي في السنن في الفتن باب ما جاء في اتخاذ سيف من خشب برقم :٢٢٠٤وقال: حديث حسن غريب،، وأبو داود في السنن باب النهي عن السعي في الفتنة برقم ٤٢٥٩، وابن أبي شيبة في المصنف ٧/ ٤٤٨، والبيهقي في شعب الإيمان ٧/ ٢٤٢ برقم ٤٩٣٨، وابن حبان في صحيحه برقم ٥٩٦٢. الحكم على الحديث: الإسناد حسن لحال عبد الرحمن بن ثروان (وثقه ابن معين والذهبي والدارقطني وابن نمير والعجلي، وقال ابن حجر: صدوق ربما خالف، وقال ابن حنبل: يخالف في أحاديثه ليس به بأس، وقال أبو حاتم: ليس بقوي هو قليل الحديث وليس بحافظ، قيل له: كيف حديثه؟ فقال: صالح، هو لين الحديث، وقال النسائي: ليس به بأس، وذكره ابن حبان في الثقات. (المزي، تهذيب الكمال ١٧/ ٢١، الذهبي، الكاشف ١/ ٦٢٣، ابن حجر: تهذيب التهذيب ٦/ ١٥٢-١٥٣، وتقريب التهذيب ١/ ٣٣٧) وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة برقم ١٥٢٤، وقال الشيخ تقي الدين: إن الحديث صحيح على شرط البخاري. (ابن الملقن، سراج الدين أبو حفص، كتاب تحفة المحتاج إلى أدلة المنهاج، مكة المكرمة، دار حراء، ط١، ١٤٠٦هـ، ج٢/ ٤٩٤).

أَحَدٌ أَدْرَكَ الدُّنْيَا إِلَّا قَدْ مَالَتْ بِهِ وَمَالَ بِهَا، إِلَّا عَبْدَاللَّهِ بْنِ عُمَرَ ـ رَضِيَ اللَّهَ عَنْهُمَا ـ [١]، قال الخطابي: كَانَ ابْنُ عُمَرَ مِنْ أَشَدِّ الصَّحَابَةِ حَذَّرًا مِنَ الْوُقُوعِ فِي الْفِتَنِ، وَأَكْثَرُهُمْ تَحْذِيرًا لِلنَّاسِ مِنَ الدُّخُولِ فِيهَا[٢].

قال الذهبي: وقد اعتزل سعيد بن العاص الأُمويُّ الفتنة فأَحسن، ولم يقاتل مع معاوية.

كذلك عِمرانُ بن حَصِين؛ كان ممن اعتزل الفتنة ولم يقاتل مع علي[٣]، وكان يوصي من يلقاه من المسلمين قائلاً: الزم مسجدك، فسُئل: فإن دُخِل عليّ؟ قال: فالزمْ بيتك[٤].

وقد انتفع أسامةُ بن زيد رضي اللَّه عنه من قول النبيِّ ـ ﷺ ـ عندما قتل رجلاً قال: لا إله إلا اللَّه عندما اقترب منه أسامةُ بسيفه، فقال له رسول اللَّه ـ ﷺ ـ: «كيف تصنع بلا إلهَ إلَّا اللَّهُ يا أسامة؟» فكفّ أسامة يده ولزم منزله فأَحسن، على ما ثبت في الحديث الذي يرويه أسامة فيقول يَقُولُ بَعَثَنَا رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - إِلَى الْحُرَقَةِ[٥]، فَصَبَّحْنَا الْقَوْمَ فَهَزَمْنَاهُمْ وَلَحِقْتُ أَنَا وَرَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ رَجُلاً مِنْهُمْ، فَلَمَّا غَشِينَاهُ[٦]، قَالَ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ

(١) أخرجه ابن ابي شيبة واللفظ له في المصنف ٦/ ٣٩٦، وأخرجه الحاكم في المستدرك ٣/ ٦٤٥ وصححه الحاكم والذهبي، وأخرجه ابن الأعرابي، في المعجم ج٣/ ١٣١ برقم ٢٤٤٠، وأخرجه ابن حنبل، أحمد بن محمد في فضائل الصحابة، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٩٨٣م، ج٢/ ٨٩٤، وأبو نعيم في حلية الأولياء ١/ ٢٩٤. الحكم على الحديث:إسناده صحيح رواته ثقات. قال ابن حجر، العسقلاني أحمد بن علي في الإصابة في تمييز الصحابة ٤/ ١٥٧: أخرجه ابن الأعرابي بسند صحيح، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٥هـ.

(٢) الخطابي، في كتاب العزلة ١/ ١٤-١٥.

(٣) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٣/ ٤٤٥، ٥٠٩، ٥٠١.

(٤) رجاله ثقات، ابن سعد، الطبقات الكبرى ٤/ ٢١٦، والذهبي، في سير أعلام النبلاء ٢/ ٥٠٩.

(٥) الحُرقة، بضم الحاء:قبيلة من جهينة سميت «الحرقة»لوقعة كانت بينهم وبين بني مُرة بن عوف فأحرقوهم بالسهام لكثرة من قتلوا منهم، وهذه السرية كانت في رمضان سنة سبع. (ابن حجر، فتح الباري ١٢/ ١٩٥).

(٦) غشيناه: اي لحقنا به حتى تغطّى بنا. (ابن حجر، فتح الباري ١٢/ ١٩٥).

. فَكَفَّ الأَنْصَارِيُّ ، فَطَعَنْتُهُ بِرُمْحِي حَتَّى قَتَلْتُهُ ، فَلَمَّا قَدِمْنَا بَلَغَ النَّبِيَّ - ﷺ - فَقَالَ : «يا أسامة، أقتلته بعدَ ما قال: لا إله إلا اللَّه؟ «قلتُ: كان متعوِّذاً[1] فما زال يكررها حتى تمنَّيت أني لم أكن أسلمتُ قبل ذلك اليوم[2][3].

ومن الصحابة الذين اعتزلوا الفتنة أيضًا وأقبلوا على شأنهم: صُهيب بن سِنان الرومي[4]، وأبو هريرة، الذي اعتزل الفتنة وأقام بالمدينة ولم يبرَحْها[5]، وأبو بَكْرة وأبو ذرٍّ وغيرُهم ــ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ـ أجمعين، ومن التابعين: شُريح والنَّخَعي وغيرُهما[6].

وكان ابن سيرين يوصي المسلمين بالجلوس في البيت عند الفتنة، فيما يرويه عنه ابن شَوْذب فيقول: إن ابن سيرين ذكر فتنةً تكون فقال: (إذا كان ذلك فاجلسوا في بيوتكم)[7].

(١) متعوذاً، وفي رواية أخرى: قالها خوفاً من السلاح. لا مخلصا في إسلامه(ابن حجر، فتح الباري ١٢/ ١٩٦ـ والقاري، مرقاة المفاتيح ٦/ ٢٢٦٠).

(٢) أي: تمنيت أن إسلامي كان اليوم: لأن الإسلام يجبّ ما قبله، فتمنى أسامة رضي اللَّه عنه أن يكون ذلك الوقت أول دخوله في الإسلام ليأمن من جريرة تلك الفعلة فلا تكون في صحيفته، وهذه القصة كانت سبب حلف أسامة أن لا يقاتل مسلماً بعد ذلك، ومن ثَم تخلّف عن عليّ في الجمل وصفين. (ابن حجر، فتح الباري ١٢/ ١٩٦)

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه واللفظ له في باب: بعث النبي ــ ﷺ ـ أسامة بن زيد، ومسلم في صحيحه، باب: تحريم قتل الكافر برقم ٩٦، وأبوداود في السنن برقم ٢٦٤٣وسكت عنه، وأحمد في المسند ٣٦/ ٧٣. الحكم على الحديث:صحيح.

(٤) الذهبي، سير أعلام النبلاء ٢/ ١٨.

(٥) ابن حجر العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة ١/ ٧٦.

(٦) القرطبي، التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة ١/ ١٠٩٤.

(٧) أخرجه نعيم بن حماد في الفتن ١/ ٣٥٨ برقم ١٠٣٦. الحكم على الحديث إسناده حسن لحال ضمرة بن ربيعة: قال ابن حجر: صدوق يهم قليلاً، وقال ابن حنبل: من الثقات المأمونين، ووثقه النسائي وابن معين والعجلي وابن سعد وابن شاهين في الثقات، وقال الساجي: صدوق يهم عنده مناكير، وقال أبو حاتم: صالح. (المزي، تهذيب الكمال ١٣/ ٣١٦-٣٢٠، وابن حجر، تهذيب التهذيب ٤/ ٤٦٠-٤٦١، وتقريب التهذيب ١/ ٢٨٠).

[المبحث الثالث] كفُّ اللسان في الفتنة:

إن فتنة اللسان ليست بأقلَّ من فتنة السِّنان، بل إن فتنة اللسان تحرِّض على فتنة السنان، ففي الحديث السابق قال رسول اللَّه ـ ﷺ ـ لعبد اللَّه بن عمرو:«الزم بيتك، واملك عليك لسانك»[(١)].

وكتب عبدُالملك بن مروان إلى الحجاج بن يوسُف أنْ: صِفْ ليَ الفتنة حتى كأني أنظرُ إليها، فكتب إليه الحجاج: إن الفتنة تَلقَح بالنجوى، وتَنتُج بالشكوى[(٢)]، ويقوم بها الخطباء[(٣)].

وقد كره السَّلف الكلامَ في الفتنة، فعن ابن عباس ـــ رَضِيَ اللَّهَ عَنْهُمَا ـــ أنه قال: إنما الفتنة باللسان. وقال الحسن: السلامة في الفتنة: سلامةُ القلوب والأيدي والألسُن[(٤)].

إذًا، فالنجاة من الفتن تكون أيضًا في حفظ اللسان، قال القرطبي: واجبٌ على الإنسان أن يكفَّ اليد واللسان عند ظهور الفتن ونزول البلايا والمحن[(٥)]؛ فلا يكتب بيده مما لا يجوز النطقُ به، فإن القلم أحدُ اللسانين، ولأن: «أَكثرُ النَّاسِ خَطَايَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَكْثرُهُمْ خَوْضًا في الْبَاطِلِ» كما قال ابن مسعود ـــ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـــ[(٦)].

(١) الحكم على الحديث: حديث حسن، سبق تخريجه، ص ١٥.

(٢) تُلقح بالنجوى، وتنتج بالشكوى: أي أن الفتنة تتحقق إذا سار بها من يشكو ويذم السلطان (كالمظاهرات في العصر الحديث) (ابن قتيبة، غريب الحديث ٣/ ٧٠٨).

(٣) الشافعي عبدالرحمن بن نصرالمنهج المسلوك في سياسة الملوك، الأردن، مكتبةالمنار، ج١/ ٥٥٩بدون تاريخ

(٤) ابن بطال، شرح صحيح البخاري ١٠/ ٣٧.

(٥) القرطبي، التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة ١/ ١٠٩٤.

(٦) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير واللفظ له في ٩/ ١٠٤، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ١٠/ ٣٠٣: رواه الطبراني ورجاله ثقات، وقال العراقي، في تخريج أحاديث إحياء علوم الدين: رواه الطبراني موقوفاً على ابن مسعود بسند صحيح، الرياض، دار العاصمة للنشر، ط١، ١٩٨٧م، ج٤/ ١٦٤٤، وأخرجه أيضاً ابن المبارك في الزهد والرقاق ج١/ ١٢٨ برقم ٣٧٨، واخرجه أبو داود، في الزهد،، ج١/ ١٥٢، وأخرجه =

ومعَ أن بعض المسلمين معذورون فيما يقرؤون ويسمعون، لأنهم لا يستطيعون التمييز بين ما يصح وما لا يصح، غير أنّ عليهم الرجوعَ إلى أهل العلم الصحيح لتعليمهم، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾ [النساء: ٨٣].

وكذا كان دأبُ الصحابة ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ـ فيما يرويه سفيان الثقفيُّ فيقول: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، حَدِّثْنِي بِأَمْرٍ أَعْتَصِمُ بِهِ[1]، قال: «قلْ: ربِّيَ اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقِمْ»، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا أَكثر مَا تَخَافُ عَلَيّ؟ فَأَخَذَ بِلِسَانِ نَفْسِهِ، ثُمَّ قَالَ: «هَذَا» [2].

قال الغزالي: إنّ أَعصى الأعضاءِ على الإنسان: اللسان، فإنه لا تعبَ في إطلاقه، وقد تساهل الخلق في الحذر من آفاته ومصائده، فمن أطلق لسانه، سلك به الشيطانُ في كل ميدان، ولا ينجو من شرِّ اللسان إلا من قيّده بلجام الشرع فلا يطلقه إلا فيما ينفعه في الدنيا والآخرة[3].

إنّ كثرة الأخبار التي يتم تداولها يوميًّا على مواقع التواصل الاجتماعي ومن خلال

= البيهقي، في شعب الإيمان ١٣/ ٢٧٠، وأخرجه أحمد ابن حنبل في الزهد، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٩٩٩م، ج١/ ١٣٢. الحكم على الحديث: صحيح، رجاله ثقات.

(١) أعتصم به: أي أستمسك به من الشرور والفتن. (المباكفوري، تحفة الأحوذي ٧/ ٧٧).

(٢) ثم قال هذا: أي هذا أكثر خوفي عليك منه .(المباركفوري، تحفة الأحوذي ٧/ ٧٧).
أخرجه ابن ماجه في السنن واللفظ له في باب كف اللسان في الفتنة ٢/ ١٣١٤ وأخرجه الترمذي في السنن في باب ما جاء في حفظ اللسان برقم ٢٤١٠، وقال: حديث حسن صحيح، وأحمد في المسند ٢٤/ ١٤٣، وابن حبان في صحيحه برقم ٥٦٩٨، والحاكم في المستدرك ٤/ ٣٤٩ وصححه ووافقه الذهبي، والطبراني، في المعجم الأوسط ٢/ ٢٥٧، والبيهقي في شعب الإيمان ٧/ ٩، الحكم على الحديث: الحديث برواية ابن ماجه حسن، لحال محمد بن عبدالرحمن بن ماعز: روى عن سفيان بن عبداللَّه الثقفي حديث الاستقامة، وروى عنه الزهري، قال ابن حجر: مقبول، وذكرة ابن حبان في الثقات.(تهذيب الكمال ٥٢/ ٦٢٨، والثقات ٥/ ٣٦٤) والحديث صححه الألباني في مشكاة المصابيح، التبريزي، محمد بن عبداللَّه في مشكاة المصابيح، بيروت، المكتب الإسلامي، ط٣، ١٩٨٥م ٣/ ١٣٦١ برقم ٤٨٤٣.

(٣) الغزالي، حجة الإسلام أبو حامد محمد بن محمد بن محمد، إحياء علوم الدين، بيروت، دار المعرفة، بدون تاريخ، ٣/ ١٠٨.

القنوات الفضائية، تتطلب من المسلم أن يحسن التعامل مع هذه الأخبار، فيختارَ منها ما يصلح نشرُه وتداوله ويتجنَّب ما لا يصلح، فكما أنه ليس كلُّ ما يقال يصح، فليس كل ما يُعلَم يقال، فمن لا يقدِر أن يكون ممَّن تكلَّم فغنِم، فلْيكن ممن سكَت فسَلِم؛ لأن رسول اللَّه ـ ﷺ ـ قال: « إِنَّ اللَّهَ لَا يُعَذِّبُ بِدَمْعِ الْعَيْنِ وَلَا بِحُزْنِ الْقَلْبِ وَلَكِنْ يُعَذِّبُ بِهَذَا وَأَشَارَ إِلَى لِسَانِهِ أَوْ يَرْحَمُ »(١).

ومما يساعد المسلمَ في تطهير اللسان من هذه الخطايا: **الوضوء**، ففي الحديث الصحيح: «مَا مِنْكُمْ رَجُلٌ يُقَرِّبُ وُضُوءَهُ(٢) فَيَتَمَضْمَضُ(٣)، وَيَسْتَنْشِقُ فَيَنْتَثِرُ(٤) إِلَّا خَرَّتْ خِطَايَا وِجْهِهِ(٥) وَفِيهِ(٦)» ، الْحَدِيثَ(٧).

قال ابن القيِّم: هذه الأعضاءُ هي التي يُعصى بها اللَّهُ سبحانه وتعالى ويُطاع، فكان في غسلها ما يقتضي إزالةَ ما لحقها من درَن المعصية، وحاجةُ اللسان والشَّفتَيْن إلى

(١) أخرجه مسلم في صحيحه واللفظ له في باب البكاء على الميت، وأخرجه البخاري في صحيحه في باب البكاء عندالمريض، وأخرجه البيهقي في شعب الإيمان ١٢/ ٤٣٢، وأخرجه ابن حبان في صحيحه برقم ٣١٥٩. الحكم على الحديث:صحيح.

(٢) يُقرِّب وضوءه: يُحضر ما يتوضأ به. (ابن علان الشافعي، ديل الفالحين لطرق رياض الصالحين ٤/ ٣٤٦).

(٣) فيتمضمض: قال الشافعي: المضمضة أن يأخذ الماء في فمه ويديره فيه ثم يمجّه، فإن مجّه (أي قذفه من فمه) ولم يُدره في الفم لم يُعتدَّ بوضوئه، لأن القصد من المضمضة قطع الرائحة من الفم وإزالة تغيّره، وهذا لا يوجد من غير إدارة الماء وتحريكه في الفم. (الشافعي، أبو الحسين يحيى بن أبي الخير، البيان في مذهب الإمام الشافعي، جدة، دار المنهاج، ط١، ٢٠٠٠م، ج١/ ١١١).

(٤) ويستنشق فينتثر: أي يُدخل الماء في الأنف ثم ينثره ويُخرجه من الأنف مع الأوساخ. (القاري، مرقاة المفاتيح ٢/ ٨٢٣).

(٥) خرّت خطايا وجهه: أي سقطت وذهبت الخطايا الصغائر مع الماء. (النووي، شرح النووي على صحيح مسلم، ج٦/ ١١٧).

(٦) وفيه: أي سقطت خطايا فمه من جهة الكلام والطعام. (القاري، مرقاة المفاتيح ٢/ ٨٢٤).

(٧) أخرجه مسلم في صحيحه واللفظ له، في باب إسلام عمرو بن عبسة برقم ٨٣٢، وأحمد في المسند ٢٨/ ٢٣٨، والبيهقي في السنن الكبرى ٢/ ٦٣٧، والدارقطني، في السنن، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط١، ٢٠٠٤م، ج١/ ١٩١ برقم ٣٧٨. الحكم على الحديث: صحيح.

الغسل والطهارة كحاجة بقية الأعضاء[1].

إن المسلم يجب عليه ألا يكون مذياعًا وبوقًا لكل ما يسمع ويرى، فقد عاب اللَّهُ سبحانه وتعالى على من يلقي أذُنه لكلام اليهود والمنافقين في المدينة، فقال جل شأنه: ﴿يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ﴾ [التوبة: ٤٧]، قال ابن كثير: أي بينَكم مطيعون لهؤلاءِ ومستحسِنون لحديثهم وكلامهم، يستنصحونهم وإن كانوا لا يعلمون حالَهم، فيؤدِّي هذا إلى وقوع شرٍّ بين المؤمنين وفساد كبير[2].

وهذا النوع من أهل الفتنة كائنٌ موجودٌ في كل زمان ومكان، لذا يجب على المسلم ألا يبادر إلى الأمور قبل تحققها فينشرها وقد لا تكون صحيحة، فيقع في الإثم الذي حذر منه رسول اللَّه ـ ﷺ ـ فقال: «كَفَى بِالْمَرْءِ كَذِبًا أَنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ»[3]، يعني: لو لم يكن للرجل إثمٌ إلّا تحدُّثُه بكل ما يسمعه وما يبلغه عبر مواقع التواصل الاجتماعي من غير بيّنةِ صِدقه من كذبه، فهذا يكفيه من الإثم؛ لأنه إذا تحدث أو تداول ونشرَ كلَّ ما يسمعه ويصل إليه لم يخلُص من الكذب، إذْ جميعُ ما يسمع – وخاصةً في عصرنا الحاضر – ليس بصدق، بل بعضه كذب، لذا عليه أن يبحث ويتحرى، ولا يتحدث إلا بما تيقّن صدقه، فإن ظن كذبه وشك في ذلك، حرُم عليه نشره وإذاعته[4].

إنّ تناقل الشائعات أمر يتفاقم كثيرًا في الفتن والأزمات، كما حدث ذلك عندما وقع

(١) ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر، إعلام الموقعين عن رب العالمين، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٩٩١م، ج٢/ ٥٩-٦٠.

(٢) ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم سورة التوبة، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٩هـ، ج٤/ ١٤٠.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه واللفظ له في باب النهي عن الحديث بكل ما سمع، وأخرجه ابن أبي شيبة في المصنف ٥/ ٢٣٧، وأخرجه البزار في المسند ١٥/ ٢٠، وأخرجه النسائي، أبو عبدالرحمن أحمد بن شعيب في كتاب الإغراب، المدينة المنورة، دار المآثر، ط١، ٢٠٠٠م، ج١/ ٢٣٧ برقم ١٦٧، وأخرجه البيهقي، أحمد بن الحسين، في معرفة السنن والآثار، دمشق، دار قتيبة، ط١، ١٩٩١م، ج١/ ١٤٣. الحكم على الحديث: صحيح.

(٤) المناوي، زين الدين، فيض القدير شرح الجامع الصغير ٤/ ٥٥١، بتصرف.

وباء كورونا (كوفيد ١٩) في ديسمبر عام ٢٠١٩، حيث بدأ الناس يتناقلون الأحاديث الصحيحة وغير الصحيحة حوله، وانتشرت الشائعات، وكلما ارتفع عدد المصابين به في العالم، زادت الشائعات حوله، وقد وصل عدد الإصابات بهذا الفيروس كورونا حتى كتابة هذه السطور إلى أكثرَ من ٥٠٠ مليونَ مصابا[١]، في كل دول العالم، وكثرت الشائعات وانتشرت بسبب رغبة الناس في الحصول على معلومات حول الفيروس بسرعة، وكذلك بسبب بحث الناس عن المعلومات من مصادرَ غير رسمية، أو مصادرَ مجهولةٍ أيضًا.

فيجب على من أراد نشر معلومةٍ ما، أن يتحقق من **ثلاثة أشياءَ**:

أولًا: أن يتأكد تمامًا أن هذه المعلومة صحيحة، سواءٌ أكانت المعلومة في الدين أم في الدنيا، ويجب عليه أن يشير إلى مصدر هذه المعلومة ليطمئن السامع والقارئ لها.

ثانيًا: أن يراعيَ حال المرسَل إليه، فالناس ليسوا سواءً في مستوى العلم، ولذلك قال عليٌّ ـــ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـــ: «حدّثوا الناس بما يعرفون» [٢]، أي: بما يفهمون[٣]، وقد أمسك النبيُّ ـ ﷺ ـ عن نقض الكعبة وإعادتها على قواعد إبراهيمَ بسبب حِدْثان عهدِ قريش بالإسلام، أي: قرب عهدهم بالكفر والخروج منه والدخول في الإسلام، وأنه لم يتمكن الدينُ في قلوبهم بعدُ، فلو هدم الكعبة وغيّرها ربما نفروا من ذلك[٤]،

(١) هذا الرقم رصده موقع «وورلدميتر» (world meters) وهو موقع عالمي متخصص في رصد أعداد ضحايا هذا الوباء حول العالم.

(٢) نَصُّهُ: «حَدِّثُوا النَّاسَ بِمَا يَعْرِفُونَ ، أَتُحِبُّونَ أَنْ يُكَذَّبَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ» تخريج الأثر:أخرجه البخاري في صحيحه باب من خص بالعلم قوماً، وأخرجه البيهقي، في المدخل إلى السنن الكبرى، الكويت، دار الخلفاء للنشر، بدون تاريخ، ج١/ ٣٦٢، وأخرجه الوخشي، ابو علي الحسن بن علي، في الخامس من الوخشيات، وهو مخطوط نشر على موقع الشبكة الإسلامية، الطبعة الأولى ٢٠٠٤م، ج١/ ١٧، والقرطبي في جامع بيان العلم وفضلة، ج١/ ٥٤٠.الحكم على الأثر: صحيح.

(٣) ابن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري ١/ ٢٢٥.

(٤) ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر ١/ ٣٥٠.

فقال لعائشة ــ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ــ: «لَوْلَا حَدَاثَةُ قَوْمِكِ بِالْكُفْرِ لَنَقَضْتُ الْكَعْبَةَ..»[1]، لأنَّ كُلَّ عِلْمٍ يختص باستعداد وله أهل، فإذا وُضع العلم في غير موضعه، بأن يحدّثَه من لا يفهمه أو من يريد منه غرضًا دنيويًّا، فقد ظلم[2].

ثالثًا: أن يتأكد أن المعلومة لن تؤدّيَ إلى فتنة إذا أُسِيءَ فَهْمُهَا، كما قال عبداللَّه بن مسعود ــ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ــ اللَّهُ عَنْهُ ــ: ما أنت بمحدِّثٍ قومًا حديثًا لا تبلغه عقولُهم إلَّا كان لبعضهم فتنةً[3].

وهذا ما رعاه النبيُّ ــ ﷺ ــ عندما منع قتل المنافقين، حيث قال لعمر بن الخطاب ــ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ــ عندما استأذنه في قتل المنافق عبداللَّه بن أُبيّ: «دَعْهُ، لَا يَتَحَدَّثُ النَّاسُ أَنَّ مُحَمَّدًا يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ»[4].

قال النبيُّ ــ ﷺ ــ ذلك خشيةَ أن يثير قتلُه فتنة، أوْ يَنْفِّرُ النَّاسَ عَنِ الدُّخُولِ فِي الْإِسْلَامِ[5].

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه واللفظ له في باب نقض الكعبة، وأخرجه البخاري في صحيحه باب فضل مكة، والدارمي في السنن باب الحجر من البيت برقم ١٩١٠، ج٢/ ١١٨٨، وأحمد في المسند ٤٠/ ٣٤٠، والنسائي في الكبرى باب بناء الكعبة برقم ٣٨٧١. الحكم على الحديث: صحيح.

(٢) القاري، مرقاة المفاتيح ١/ ٣٠١.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه في المقدمة باب النهي عن الحديث بكل ما سمع، وأخرجه البيهقي في المدخل إلى السنن الكبرى ١/ ٣٦٢، والقرطبي، في جامع بيان العلم وفضله ١/ ٥٣٩، وابن مهنا، أبو علي عبد الجبار بن عبداللَّه الخولاني، في تاريخ داريا، دمشق، مطبعة البرقي، ١٩٥٠م، ج١/ ٨٦.الحكم على الحديث: هذا الحديث مرسل؛ لأن راويه عبيد اللَّه بن عبداللَّه بن عتبة بن مسعود لم يسمعه من ابن مسعود الراوي الأعلى، وإن كان معناه صحيحًا، قال العيني في عمدة القاري ٢/ ٢٠٥ :الحديث أخرجه مسلم في مقدمة كتابه بسند صحيح، وذكره الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة٣/ ٢٩٩.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه واللفظ له في باب قوله: ﴿لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ﴾، ومسلم في صحيحه في باب نصر الأخ ظالماً، والترمذي في السنن باب من سورة المنافقين برقم ٣٣١٥، وقال: حسن صحيح، والنسائي في الكبرى باب دعوى الجاهلية، ٨/ ١٣٦، وأحمد في المسند ٢٣/ ٣٨٩. الحكم على الحديث: صحيح.

(٥) ابن حجر، فتح الباري، ١٠/ ٢٣١.

إنّ العقول لا تُحمَّل إلّا قدرَ طاقتها، فإذا زِيد عليها مالا تحتمله، استحال الحال من الصلاح إلى الفساد[١]، وهنا تكون الفتنة؛ لأن السامع أحيانًا يكذِّب ما لا يفهمه أو يعتقد باستحالته جهلًا منه، أو يطبِّق ما سمعه بطريقة خاطئة تضره هو أو تضر بالآخرين.

[المبحث الرابع] التأني والتُّؤَدة:

وهي من وسائل النجاة من الفتن، وتعني: التأنيَ والتثبُّت وتركَ الاستعجال حتى يستبِين الصواب[٢].

والأناة والتثبت في الأمور من شعار العقلاء[٣]، فالتأني من الأمور التي يحبها اللَّه سبحانه وتعالى، كما قالها رسولنا الكريم ـ ﷺ ـ لأشجِّ عبد القيس عندما وفَد إليه مع قومه: «إِنَّ فِيكَ خَصْلَتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللَّهُ: الْحِلْمُ وَالْأَنَاةُ» [٤].

وكانت العرب تسمي العجَلة (أمَّ الندامات)، فالعَجِل يقول قبل أن يعلم، ويجيب قبل أن يفهم، والعَجِل تصحبه الندامة، وتعتزله السلامة[٥].

وهذا ما يحدث حاليًّا عندما تصل معلوماتٌ: سياسية أو دينية أو اقتصادية أو اجتماعية ونحوها، إلى مواقع التواصل الاجتماعي، حيث يسارع الأشخاص بإرسالها بعضهم إلى بعضٍ قبل أن يتأكدوا من صحتها والنفع من نشرها بين الناس، ومعلومٌ أنّ ترْك العجَلة والتريُّثَ في مواجهة هذه الأخبار هو الصواب؛ لأن من الأخبار ما يكون صحيحًا لكنه غير صالح للنشر، وما كان صالحًا للنشر لا يصحُّ أن يُنشر بصورة تخيف

(١) المناوي، التيسير بشرح الجامع الصغير ٢/ ٣٤٣.

(٢) الحميدي، أبو عبداللَّه محمد، تفسير غريب ما في الصحيحين البخاري ومسلم، مصر، مكتبة السُّنة، ط١، ١٩٩٥، ج١/ ٤٣ و١٦١.

(٣) ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر ١/ ٤٣٤ مادة (الأناة).

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه، واللفظ له في باب الأمر بالإيمان باللَّه برقم ١٧، والترمذي في السنن باب ما جاء في التأني برقم ٢٠١١، وأبو داود في السنن باب في قُبلة الرجل برقم ٥٢٢٥ وسكت عنه، وأحمد في المسند ١٧/ ٢٦٦. الحكم على الحديث: صحيح.

(٥) أبو حاتم، روضة العقلاء ونزهة الفضلاء، باب الحث على لزوم الرفق ١/ ٢١٦.

المسلمين؛ لأن هذا استدراج من العدو للوقوع في أسر (الحرب الإعلامية)، فعلى المسلم أن يفهم الخطاب الإعلامي، ويعلم أنه خطابٌ مُوجَّهٌ، وأن كثيرًا من الأخبار والصور التي يتم تداولها في مواقع التواصل الاجتماعي يفتقر إلى المصداقية ويفتقدها، وحين ينشر أحدٌ ويتداول كل ما يصله دون تثبت، يكون قد ارتكب خطيئة، فقد صحَّ عن النبيِّ ـ ﷺ ـ أنه قال: «كَفَى بِالْمَرءِ كَذِبًا أَنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ»[(١)]، فعلى الإنسان ألا يأخذ الأمور والأخبار بظاهرها فيتعجّل، وألَّا يحكم على ما يراه ويسمعه قبل أن يتأنّى فيه، وينظر ويُنعم النظر، حتى لا يقع في منزلَقات خطيرة.

ذلك أن التأنيَ والتثبُّت في تلقي الأخبار منهجٌ إسلامي أصيل دلَّ عليه الكتاب والسنة؛ أمّا الكتاب فقول اللَّه تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾ [الحجرات: ٦]، فليس كل ما يتم سماعُه أو مشاهدته من أيِّ مصدر إخباري يكون كذبًا، بل يجب التريث وعدمُ الاستعجال في نشره. وأمّا السنة فقد عدَّ رسول اللَّه ـ ﷺ ـ التُّؤَدة جزءًا من أربعة وعشرين جزءًا من النبوة، ففي الحديث: «السَّمتُ الْحَسَنُ[(٢)]، والتُّؤَدَةُ، وَالاقْتِصَادُ[(٣)]، جُزْءٌ مِنْ أَرْبَعَةٍ وَعِشْرِينَ جُزْءًا مِنَ النُّبُوَّةِ»[(٤)]، قال الخطَّابي: إن هذه الخِلال من شمائل

(١) الحكم على الحديث: صحيح، سبق تخريجه، ص ٤٨.

(٢) السمت الحسن: الوقار والحياء وسلوك طريقة الفضلاء الصالحين. (القرطبي، ابن عبدالبر، أبو عمر يوسف بن عبداللَّه، الاستذكار، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ٢٠٠٠م، ج٨/ ٤٥٢).

(٣) الاقتصاد: سلوك القصد في الأمر، والدخول فيه برفق وعلى سبيل يمكن الدوام والاستمرار عليه. (الخطابي، معالم السنن ٤/ ١٠٦).

(٤) أخرجه الترمذي في السنن واللفظ له في باب ما جاء في التأني برقم ٢٠١١، وقال: حديث حسن غريب، وأخرجه الطبراني في المعجم الأوسط ١/ ٣٠٣، وأخرجه عبد بن حميد، في المنتخب من المسند ج١/ ١٨٣ برقم ٢١٥، وأخرجه ابن أبي الدنيا، عبداللَّه ابن محمد في إصلاح المال، بيروت، مؤسسة الكتب الثقافية، ط١، ١٩٩٣م، ج١/ ٩٨ برقم ٣٢٥، وأخرجه ابن أبي عاصم، أحمد بن عمرو في الآحاد والمثاني، =الرياض، دار الراية، ط١، ١٩٩١، ٢/ ٣٣٦ برقم ١١٠٥، وأخرجه المخلص، محمد بن عبد الرحمن في المخلصيات وأجزاء أخرى لأبي طاهر المخلص، قطر، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، =

الأنبياء صلوات اللَّه عليهم، ومن خصالهم، فاقتدوا بهم وتابِعوهم عليها، وليس معنى الحديث أنّ من جَمَع هذه الخلالَ كان فيه جزءٌ من النبوة، فهذه الخلال دعا إليها الأنبياءُ صلوات اللَّه عليهم، وأُمرنا بالاقتداء بهم[(١)]، ﴿فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾ [الأنعام،الآية ٩].

ولْنذكرْ ما مضى من قول رسول اللَّه ـ ﷺ ـ لعبداللَّه بن عمرو بن العاص: «خُذْ مَا تَعْرِفُ، وَدَعْ مَا تُنْكِرُ»[(٢)]، لنتيقَّنَ أنه إنما يتطلب من الإنسان أن يفحص ويمحِّص ما يرى ويسمع، حتى لا يبني مواقفه على معلومات قد لا تكون صحيحة.

والحديث السابق يأمر فيه رسول اللَّه ـ ﷺ ـ المسلم أن يأخذ ما يعرف من أمر دينه، وأن يترك من أمر الناس ما يخالف الشرع.

وبالجملة، فعلى المسلم ألا يتعجل، بل يتدبر أحوال الناس التي أمامه، فإذا رأى معصية حمِد اللَّه إذْ صرفها عنه: ﴿لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾ [النور: ١١]، فلا ينبغي للمسلم أن يتعجل فينشرَ ما يراه ويسمعه، أو يتعجَّل فيحلِّل المواقف والأحداث قبل دراستها، وأن يكون في ذلك مهتديًا بأوامر اللَّه تعالى وأوامر رسوله ـ ﷺ ـ ومن هنا تنشأ عنده خَصلتا (الحِلم والأناة) اللَّتين يحبهما اللَّهُ ورسوله ـ ﷺ ـ.

ولئن كانت التُّؤَدة في كل شيء خيرًا إلَّا في عملِ الآخرة كما قيل، فالعجلة مطلوبة في طاعة اللَّه ورسوله، لقوله تعالى: ﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾ [البقرة: ١٤٨] وقوله: ﴿سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ [الحديد: ٢١]، فالعجلة في الطاعات ليست

= ط١، ٢٠٠٨م، ج٣/ ١٧٥ برقم٢٢٦١، الحكم على الحديث:الحديث إسناده حسن، لحال عبداللَّه بن عمران (قال ابن حجر: مقبول، وقال أبو حاتم: شيخ، وقال الذهبي: صدوق، وذكره ابن حبان في الثقات، وقال العقيلي: لا يتابع على حديثه عن مالك بن دينار. (ابن حجر، التقريب ١/ ٣١٦، وتهذيب التهذيب ٥/ ٣٤٣، الذهبي، الكاشف ١/ ٥٨١)، وقال العراقي في المغني ٤/ ١٩٠٣، قال المناوي: رجاله موثقون. وقال الألباني في صحيح الجامع الصغير وزياداته ١/ ٣٨٧ برقم ٣٦٩٢:حديث حسن.

(١) الخطابي، معالم السنن ٤/ ١٠٦-١٠٧.

(٢) الحكم على الحديث: الحديث حسن، سبق تخريجه ص ١٥.

بمذمومة[1]، قال المُناوي: العجَلة محمودةٌ في عمل الآخرة، والحزم يتطلب التسارعَ وبذل الجهد لتكثير القُرُبات ورفع الدرجات؛ لأنّ في تأخير الخير آفات[2]، ويروى أن أبا الحسن البُوشَنْجيَّ[3] الزاهد كان في الخلاء، فدعا خادمه فقال: انزِعْ قميصي وأعطه فلانًا، فقال خادمه: هلاّ صبرت حتى تخرج؟ فقال أبو الحسن: خطر لي بذْلُه – أي: إعطاؤه – ولا آمَن على نفسي أن تتغيَّر.

وقد امتدح اللَّه تعالى زكريا وأهله فقال سبحانه: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ﴾ [الأنبياء: ٩٠]، وأسرع موسى ــ عليه السلام ــ للقاء اللَّه تعالى: ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى﴾ [طه: ٨٤].

قال الثعالبي: حقٌّ على من فهم كلام ربِّه تعالى أن يبادر ويُسارع إلى ما نَدَبه إليه ربُّه من الطاعات، وألا يتهاون بترك الفضائل الواردة في الشرع[4].

وقال النووي: ينبغي لمن بلغه شيءٌ في فضائل الأعمال أن يعمل به ولو مرةً، ليكون

(١) اعتادت المؤلفة في السنوات الأخيرة الطلب من طالباتها في جامعة قطر بأن:"لايؤجلوا طاعة اليوم إلى الغد".

(٢) المناوي، فيض القدير ٣/ ٢٧٧، والقاري، مرقاة المفاتيح ٨/ ٣١٦٤.

(٣) أبو الحسن البوشنجي: علي بن أحمد بن سهل، البوشنجي، الزاهد، شيخ الصوفية، نُسب لبوشنج بلدة في هراة، استوطن نيسابور سنة ٤٠هـ، فبنى بها داراً للصوفية، وهو من أعلم مشايخ وقته بعلوم التوحيد وعلوم المعلومات، وكان ذا خلق متديناً متعهداً للفقراء، وكان أسخى المشايخ وكان يدل أصحابه على العبادة ولا يتركهم هملاً، اعتزل الناس ولزم المسجد إلى أن توفي بنيسابور سنة ٣٤٨هـ.(النيسابوري، محمد بن الحسين، طبقات الصوفية، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٩٩٨، ج١/ ٣٤٢، وعند ابن منظور، محمد بن مكرم، في مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر، دمشق، دار الفكر، ط١، ١٩٨٤م، ج١٧/ ١٧٨، وكتاب الذهبي، شمس الدين، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ط١، ٢٠٠٣م، ج٧/ ٨٥٤، وابن الملقن، سراج الدين، طبقات الأولياء، القاهرة، مكتبة الخانجي، ط٢، ١٩٩٤م، ج١/ ٢٥٢).

(٤) الثعالبي، أبو زيد عبدالرحمن بن محمد، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط١، ١٤١٨هـ، سورة آل عمران، ج٢/ ١٠٥.

من أهله، ولا ينبغي أن يتركه مطلقًا، بل يأتي بما تيسَّر منه[١]، لقول النبيِّ ـ ﷺ ـ في الحديث المتفق على صحته: «وإذا أمرتُكم بأمرٍ فأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ»[٢].

والتعجُّل يحصل في وقتنا الحاضر أكثرَ شيء في نشر أحاديثِ الفتن وأَمارات الساعة دون التأكد من صحة نسبتها إلى رسول اللَّه ـ ﷺ ـ وهذا منزلَقٌ خطير حذّر منه رسول اللَّه ـ ﷺ ـ فقال: «مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ»[٣].

[المبحث الخامس] الصبر في الفتن:

قال رسول اللَّه ـ ﷺ ـ: « اصْبِرُوا، " فَإِنَّهُ لَا يَأْتِي عَلَيْكُمْ زَمَانٌ عَامٌ إِلَّا الَّذِي بَعْدَهُ شَرٌّ مِنْهُ حَتَّى تَلْقَوْا رَبَّكُمْ »[٤].

قال ابن الجوزي: قد يقول قائل: ما وجهُ هذا ونحن نعلم أن عمر بن عبد العزيز جاء بعد الحجاج، فبسط العدل وصلَح الزمان؟ فالجواب: أن الكلام خرج مخرجَ الغالب،

(١) النووي، الأذكار، ج١/ ٨.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه واللفظ له في باب الاقتداء بسنن رسول اللَّه ـ ﷺ ـ ومسلم في صحيحه في باب فرض الحج مرة في العمر برقم ١٣٣٧. وأخرجه أحمد في المسند ١٥/ ٣٢٠، وابن ماجه في السنن باب اتباع سنة رسول اللَّه ﷺ برقم ٢، والنسائي في الكبرى باب وجوب الحج ٥/ ١١٠. الحكم على الحديث: صحيح.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه واللفظ له برقم ٣ باب في التحذير من الكذب على رسول اللَّه ـ ﷺ ـ وأخرجه البخاري في صحيحه في باب إثم من كذب على النبي ـ ﷺ ـ وأخرجه أبو داود في السنن برقم ٣٦٥١وسكت عنه، وأخرجه الترمذي في السنن باب ماجاء في الحديث عن بني إسرائيل برقم ٢٦٦٩ وقال: حديث حسن صحيح، وأخرجه ابن ماجة في السنن برقم ٣٠، وأخرجه الدارمي في السنن برقم ٦١٣، وأخرجه النسائي في الكبرى برقم ٥٨٨٤، وأخرجه أحمد في المسند ١٥/ ١٨٢ الحكم على الحديث: صحيح.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه واللفظ له في باب لا يأتي زمان إلا الذي بعده شر منه، وأخرجه الترمذي في السنن باب ماجاء في أشراط الساعة برقم ٢٢٠٦، وقال: حسن صحيح، وأخرجه أحمد في المسند ١٩/ ٣٥١، وأخرجه ابن حبان في صحيحه برقم ٥٩٥٢، وأخرجه أبو يعلى في المسند ٧/ ٩٧ برقم ٤٠٣٧، وأخرجه الطبراني في المعجم الصغير ١/ ٣١٩ برقم ٥٢٨، والبيهقي في شعب الإيمان ج١٢/ ٢٠٣. الحكم على الحديث: صحيح.

فكلُّ عام تموت سُنّة، وتحيا بدعة، وما يأتي من الزمان الممدوح نادرٌ قليل[1].

وأرى أن ابن الجوزي يشير إلى قول ابن عباس ــ رَضِيَ اللَّهَ عَنْهُمَا ــ:" «مَا يَأْتِي عَلَى النَّاسِ عَامٌ إِلَّا أَحْدَثُوا فِيهِ بِدْعَةً، وَأَمَاتُوا فِيهِ سُنَّةً، حَتَّى تَحْيَا الْبِدَعُ، وَتَمُوتَ السُّنَنُ»"[2].

فالحديث يعني أن السنن تموت إذا أحييت البدع، وإذا ماتت السنن انهدم الإسلام، فمن عمل ببدعةٍ واحدة، فقد ترك ما يقابلها من السنّة، وهذا كائن موجود في الواقع، فإن البدع قد نشأت الآن ولا تزال تكثر[3].

وقد فسّر ابن مسعود ــ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ــ حديث رسول اللَّه ــ ﷺ ــ: « لَا يَأْتِي عَلَيْكُمْ زَمَانٌ عَامٌ إِلَّا الَّذِي بَعْدَهُ شَرٌّ مِنْهُ»[4]

(١) ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج، كشف المشكل من حديث الصحيحين، الرياض، دار الوطن، بدون تاريخ، ج٣/ ٢٩٥.

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير واللفظ له في ج١٠/ ٢٦٢، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ١/ ١٨١: رواه الطبراني في الكبير، ورجاله موثقون، واخرجه ابن ابي زمنين، أبو عبداللَّه محمد بن عبداللَّه في أصول السنة، السعودية، مكتبة الغرباء الأثرية، ط١، ١٤١٥هـ، ج١/ ٥٨ برقم ١٣ في الحض على لزوم السنّة، وأخرجه ابن وضاح، أبو عبداللَّه محمد بن وضاح في البدع والنهي عنها، القاهرة، مكتبة ابن تيمية، ط١، ١٤١٦هـ، باب تغير البدع ج٢/ ٨٣ برقم ٩٥، وأخرجه ابن بطة، في الإبانة الكبرى، ج١/ ١٧٧ برقم ١١، وأخرجه الداني، أبو عمرو عثمان بن سعيد، السنة الواردة في الفتن وغوائلها والساعة وأشراطها، الرياض، دار العاصمة، ط١، ١٤١٦هـ، ج٣/ ٦١٢ باب ظهور البدع والأهواء المضلة، وأخرجه المروزي، محمد بن نصر أبو عبداللَّه في السنّة، بيروت، مؤسسة الكتب الثقافية، ط١، ١٤٠٨هـ، باب ذكر الوجه الثاني من السنن التي اختلفوا فيها ج١/ ٣٢ برقم ٩٨. الحكم على الحديث:الحديث حسن لحال مهدي بن حرب العبدي، وهومهدي بن أبي مهدي الهجري، قال عنه ابن حجر: مقبول، وصحّح ابن خزيمة حديثه، وذكره ابن حبان في الثقات، وروى له أبو داود والنسائي وابن ماجة، وقال أبوحاتم:شيخ ليس بمنكر الحديث، وقال ابن معين:لا أعرفه.(المزي، تهذيب الكمال ٢٨/ ٥٨٦، ابن حجر، تقريب التهذيب١/ ٥٤٨، ابن حجر، تهذيب التهذيب ١٠/ ٣٢٤).

(٣) الشاطبي، إبراهيم بن موسى، الاعتصام، السعودية، دار ابن عفان، ط١/ ١٩٩٢، ج١/ ١٥٢ و٢/ ٧٢٣ باب الماشي إلى المبتدع والموقر له وباب تعيين هذه الفرق.

(٤) الحكم على الحديث :الحديث صحيح، سبق قريبًا في ص ٥٤.

فقال: لَسْت أَعْنِي رَخَاءً مِنْ الْعَيْشِ يُصِيبُهُ ، وَلَا مَالًا يُفِيدُهُ ،وَلَكِنْ لَا يَأْتِي عَلَيْكُمْ يَوْمٌ وَإِلَّا وَهُوَ أَقَلُّ عِلْمًا مِنْ الْيَوْمِ الَّذِي مَضَى قَبْلَهُ، فَإِذَا ذَهَبَ الْعُلَمَاءُ ،اِسْتَوَى النَّاس، فَلَا يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَلَا يَنْهَوْنَ عَنْ الْمُنْكَر ، فَعِنْدَ ذَلِكَ يَهْلَكُونَ "[(١)].

وردَّ ابن حجر قائلًا: إنّ تصريح عبداللَّه بن مسعود ــ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ــ هذا أوْلى بالاتباع[(٢)].

وقد عرّف ابن القيم الصبر فقال: إن الصبر خلُقٌ كَسْبي – أي: مكتسب – يتخلق به العبد، وهو يعني: حبس النفس – أي: منعَها – عن الجزع والهلع والتشكي، فيحبس النفسَ عن التسخط، واللسان عن الشكوى، والجوارح عما لا ينبغي فعله، وهو: ثبات القلب على الأحكام القَدَرية والشرعية[(٣)].

والصبر ثلاثة أنواع:

١- صبرٌ على ما أمر اللَّهُ به من الأوامر والطاعات حتى يؤديها.

٢- وصبرٌ عمَّا نهى اللَّه عنه من المعاصي فلا يقع فيها.

٣- وصبر على ما قدّره اللَّه من المصائب فلا يسخطها[(٤)].

فالصبر بأنواعه الثلاثة مطلوبٌ في كل حال، وفي الفتن والأزمات يكون أشدَّ

(١) أخرجه السخاوي، شمس الدين أبو الخير واللفظ له في المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة، بيروت، دار الكتاب العربي، ط١/ ١٩٨٥م، ج١/ ٥١٦، وأخرجه البيهقي مختصراً في شعب الإيمان ٣/ ٢٣٤. الحكم على الحديث: إسناده حسن لحال الحارث بن حصين، وثقه ابن معين والنسائي والعجلي وابن نمير وابن حبان في الثقات، وقال ابن معين مرة: ليس به بأس، وقال ابن حجر: صدوق يخطئ ورمي بالرفض، وقال أبو داود: شيعي صدوق، وقال ابن عدي: يُكتب حديثه (المزي، تهذيب الكمال ٥/ ٢٢٦، ابن حجر، تهذيب التهذيب ٢/ ١٤٠، وتقريب التهذيب ١/ ١٤٥).

(٢) ابن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري ١٣/ ٢١.

(٣) ابن القيم، محمد بن أبي بكر، الروح في الكلام على أرواح الأموات والأحياء بالدلائل من الكتاب والسنة، بيروت، دار الكتب العلمية، ج١/ ٢٤١، بدون تاريخ.

(٤) ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر، عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين، دمشق، دار ابن كثير، ط٣، ١٩٨٩م، ج١/ ٢٨ بتصرف.

اطِّلابًا؛ لأنه أفضلُ ما أُعطي المؤمن، وهو يُثاب عليه مثوبةً كبيرة لا يُعلم كثرتُها، كما قال اللَّه تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠]، ويرى ابن قتيبة: أن أعلى الصبر هو: الصبر عن المعصية[١]، فإذا عَرَضت للمسلم فتنةٌ من الحرام كان عنده من الصبر ما يمنع نفسه منها[٢].

وعكس الصبر: (الجزع)[٣].

وأحوال الناس في الصبر متفاوتةٌ كما قال الطبري؛ فمنهم: من يَظهَر حزنُه على المصيبة في وجهه بالتغير له وعينيه بانحدار الدموع ولا ينطق بالسيىء من القول، ومنهم: من يظهر حزنُه في وجهه وينطق بالهُجر المنهيِّ عنه، ومنهم: من يجمع ذلك كله، ومنهم: من يكون حاله في حال المصيبة وقبلَها سواءً[٤].

لقد قرن اللَّهُ سبحانه وتعالى (الفتنة) بالصبر، فقال: ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [النحل: ١١٠].

فمن فُتن بفتنةٍ فليس له دواءٌ مثلُ الصبر، فإنْ صبر كانت الفتنة ممحِّصةً له[٥]، ومخلِّصةً من الذنوب كما يخلص الكيرُ خَبَث الذهب والفضة، فالفتنة إذا جاءت قسَمتِ الناس إلى: صادق وكاذب، ومؤمن ومنافق، وطيِّب وخبيث، فمن صبر عليها كانت رحمةً في حقه ونجا بصبره من فتنةٍ أعظمَ منها، ومن لم يصبر عليها وقع في فتنةٍ أشدَّ منها، فالفتنة لا بد منها في الدنيا والآخرة[٦].

وينقسم الصبر، بحسَب أحكامه، إلى خمسة أقسام: واجبٍ، ومندوب، ومحظور،

---

(١) ابن قتيبة، أبو محمد عبداللَّه بن مسلم، غريب الحديث، بغداد، مطبعة العاني، ط١، ١٣٩٧هـ، ج١/ ٥٨٠.

(٢) ابن سلام، أبو عبيد القاسم، غريب الحديث، الهند، دائرة المعارف العثمانية، ط١، ١٩٦٤م، ج٤/ ٤٧٦.

(٣) الفراهيدي، الخليل بن أحمد، كتاب العين، القاهرة، دار الهلال، بدون تاريخ، ج٧/ ١١٥.

(٤) ابن بطال، شرح صحيح البخاري، ج٣/ ٢٨٠.

(٥) ممحصة له، المحص في اللغة: التخليص والتنقية، والمراد: أن الصبر على الفتنة يخلصه من الذنوب. (أبو منصور الأزهري، تهذيب اللغة، ٤/ ١٥٩، بتصرف)

(٦) ابن قيم الجوزية، في إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، ج٢/ ١٦٢.

ومكروه، ومباح.

فالصبر الواجب ثلاثة أنواع، أحدها: الصبر عن المحرَّمات، والثاني: الصبر على أداء الواجبات والفرائض، والثالث: الصبر على المصائب التي لا صنعَ للعبد فيها كالأمراض والفقر والمظالم وغيرها.

فأمّا الصبر المندوب فهو: الصبر عن المكروهات، والصبر على المستحبَّات، والصبر على مقابلة الجاني بمثل فعله.

وأما الصبر المحظور فهو أنواع، أحدها: الصبر عن الطعام والشراب حتى يموت، (وهو ما يُسمَّى حاليًّا في عصرنا إضرابًا عن الطعام)، وكذلك الصبر عن الميتة والدم ولحم الخنزير عند المَخمصة وهلاك النفس؛ فهذا حرامٌ إذا خاف- بتركه لها- الموتَ.

وأمّا الصبر المكروه فهو: مثلَ أن يصبر عن الطعام والشراب حتى يتضرَّر بدنه، (ومثلها: الإضراب عن الطعام والشراب في عصرنا الحالي كما سبق) ومثلَ: أن يصبر عن فعل المستحبِّ.

وأما الصبر المباح فهو: الصبر عن كل فعل مستوي الطرفين خُيِّر بين فعله أو تركه والصبر عليه[1].

فتلك هي أقسام الصبر.

ومما يعين المسلم على الصبر: ثناءُ اللَّه تعالى ومعيَّته لأهل الصبر، لقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [الأنفال، الآية ٤٦]، وإعلانه سبحانه محبتَه للصابرين في قوله عز وجل: ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٦]، وبشارته سبحانه لهم بثلاثٍ لم يجمعها لغيرهم كما قال عزَّ من قائل: ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ * الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ * أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٥٥- ١٥٧]، ودخول الصابرين الجنةَ وتسليم الملائكة عليهم: ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾ [الرعد: ٢٤].

(١) ابن القيم، عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين، ج١/ ٣٢-٣٣.

كذلك، ومما يعين المسلمَ أيضًا على الصبر: ما جاء في أحاديث رسول اللَّه ـ ﷺ ـ كحديث: «الصَّبْرُ ضِيَاءٌ»[(١)]؛ لأن أداءَ الطاعات ومشاقِّ العبادات وتجنب المحظورات، تحتاج إلى الصبر، فمن كان صابرًا على تلك الأحوال أضاءت له عواقبُ أحواله وحصَل على الأجر والثواب[(٢)].

كما أن الصبر خيرُ ما يرزقه اللَّهُ المسلمَ، قال ابن بطال: أرفعُ الصابرين منزلةً عند اللَّه تعالى: من صبر عن محارم اللَّه، وصبر على العمل بطاعة اللَّه، ومن فعل ذلك فهو خالص عباد اللَّه وصفوته[(٣)]. قلتُ: لحديث رسول اللَّه ـ ﷺ ـ: «..وَمَا أُعْطِيَ أَحَدٌ عَطَاءً خَيْرًا وَأَوْسَعَ مِنَ الصَّبْرِ»[(٤)].

فمن رزقه اللَّه الصبر فقد أعطاه خيرًا كثيرًا.

ومما يُطمئن المسلمَ ويثبته أن يعلم «أَنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ»[(٥)(٦)] كما قال رسول اللَّه

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه واللفظ له في فضل الوضوء برقم ٢٢٣، و الترمذي في سننه باب جامع الدعوات برقم ٣٥١٧وقال:حديث صحيح، و ابن ماجة في السنن باب الوضوء شطر الإيمان برقم ٢٨٠، و النسائي في السنن باب وجوب الزكاة، وأحمد في المسند ٣٧/ ٥٣٥ الحكم على الحديث:صحيح.

(٢) السيوطي، عبدالرحمن بن أبي بكر، حاشية السيوطي على سنن النسائي، حلب، مكتبة المطبوعات الإسلامية، ط٢/ ١٩٨٦، ج٥/ ٨.

(٣) ابن بطال، شرح صحيح البخاري، ج١٠/ ١٨٢.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه واللفظ له في باب الاستعفاف عن المسألة، ومسلم في صحيحه في الزكاة، باب فضل التعفف والصبر برقم ١٠٥٣، والترمذي في السنن باب ما جاء في الصبر برقم ٢٠٢٤وقال:حديث حسن صحيح، والنسائي في السنن باب الاستعفاف عن المسألة، والدارمي، في باب الاستعفاف برقم ١٦٨٦، وأحمد في المسند ١٨/ ٣٨٧. الحكم على الحديث:صحيح.

(٥) النصر مع الصبر: أي مُلازم له لا ينفك عنه، فهما أخوان شقيقان والثاني سبب للأول. (المناوي: التيسير بشرح الجامع الصغير، ج٢/ ٤٦٤).

(٦) أخرجه أحمد في المسند واللفظ له في ٥/ ١٨-١٩، وأخرجه البيهقي في شعب الإيمان ٢/ ٣٥٠ برقم ١٠٤٣، وأخرجه ابن سمعون، أبو الحسين محمد بن أحمد في أماليه، بيروت، دار البشائر الإسلامية، ط١، ٢٠٠٢، ج١/ ٢٢٤ برقم ٢٢٣، وأخرجه ابن أبي حاتم، أبو محمد عبدالرحمن بن محمد في تفسير القرآن العظيم، السعودية، مكتبة نزار مصطفى، ط٣، ١٤١٩هـ، ج١٠/ ٣٢٥١ برقم ١٨٣٩٥، وأخرجه الفريابي، أبو بكر جعفر بن محمد في كتاب القدر، ط١، ١٩٩٧م، ج١/ ١١٩ برقم ١٥٦. الحكم على =

ـ ﷺ ـ فالصبر ينتج عنه نصرٌ بإذن اللَّه.

ويرى ابن تيميَة: أنّ الصبر على المصائب والمكاره التي يتعرَّض لها الإنسان واجب باتفاق العلماء(١).

ومما يُطمْئنُ قلبَ المؤمن أيضًا- فيما يصيبه من سرَّاءَ وضرَّاء، فيشكر اللَّه على السراء، ويصبر على الضراء، فيرى الخيرَ في هذا وهذا-: ما أخبرنا به رسول اللَّه ـ ﷺ ـ: « « عَجَبًا لأَمْرِ الْمُؤْمِنِ إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ وَلَيْسَ ذَاكَ لأَحَدٍ إِلاَّ لِلْمُؤْمِنِ إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ »(٢)، فالمؤمن إذًا مأجور في

= الحديث:الحديث إسناده حسن، والإسناد الصحيح لهذا الحديث كما قال العلماء في مسند الإمام أحمد ٥/ ١٨ هو: رواية عبداللَّه بن يزيد المقرئ عن عبداللَّه بن لهيعة عن قيس بن الحجاج عن حنش عن ابن عباس ـ رَضِيَ اللَّهَ عَنْهُمَا ـ وهو حسن لحال عبداللَّه بن لهيعة وحال قيس بن الحجاج، فعبداللَّه بن لهيعة قال عنه ابن حجر: صدوق خلط بعد احتراق كتبه، وقال الذهبي: هو عدلٌ في نفسه وما رواه عنه المقرئ وابن وهب فهو أجود، وقال عبدالغني الأزدي: إذا روى عن ابن لهيعة العبادلة كابن المبارك والمقرئ وابن وهب فهو صحيح، وقال ابن حنبل: ما كان محدث مصر إلا ابن لهيعة. (ابن حجر، التقريب ١/ ٣١٩، والذهبي، سير أعلام النبلاء ٨/ ١٢٦، ابن حجر، =تهذيب التهذيب ٥/ ٣٧٧)، والراوي الآخر هو قيس بن الحجاج: قال أبو حاتم: صالح، وقال ابن حجر: صدوق، وذكره ابن حبان في ا لثقات. (المزي، تهذيب الكمال ٢٤/ ٢٠، ابن حجر، تهذيب التهذيب ٨/ ٣٩٠، ابن حجر: التقريب ١/ ٤٥٦، وقال الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة ٥/ ٤٩٦ برقم ٢٣٨٢: طريق قيس بن الحجاج عن حنش بن عبداللَّه عن ابن عباس هو إسناد صحيح، وقال الصنعاني، في سبل السلام ٢/ ٦٤٧: أخرجه أحمد عن ابن عباس بإسناد حسن،، وقال القرطبي، في تفسيره: حديث صحيح، ج٦/ ٣٩٨ سورة الأنعام، وقال ابن رجب الحنبلي في جامع العلوم والحكم ٢/ ٥٤٨: روي هذا الحديث عن ابن عباس ـ رَضِيَ اللَّهَ عَنْهُمَا ـ من طرق كثيرة أصح الطرق كلها: طريق حنش الصنعاني، وقال السخاوي، في المقاصد الحسنة، ج١/ ٢٥٧: أخرجه أحمد والطبراني وغيرهما من حديث حنش عن ابن عباس مرفوعاً، وهو أصح وأقوى رجالاً، وقال الأشبيلي، عبد الحق بن عبدالرحمن في الأحكام الشرعية الكبرى ٣/ ٣٣٤: هذا حديث صحيح، الرياض، مكتبة الرشد، ط١، ٢٠٠٠م.

(١) ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس، مجموع الفتاوى، السعودية، دار الوفاء، ط٣، ٢٠٠٥م، ج١١/ ٢٦٠.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه واللفظ له في باب المؤمن أمره كله خير برقم ٢٩٩٩، وأحمد في المسند ٣١/ ٢٦٤، وابن أبي شيبة في المصنف ١/ ٢١ برقم ٤٧٩، والدارمي في السنن بنحوه برقم ٢٨١٩، وابن حبان في صحيحه برقم ٢٨٩٦، والطبراني في المعجم الكبير ٨/ ٤٠ برقم ٧٣١٦، والبيهقي في شعب الإيمان ٦/ ٦٧٦ برقم ٤١٦٩. الحكم على الحديث:صحيح.

كلتا الحالتين.

كذلك من عوَّد نفسه على الصبر يرزقه اللَّه الصبر، مصداقًا لقوله ـ ﷺ ـ: «وَمَنْ يَتَصَبَّرْ[1] يُصَبِّرْهُ اللَّهُ» الحديثَ[2]، فيمكنّه اللَّه من نفسه حيث تنقاد له وتذعن لتحمُّل الشدائد، وعند ذلك يكون اللَّه معه فيُظفره بمطلوبه[3].

إن الصبر له مقامٌ عظيم في الدين، وهو واجب باتِّفاق الأمة، وله طرفان: واجب مُستحق، وكمال مُستحب[4].

وقد جاء عن ابن مسعود ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ أنه قال: "الصبرُ نصف الإيمان، واليقين الإيمان كله"[5]؛ لأن الإيمان يشمل فعل الواجبات وترك المحرمات، ولا يُنال

(١) يتصبّر: أي يطلب توفيق الصبر من اللَّه تعالى، لأنه قال سبحانه: ﴿وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾ [النحل: ١٢٧]، أو يأمر نفسه بالصبر ويتكلّف في التحمل عن مشاقّه، والصبر يشتمل على صبر الطاعة والمعصية والبليّة، أو يتصبّر عن السؤال والتطلع إلى ما في أيدي الناس. (القاري، مرقاة المفاتيح ٤/ ١٣١١).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه واللفظ له في باب الاستعفاف عن المسألة، وأبو داود في السنن باب في الاستعفاف برقم ١٦٤٤، والترمذي في السنن باب ما جاء في الصبر برقم ٢٠٢٤وقال:حديث حسن صحيح، وأحمد في المسند ١٨/ ٣٨٧، والدارمي في السنن باب في الاستعفاف برقم ١٦٨٦. الحكم على الحديث:صحيح.

(٣) السيوطي، الديباج على صحيح مسلم بن الحجاج، شرح السيوطي، السعودية، دار ابن عفان، ط١، ١٩٩٦م، ج٣/ ١٣٦.

(٤) ابن القيم، مدارج السالكين، ج١/ ١٣٠.

(٥) أخرجه عبداللَّه بن أحمد بن حنبل في السنة واللفظ له موقوفاً على ابن مسعود، الدمام، دار ابن القيم، ط١، ١٩٨٦م، ج١/ ٣٧٤، وأخرجه الحاكم في المستدرك ٢/ ٤٨٤، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي، وأخرجه الطبراني في المعجم الكبير ٩/ ١٠٤، والبيهقي في شعب الإيمان ١/ ١٥٠،. الحكم على الحديث: الحديث صحيح رواته ثقات، قال ابن حجر، أحمد بن علي في تغليق التعليق على صحيح البخاري ٢/ ٢٢: الحديث الموقوف على ابن مسعود صحيح، بيروت، المكتب الإسلامي، ط١، ١٤٠٥هـ، وقال البيهقي، أحمد بن الحسين في الآداب ١/ ٣٠٦: روي هذا الحديث عن عبداللَّه بن مسعود مرفوعاً والموقوف أصح، بيروت، مؤسسة الكتب الثقافية، ط١، ١٩٨٨م، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد١/ ٥٧ :رواه الطبراني في الكبير ورجاله رجال الصحيح.

ذلك كله إلا بالصبر، لذا كان الصبر نصف الإيمان[١].

وأكد هذا المعنى الحكيم الترمذي فقال: «إن المسلم إذا صبر فقد أتى من حقيقة الإيمان نصفه»[٢].

ووضح هذا المعنى الخطابيُّ، فقال: إن العبادات تنقسم إلى قسمين: نُسك وورع، فالنُّسك: ما أمرت به الشريعة (يعني الواجبات)، والورع: ما نهت عنه الشريعة (يعني المحرَّمات)، وإنما ينتهي المسلم من فعل المنْهيَّات بالصبر، فصار الصبر على هذا المعنى كأنه نصفُ الإيمان[٣].

كذلك، من فضائل الصبر: أنه يكفّر الذنوب والخطايا، فمن صبر على الفتن والمصائب، أُثيب على صبره، فاجتمع له التكفير والأجر، كما قال رسول اللَّه ـ ﷺ ـ: «ما يصيب المسلم، من نصَب[٤] ولا وصَب، ولا همٍّ ولا حزنٍ ولا أذًى ولا غم[٥]، حتى الشوكةِ يُشاكها، إلَّا كفَّر اللَّه بها من خطاياه»[٦].

فالمسلم يحتاج إلى الصبر في كل أحواله، وكلما اشتدت الفتنُ والمحن تكون حاجته إلى الصبر أشدَّ، قال ابن حجر: الصبر على بلايا الدنيا يورث الجنة[٧].

(١) ابن رجب الحنبلي، زين الدين عبد الرحمن، جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم، ج٢/ ١١.

(٢) الحكيم الترمذي، محمد بن علي، نوارد الأصول في أحاديث الرسول ـ ﷺ ـ بيروت، دار الجيل (بدون تاريخ) ج١/ ٢٠٢.

(٣) الخطابي، أبو سليمان حمد بن محمد، غريب الحديث، مصر، دار الفكر، ط سنة ١٩٨٢م، ج١/ ٤٥٦.

(٤) النصب والوصب: التعب والمرض. (ابن حجر، فتح الباري، ١٠/ ١٠٦).

(٥) الهم والحزن والأذى والغم: الهم: ينشا عن الفكر مما يُتوقع حصول الأذى بسببه، والحزن: يحدث لفقد ما يشق على المرء فقده، والأذى: يحدث بسبب تعدّي غيره عليه، والغم: كربٌ يحدث للقلب بسبب أمرٍ حصل. (ابن حجر، فتح الباري ١٠/ ١٠٦).

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه واللفظ له باب ما جاء في كفارة المرض، ومسلم في صحيحه في باب ثواب المؤمن فيما يصيبه برقم ٢٥٧٢، والترمذي في سننه باب من سورة النساءبرقم ٣٠٣٨وقال:حديث حسن غريب، والنسائي في الكبرى باب كفارة المريض برقم ٧٤٤٥، ومالك في الموطأ باب ما جاء في المريض ٢/ ١١٩، وأحمد في المسند ١٣/ ٣٩٧. الحكم على الحديث:صحيح.

(٧) ابن حجر، فتح الباري ١٠/ ١١٥.

ولقد أخبر النبيُّ ــ ﷺ ــ بوقوع الفتن خلال البيوت فقال: «إِنِّي أَرَى مواقع الفِتَنَ خِلاَلَ بُيُوتِكُمْ كمَوَاقِعِ القَطْرِ» [(١)]، وذلك ليتأهب المسلمون لها، ويسألوا اللَّه الصبر والنجاة من شرِّها، قال ابن حجر: حُسن التشبيه بالمطر لإرادة التعميم؛ لأن الفتنة إذا وقعت في أرض معينة عمَّتها ولو في بعض جهاتها[(٢)].

وهذا أبو الدرداءِ ــ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ــ يؤدي النصح لكل مسلم بأن يستعدَّ للفتن بالصبر فقال: من يَتفقَّدْ يُفْقَد[(٣)]، وَمَنْ لَا يُعِدَّ الصَّبْرَ لِفَوَاجِعِ الْأُمُورِ يَعْجَزْ[(٤)].

فالصبر واجبٌ لا بدَّ منه، وفيه خيرٌ كثير؛ لأن اللَّه تعالى أمر بالصبر ووعد عليه جزيل الأجر، فقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠]، والذين عاشوا حياة الصبر والمصابرة، ذاقوا لذتها وخيرها، كما قال عمر بن الخطاب ــ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ــ: وجدنا خير عيشنا بالصبر[(٥)(٦)].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه واللفظ له في باب الغرفة والعلية المشرفة وغير المشرفة في السطوح وغيرها، ومسلم في صحيحه في باب نزول الفتن برقم ٢٨٨٥، وأحمد في المسند ٣٦/ ٧٨. الحكم على الحديث: صحيح.

(٢) ابن حجر، فتح الباري ١٣/ ١٣.

(٣) من يتفقّد يُفقد: أي من يتفقد أحوال الناس ويتعرفها فإنه لا يجد ما يُرضيه، لأن الخير في الناس قليل فيعتزلهم (ابن الأثير، النهاية ٣/ ٤٦٢).

(٤) أخرجه أبو داود، في الزهد واللفظ له في باب من خبر أبي الدرداء،، برقم ٢٠٦، ج١/ ١٩٦، عن أم الدرداء عن أبي الدرداء وهو الأصح، وأخرجه ابن أبي شيبة في المصنف برقم ٤٥٩٦، ج٧/ ١١٢، وأخرجه أبو نعيم الأصبهاني في حلية الأولياء ج١/ ٢١٨، وأخرجه ابن المبارك في الزهد والرقائق، ج١/ ٤ برقم ٩، وأخرجه ابن أبي الدنيا، أبو بكر عبداللَّه بن محمد في كتاب الصبر والثواب عليه، بيروت، دار ابن حزم، ط١، ١٩٩٧م، برقم ٤٤، ج١/ ٤٢. الحكم على الحديث: الحديث إسناده صحيح ورجاله ثقات.

(٥) بالصبر: قال ابن حجر في فتح الباري ١١/ ٣٠٣: الباء بمعنى (في) فيكون المراد: خير عيشنا في الصبر.

(٦) علقه البخاري في صحيحه واللفظ له أول باب الصبر عن محارم اللَّه ٨/ ٩٩، وأحمد بن حنبل في الزهد ١/ ٩٧ برقم ٦١٢، و أبو نعيم الأصبهاني في حلية الأولياء ١/ ٥٠، ووكيع، أبو سفيان وكيع بن الجراح في الزهد، المدينة المنورة، مكتبة الدار، ط١، ١٩٨٤م، ج١/ ٤٤٩ برقم ١٩٨، وأخرجه ابن المبارك في الزهد والرقائق، ج١/ ٢٢٢ برقم ٦٣٠ ورقم ٩٩٧. الحكم على الحديث: صحيح، قال ابن حجر في فتح الباري ١١/ ٣٠٣: "وصل هذا الحديث أحمد في كتاب الزهد بسند صحيح.

[المبحث السادس] الإكثار من العبادة وقتَ الفتن:

قال رسول اللَّه ـ ﷺ ـ: «العبادة[١] في الهرْج[٢]، كَهِجْرَةٍ[٣] إليَّ»[٤].

فما ثواب من يتمسك بالدِّين عند هجوم الفتن؟

إن الفتن إذا عمَّت اشتغلت القلوب بها[٥]، فإذا تعبّد حينئذٍ متعبِّد دلّ على قوة اشتغال قلبه باللَّه عزَّ وجل فيكثُر أجره[٦].

إن سبب تمثيل العبادة في الفتنة بالهجرة إلى رسول اللَّه ـ ﷺ ـ أن الناس في الزمن الأول كانوا يفرون من دار الكفر وأهله إلى دار الإيمان وأهله، فإذا وقعت الفتن تعيَّن على المرء أن يفرَّ بدينه من الفتنة إلى العبادة، ويهجر أولئك القومَ وتلك الحالة، وهذا أحد أقسام الهجرة[٧].

والعابدُ المتمسِّك بعبادته وقت الفتن، والمنقطع إليها، المعتزلُ عن الناس، أجره كأجر المهاجر إلى النبيِّ ـ ﷺ ـ ووجْه الشبَه بين المهاجر الأول والمهاجر في الفتنة:

---

(١) العبادة: أي ثوابها مع الاستقامة والاستدامة عليها. (القاري، مرقاة المفاتيح ٨/ ٣٣٨٧).

(٢) الهرج: أي الفتنة واختلاط أمور الناس، وسبب فضل كثرة العبادة فيه: أن الناس يغفلون عنها وينشغلون عنها ولا يتفرغ لها إلا أفراد من الناس لأنها أيام الفتن وظهور الفساد بين العباد. (شرح النووي على صحيح مسلم ١٨/ ٨٨، والسندي، شرح سنن ابن ماجه ٢/ ٧٧).

(٣) كهجرة إليّ: في كثرة الثواب. (المناوي، زين الدين محمد، التيسير بشرح الجامع الصغير ٢/ ١٥٢).

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه واللفظ له باب فضل العبادة في الهرج برقم ٢٩٤٨، والترمذي في السنن باب ماجاء في الهرج والعبادة فيه برقم ٢٢٠١ وقال: حديث صحيح غريب، وابن ماجه في السنن باب الوقوف عند الشبهات برقم ٣٩٨٥، وأحمد في المسند ٣٣/ ٤٢٥ وقال: العبادة في الفتنة، بدلاً من: الهرج. الحكم على الحديث: صحيح.

(٥) مثلما انشغل العالم بانتشار فيروس كورونا-كوفيد ١٩ الذي ظهر في الصين في ديسمبر ٢٠١٩م وتسبب في إصابة أكثر من ٥٠٠ مليون شخص في جميع أنحاء العالم حتى كتابة هذه السطور (هذه المعلومة من موقع منظمة الصحة العالمية في الإنترنت).

(٦) ابن الجوزي، كشف المشكل من حديث الصحيحين، ج٢/ ٤٢.

(٧) المناوي، زين الدين محمد، فيض القدير شرح الجامع الصغير، ج٤/ ٣٧٣.

أن المهاجر الأول فرّ بدينه ممن يصدّه عنه إلى الاعتصام بالنبي ﷺ ،أما المهاجر في الفتنة، المنقطع للعبادة، فهو فرّ من الناس بدينه إلى الاعتصام بعبادة ربه، فهو في الحقيقة قد هاجر إلى ربه ففرّ من جميع خلقه[1]؛ لأن الناس زمنَ الفتن يتبعون أهواءهم ولا يرجعون إلى دين، فإذا انفرد من بينهم من يتمسك بدينه ويعبد ربه، كان بمنزلة من هاجر من أهل الجاهلية إلى رسول اللَّه ــ ﷺ ــ مؤمنًا به، متبعًا لأوامره، مجتنبًا لنواهيه[2].

ومما ليس بمختلَفٍ فيه أن الفتن عندما تحدث تزلزل القلوب، وتجعل الحليم حيران، **إلى أين يفر؟** فهي فتن تُذهل العبد عن عبادته وعن الفرائض التي افترضت عليه، ولا ينجو منها إلّا من عصمه اللَّه تعالى، فالفتن ستقع حتى يخفَّ أمر الدين ويقل الاعتناء بأمره، ولا يبقى لأحدٍ اعتناء إلّا بأمر دنياه، ومعاشه، ولذا عظُم قدر العبادة أيام الفتنة[3].

والعبادة في (الهَرْج) تكون على ثلاثِ مراتب:

المرتبة الأولى: الثبات على الدين والاستقامة على الطريق القويم مهما كثُرت الشدائد والمغريات، أو تقديم ترغيبٍ للمسلم في منصب ما من أجل الصمت عن باطل، والرضا بالمنكر والفساد.

قال ابن بطال: ضَمِن لنا نبيُّنا ــ ﷺ ــ بقاءَ شريعته، وإن ضُيِّع بعضها، وإن ضَعُف الدين فلا بدَّ أن يبقى من أمته من يقوم به[4]، لقوله ــ ﷺ ــ: «« لاَ تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي قَائِمَةً بِأَمْرِ اللَّهِ لاَ يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ أَوْ خَالَفَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ ظَاهِرُونَ[5]

(١) القرطبي، المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، ج٧/ ٣٠٩.

(٢) ابن رجب الحنبلي، زين الدين عبد الرحمن، لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف، بيروت، دار ابن حزم، ط١، ٢٠٠٤م، ج١/ ١٣٢.

(٣) ابن حجر، فتح الباري ١٣/ ٧٥.

(٤) ابن بطال، شرح صحيح البخاري ١/ ٣٣٠ بتصرف.

(٥) ظاهرون على الناس: أي غالبون على من خالفهم. (ابن حجر، فتح الباري ١٣/ ٢٩٤).

عَلَى النَّاسِ »[١]، قال ابن الأثير: إذا ترك الناسُ الطاعاتِ ورغبوا عنها، فإن المتمسك بطاعة اللَّه له ثوابٌ كثواب الكارِّ في الغزو بعد أن فرّ الناس عنه[٢]، كما قال مُورِّق العِجْلي[٣]: المتمسك بطاعة اللَّه إذا جبُن الناس عنها كالكارِّ[٤] بعد الفارّ[٥].

لقد أصبحنا الآنَ في زمن القابضُ على دينه كالقابض على الجمر، نظرًا لانتشار الفساد في جميع الدول الإسلامية: كالكذب، والتعامل بالربا، والسرقة بجميع أنواعها، وكثرة العقوق، وانتشار دور الملاهي، وخروج المسلمات بلا حياءٍ ولا احتشام، وضعف الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

فما الذي يجب على المسلم إذا فَسَدت الجماعة؟ قال نُعيم بن حمَّاد: إذا فسدت الجماعة فعليك بما كانت عليه الجماعة قبل أن تفسُد، وإن كنت وحدَك، فإنك أنت الجماعةُ حينئذٍ[٦]، فإذا تغيَّرت الأحوال، والتبست الأمور، وقلَّ أهلُ الخير، ثبتت فئةٌ

(١) أخرجه مسلم في صحيحه واللفظ له باب قوله ـ ﷺ ـ لا تزال طائفة من أمتي برقم ١٠٣٧، وأخرجه البخاري في صحيحه باب قول النبي ـ ﷺ ـ م لا تزال طائفة من أمتي، وأحمد في المسند ٢٨/ ١٢٧-١٢٨، وأخرجه ابن ماجه في السنن باب اتباع سنة رسول اللَّه ـ ﷺ ـ برقم ١٠، والترمذي في السنن باب ما جاء في الأئمة المضلين برقم٢٢٢٩. وقال: حديث حسن صحيح. الحكم على الحديث: صحيح.

(٢) ابن الأثير، في النهاية في غريب الحديث والأثر، ج١/ ٢٣٤.

(٣) مُوَرِّق العجلي، الإمام أبو المعتمر البصري من كبار التابعين، روى أحاديث عن مجموعة من الصحابة كابن عمر وابن عباس وأنس بن مالك وغيرهم، وثّقه الذهبي وابن حجر وقال: ثقة عابد، ووثقه النسائي وابن سعد وابن حبان في الثقات، كان يحج مع عبداللَّه بن عمر ويصحبه، توفي سنة ١٠٥ وقيل: سنة ١٠٨هـ في ولاية عمر بن هبيرة على العراق. (المزي، تهذيب الكمال ٢٩/ ١٦، الذهبي، سير أعلام النبلاء ٥/ ٢٠٧ والكاشف ٢/ ٣٠٠، ابن حجر، تقريب التهذيب ١/ ٥٤٩ وتهذيب التهذيب ١٠/ ٣٣١-٣٣٢).

(٤) كالكارِّ بعد الفار، الكرّ: الرجوع بعد فرار وبعد ذهاب. (ابن دريد، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي، جمهرة اللغة، بيروت، دار العلم للملايين، ط١، ١٩٨٧م، ج١/ ١٢٦).

(٥) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف واللفظ له، ج٧/ ١٨١ برقم ٣٥١٤٨، وأبو نعيم في حلية الأولياء ٢/ ٢٣٥، وأحمد بن حنبل في الزهد ١/ ٢٤٧ برقم ١٧٦٣. الحكم على الحديث: الحديث إسناده صحيح، رجاله ثقات.

(٦) البيهقي، ابو بكر أحمد بن الحسين، المدخل إلى علم السنن، القاهرة، دار اليسر، ط١، ٢٠١٧م، باب =

على الحق، واستقامت على دين اللَّه، هذه الفئة سمَّاها رسول اللَّه ﷺ (الغرباءَ) فقال ﷺ: «إِنَّ الإِيمَانَ بَدَأَ غَرِيباً وَسَيَعُودُ كَمَا بَدَأَ فَطُوبَى يَوْمَئِذٍ لِلْغُرَبَاءِ إِذَا فَسَدَ النَّاسُ»[(١)].

قال ابن القيم: الغرباء في هذا الحديث هم: الذين يزيدون خيرًا وإيمانًا وتُقًى إذا نقص الناس من ذلك، ولقلّتهم في الناس جدًّا سُمّوا غرباءَ[(٢)].

وأضاف عبد الغني الحنبلي: أن رسول اللَّه ـ ﷺ ـ أراد بالحديث: إن هؤلاءِ يعملون بسنته، ويُظهرونها على قدر طاقتهم، واللَّه يعينهم؛ لأن العاقبة للمتقين[(٣)]، لأنهم "صبروا على الطاعة حين ظهور المعاصي والفتن، فزكت أعمالهم في ذلك الزمان، كما زكت أعمال المسلمين الأوائل من قبلهم،" كما قال ابن حجر[(٤)].

والغرباء قسمان كما يرى ابنُ رجب، أحدهما: من يُصلح نفسه عند فساد الناس، والثاني: من يُصلح ما أفسد الناس، وهو أعلى القسمين وأفضلهما[(٥)].

المرتبة الثانية من مراتب العبادة في الهرج: أن يعود المؤمن لعبادةٍ كان قد هجرها، فيتعبَّد اللَّه بها زيادةً في طلب الأجر، وتقربًا إليه سبحانه وتعالى، خاصةً أنه عاد لهذه

= الإجماع برقم ٩١٠، ص ٤٢٠

(١) أخرجه أحمد في المسند واللفظ له ٣/ ١٥٦ عن ابن لسعد بن أبي وقاص عن سعد ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ـ وجهالة اسم ابن سعد، ذكره صريحًا ابن منده في كتاب الإيمان، وهو: عامر بن سعد،، ١/ ٥٢١ برقم ٤٢٤، وأخرجه أبو يعلى الموصلي في المسند ٢/ ٩٩ برقم ٧٥٦، قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٧/ ٢٧٧: رواه أحمد وأبو يعلى ورجالهما رجال الصحيح، وصحّح الألباني هذا الإسناد في سلسلة الأحاديث الصحيحة ٣/ ٢٦٧ برقم ١٢٧٣، وأخرجه الداني، عثمان بن سعيد في السنن الواردة في الفتن وغوائلها والساعة وأشراطها، الرياض، دار العاصمة، ط١، ١٤١٦هـ، ج٣/ ٦٣٥، وأخرجه الدورقي، في مسند سعد بن ابي وقاص، ج١/ ١٥٦ برقم ٩٢. الحكم على الحديث: الحديث صحيح رجاله ثقات. وقال ضياء الدين المقدسي في الأحاديث المختارة ٣/ ٢٦٣: إسناده صحيح،

(٢) ابن قيم الجوزية، في مدارج السالكين، ج٣/ ١٨٥.

(٣) الحنفي، محمد عبد الغني، إنجاح الحاجة شرح سنن ابن ماجه، ج نشر كراتشي، بدون تاريخ، ج١/ ٢٨٧.

(٤) ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، ٧/ ٧.

(٥) ابن رجب الحنبلي، زين الدين عبدالرحمن، كشف الكربة في وصف حال أهل الغربة، القاهرة، الفاروق الحديثة، ط٢، ٢٠٠٣م، ج١/ ٣٢٠.

العبادة أو الطاعة وقت الهرج والفتن وغفلة الناس، وانشغالهم بالفتن عن طاعة اللَّه، كمن ترك قيام الليل تكاسلًا من الاستمرار فيه، قال رسول

اللَّه ـ ﷺ ـ لعبد اللَّه بن عمرو بن العاص: «يَا عَبْدَاللَّهِ، لَا تَكُنْ مِثْلَ فُلَانٍ؛ كَانَ يَقُومُ اللَّيلَ فَتَرَكَ قِيَامَ اللَّيْلِ» (١).

فيُكره قطع العبادة وإن لم تكن واجبة، لذا يستحب للمسلم الدوام على ما اعتاد عمله من خير من غير تفريط، قاله العيني (٢). كذلك من كان يصلي صلاة الضحى مثلًا وانقطع عنها فعليه أن يعود إليها، ومن اعتاد أداء الصدقات وصلة الأرحام ثم توقف عنها بلا عذرٍ فعليه أن يحافظ عليها.

المرتبة الثالثة من مراتب العبادة في الهرج: أن يهجر المؤمن معصيةً تقربًا للَّه تعالى ومصارعةً لنفسه من الفتن، وقد عرَّف رسول اللَّه ـ ﷺ ـ المهاجر بأنه: «مَنْ هَجَرَ الْخَطَايَا وَالذُّنُوبَ» (٣).

---

(١) أخرجه البخاري، في صحيحه واللفظ له في ك التهجد، باب ما يكره من ترك قيام الليل، ومسلم في صحيحه في باب النهي عن صوم الدهر، برقم ١١٥٩، وابن ماجه في السنن باب ما جاء في قيام الليل برقم ١٣٣١، والنسائي في الكبرى برقم ١٣٠٦ باب الحث على قيام الليل، وأحمد في المسند ١١/ ١٥٣، وابن حبان في صحيحه ٦/ ٣٦٨ برقم ٢٦٤١، والبيهقي في السنن الكبرى، ج٣/ ٢٠ برقم ٤٧١٩. الحكم على الحديث: صحيح.

(٢) العيني، عمدة القاري شرح صحيح البخاري، ج٧/ ٢١٠.

(٣) أخرجه ابن ماجه في السنن واللفظ له في باب حرمة الدم برقم ٢٩٣٤، وأخرجه أحمد في المسند ٣٩/ ٣٨١، وأخرجه البزار في المسند ٩/ ٢٠٦ برقم ٣٧٥٢، وأخرجه ابن حبان في صحيحه ١١/ ٢٠٤ برقم ٤٨٦٢، وأخرجه ابن المبارك، في المسند، برقم ٢٩ ج١/ ١٦، وأخرجه ابن منده، في كتاب الإيمان ١/ ٤٥٢ برقم ٣١٥، والبيهقي في شعب الإيمان ٣/ ٤٥٤، وأخرجه الحاكم في المستدرك ١/ ٥٤، وصححه الحاكم وسكت عنه الذهبي. الحكم على الحديث:الحديث برواية ابن ماجه، إسناده حسن، لحال حميد بن هاني أبو هاني الخولاني،(راجع ترجمته في ص ٢٢) قال المناوي في التيسير بشرح الجامع الصغير ٢/ ٤٥٢ إسناده حسن، وقال البوصيري، أبو العباس، شهاب الدين في مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه: هذا إسناد صحيح، ج٤/ ١٦٤، وقال الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة ٢/ ٩٠ برقم ٤٩: أخرجه الإمام أحمد بإسناد صحيح رجاله كلهم ثقات، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد =

قال المروزي: يعني أن المسلم إذا هجر السوءَ فهو راغب في الخير[1]، فهو يتقرَّب إلى اللَّه تعالى بطاعته في ترك الخطايا والذنوب.

واللَّه سبحانه يجزي العبد على ما تركه مخافةً منه، بأن يعوِّضه اللَّه خيرًا مما ترك، قال رسول اللَّه ـ ﷺ ـ: «إِنَّكَ لَنْ تَدَعَ شَيْئًا اتِّقَاءَ اللَّهِ إِلَّا أَعْطَاكَ اللَّهُ خَيْرًا مِنْهُ»[2]، مصداقَ قوله تعالى: ﴿إِنْ يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ﴾ [الأنفال: ٧٠]، أفلا ترى كيف أنّ إبراهيمَ ـ عليه السلام ـ حين اعتزل قومه وما يعبدون من دون اللَّه، فكافأه اللَّه بأن رزقه إسحاق ويعقوب ـ عليهما السلام ـ: ﴿فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا﴾ [مريم: ٤٩]، وكيف فعل نبيُّ اللَّه يوسفُ ـ عليه السلام ـ إذ اختار السجن على ما حرَّم اللَّه سبحانه: ﴿قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ﴾ [يوسف: ٣٣] فكانت النتيجة أن عوَّضه اللَّه ومكَّنه من مُلك مصر، وفي تحديث رسول اللَّه ـ ﷺ ـ بخبر الثلاثة الذين حُبسوا في غارٍ أثناء هبوط المطر، ذكر أحدهم أنه ترك لمْسَ قريبته مخافة اللَّه سبحانه،

= ٣/ ٢٦٨: رواه البزار ورجاله ثقات.

(١) المروزي، أبو عبداللَّه محمد بن نصر، تعظيم قدر الصلاة، المدينة المنورة، مكتبة الدار، ط١، ١٤٠٦هـ، ج١/ ٤٠١.

(٢) أخرجه أحمد في مسنده واللفظ له في ٣٤/ ٣٤٢، وأخرجه أبو محمد الحارث بن محمد في بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث، المدينة المنورة، مركز خدمة السنة والسيرة النبوية، ط١، ١٩٩٢م، ج٢/ ٩٨٧ برقم ١١٠١، وأخرجه أبو بكر بن أبي شيبة،، في المسند، ج٢/ ٤٤٠ برقم ٩٩٤، قال البوصيري، شهاب الدين في إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة ٧/ ٤٥٢ برقم ٧٣١٨ : رواه الحارث بن أبي أسامة وأبو بكر بن أبي شيبة بسند صحيح،، وأخرجه البيهقي في شعب الإيمان ٧/ ٤١٨، وأخرجه القضاعي في مسند الشهاب ٢/ ١٧٨، وأخرجه النسائي، في السنن الكبرى ١٠/ ٣٩١ برقم ١١٨١، قال ابن مفلح في الآداب الشرعية ٣/ ٢٨٧: رواه النسائي وإسناده جيد. الحكم على الحديث: الحديث إسناده صحيح، رجاله ثقات، قال السخاوي في المقاصد الحسنة ١/ ٥٧٧: أخرجه أحمد في المسند ورجاله رجال الصحيح، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ١٠/ ٢٩٦: رواه أحمد بأسانيد رجالها رجال الصحيح، وقال أبو الفداء إسماعيل بن محمد في كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس ٢/ ٢١٦: أخرجه أحمد ورجاله رجال الصحيح، بيروت، المكتبة العصرية، ط١، ٢٠٠٠م.

فكانت النتيجة أن فرَّج اللَّه عنهم وخرجوا من الغار[١].

إن ترْك معصيةٍ تعوَّد عليها الإنسان، يكون أحيانًا أشقَّ شيءٍ على النفس: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: ٢ - ٣].

فمن ترك التكالب على الدنيا جعل اللَّه غناه في قلبه[٢]، وجاءته الدنيا ذليلةً راغمة لا يحتاج في طلبها إلى سعي كثير، بل تأتيه هيِّنة ليِّنة[٣]، كما قال رسول اللَّه ـ ﷺ ـ: «من كانت الدنيا نيَّتَه فرَّق اللَّه عليه أمره[٤] وجعل فقره بين عينيه[٥] ولم يأتِه من الدنيا إلا ما كُتب له، ومن كانت الآخرةُ نيَّتَه جعل اللَّهُ عز وجل غناه في قلبه وجمع له أمره[٦] وأتتْه الدنيا وهي راغمة»[٧]،

(١) قصة أصحاب الغار أخرجها البخاري في صحيحه، باب: من استأجر أجيرًا فترك الأجير أجره فعمل فيه المستأجر فزاد أو من عمل في مال غيره فاستفضل، وأخرجه مسلم في صحيحه باب في الذكر والدعاء برقم ٢٧٤٣، وأبو داود مختصرا في السنن باب في الرجل يتّجر في مال الرجل برقم ٣٣٨٧ وسكت عنه، والنسائي في الكبرى في الرقائق برقم ١١٨٢٦، وأحمد في المسند ١٠/ ١٨١.

(٢) غنى القلب: أي استغناؤه بما قُسم له، ورضاه به، بغير إلحاح في طلب ولا إلحاف في سؤال. (المناوي، فيض القدير ٥/ ٣٥٨).

(٣) القاري، مرقاة المفاتيح ٨/ ٣٣٣٤.

(٤) فرّق اللَّه عليه أمره: شتّت اللَّه شمله وما اجتمع من أمره. (القاري، مرقاة المفاتح ٨/ ٣٣٣٤).

(٥) فقره بين عينيه، يعني: جعل اللَّه الفقر لا يزول عنه، ولو أوتي من المال مهما أوتي فلا يزال خائفاً من الفقر. (أبو سعيد الحنفي، بريقة محمودية ٣/ ٢٢).

(٦) جعل اللَّه غناه في قلبه وجمع له أمره: أي جمع أموره المتفرقة، كتهيئة الأسباب لها، وجعله قانعاً بالكفاية كيلا يتعب في طلب الزيادة. (المباركفوري، تحفة الأحوذي ٧/ ١٣٩).

(٧) أخرجه الطيالسي، أبو داود سليمان بن داود واللفظ له في المسند، ج١/ ٥٠٤ برقم ٦١٧، وأخرجه ابن ماجه في السنن باب الهم بالدنيا برقم ٤١٠٥، وأخرجه الطبراني في المعجم الأوسط ٧/ ٢٠١ برقم ٧٢٧١، وأخرجه الدارمي، في السنن، ج١/ ٣٠٢ برقم ٢٣٥، وأخرجه أحمد في المسند ٣٥/ ٤٦٧، وأخرجه ابن حبان في صحيحه برقم ٦٨٠، وأخرجه البيهقي في شعب الإيمان ١٢/ ٥٣٩ برقم ٩٨٥٥. الحكم على الحديث: الحديث برواية زيد بن ثابت إسناده صحيح، رجاله ثقات. قال البوصيري في مصباح الزجاجة: ٤/ ٢١٢: هذا إسناد صحيح رجاله ثقات، وقال العراقي في تخريج أحاديث الإحياء، ٥/ ٢٢٦٩: أخرجه ابن ماجه عن زيد بن ثابت بسند جيد، وصحح إسناد ابن ماجه أيضاً الألباني في سلسلة =

هذا هو الفقر الحقيقي، والغنى الحقيقي[1].

إن ما كُتب للعبد من الرزق يأتيه لا محالةَ، لكنّ من طلب الآخرةَ فالرزق يأتيه بلا تعب، ومن طلب الدنيا يأتيه بتعبٍ وشدة[2].

ومن لزم الصدق وترك الكذب، كُتب عند اللَّه صدّيقًا[3]، كما قال رسول اللَّه ـ ﷺ ـ: «« عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ فَإِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِى إِلَى الْبِرِّ وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِى إِلَى الْجَنَّةِ وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ وَيَتَحَرَّى الصِّدْقَ[4] حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ صِدِّيقًا[5] وَإِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ فَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِى إِلَى الْفُجُورِ وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِى إِلَى النَّارِ وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَكْذِبُ وَيَتَحَرَّى الْكَذِبَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذَّابًا »[6].

فالجزاء من جنس العمل، قال تعالى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ [الزلزلة: ٧- ٨].

= =الأحاديث الصحيحة ٢/ ٦٣٤ برقم ٩٥٠، وقال المنذري، في الترغيب والترهيب من الحديث الشريف: رواه ابن ماجه ورواته ثقات، ج٤/ ٥٦ برقم ٤٧٨٨، وقال الحنبلي محمد بن مفلح في الآداب الشرعية ٣/ ٢٧١: إسناده جيد رواه ابن ماجه، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ١٠/ ٢٤٧: رواه الطبراني في الأوسط ورجاله وُثقوا.

(١) ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر، طريق الهجرتين وباب السعادتين، مصر، دار السلفية، ط٢/ ١٣٩٤هـ، ج١/ ٤٧.

(٢) السندي، محمد بن عبد الهادي، حاشية السندي على سنن ابن ماجه، ج٢/ ٥٢٥.

(٣) صدّيقاً: هو الذي يصدق قوله فعله. (ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر ٣/ ١٨، مادة صدق).

(٤) الرجل يصدق ويتحرى الصدق: أي الشخص سواء كان رجلاً أو امرأة يتحرى الصدق أي: يجتهد ويتكرر الصدق منه (القاري، مرقاة المفاتيح ٧/ ٣٠٣٠).

(٥) يُكتب عند اللَّه صدّيقاً: أي يُحكم له بالصدق، ويُعلم به للمخلوقين من الملأ الأعلى، وإلقاء ذلك عنه في قلوب أهل الأرض. (ابن حجر، فتح الباري ١٠/ ٥٨).

(٦) أخرجه مسلم في صحيحه واللفظ له، باب قبح الكذب، برقم ٢٦٠٧، وأخرجه البخاري في صحيحه في باب قول اللَّه تعالى: (يا أيها الذين آمنوا اتقوا اللَّه) وأخرجه أبو داود في السنن برقم ٤٩٨٩ وسكت عنه، وأخرجه الترمذي في السنن باب ما جاء في الصدق برقم ١٩٧١، وقال: حديث حسن صحيح، وأخرجه أحمد في المسند ٦/ ١٤٧. الحكم على الحديث: صحيح،

ومما يساعد المسلم على القيام بأداء هذه المراتب التعبُّدية الثلاث كلها أو إحداها: (المراقبة)، فمن راقب نظر اللَّه ـ عزَّ وجل ـ حسُنت عبادته، فالمراقبة سببٌ أصيل من أسباب النجاة من الفتن: «أن تخشى اللَّهَ كأنك تراه، فإنك إن لا تكنْ تراه فإنه يراك»[(١)]، فالمراقبة ثمرة عِلم المسلم بأن اللَّه سبحانه رقيب عليه، مطَّلع عليه وعلى عمله، كلَّ وقت وكل لحظة. قاله ابن القيم[(٢)].

فيجب على المسلم في كل وقت، ووقت الفتن خصوصًا: المسارعة إلى فعل الخيرات، كما قال اللَّه تعالى: ﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾ [البقرة: ١٤٨]، وقال تعالى عزَّ من قائل: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣].

[المبحث السابع] مغادرة مواقع الفتن:

نهى رسول اللَّه ـ ﷺ ـ عن الاقتراب من الفتن، مثل القيام لها أو الدعوة إليها أو المشاركة فيها، وكان منتهى حرصه ـ ﷺ ـ أن يظل المسلم بعيدًا عن الفتن، لا ينشُز إليها ولا يشارك فيها بسيف، ولا حتى بكلمة، بل ينأى بنفسه عنها إن استطاع، ويعتزل في مكانٍ ناءٍ، فقال: «إِنَّهَا سَتَكُونُ فِتَنٌ، أَلَا[(٣)] ثُمَّ تَكُونُ فِتْنَةٌ[(٤)] الْقَاعِدُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْمَاشِي فِيهَا وَالْمَاشِي فِيهَا خَيْرٌ مِنَ السَّاعِي إِلَيْهَا. أَلَا فَإِذَا نَزَلَتْ أَوْ وَقَعَتْ، فَمَنْ كَانَ لَهُ

(١) أخرجه مسلم في صحيحه واللفظ له برقم ١٠ باب الإسلام، وأخرجه البخاري في باب سؤال جبريل للنبي ـ ﷺ ـ وأخرجه النسائي في الكبرى باب توقير العلماء برقم ٥٨٥٢، وأخرجه أحمد في المسند ١٠/ ٥٨٥٦، وأخرجه أبو داود في السنن باب في القدر برقم ٤٦٩٥وسكت عنه، وأخرجه ابن ماجه في السنن في باب الإيمان برقم ٦٤، وأخرجه الترمذي في السنن باب وصف جبريل للنبي ـ ﷺ ـ الإيمان برقم ٢٦١٠ وقال: حديث حسن صحيح. الحكم على الحديث: صحيح.

(٢) ابن القيم، مدارج السالكين ٢/ ٦٥.

(٣) ألا: للتنبيه عليها. (القاري، مرقاة المفاتيح ٨/ ٣٣٨٤).

(٤) ثم تكون فتنة: أي عظيمة، قال الطيبي: عطف بـ(ثم) لتراخي مرتبة هذه الفتنة الخاصة تنبيهاً على عظمتها. (القاري، مرقاة المفاتيح ٨/ ٣٣٨٥).

إِبِلٌ فَلْيَلْحَقْ بِإِبِلِهِ، وَمَنْ كَانَتْ لَهُ غَنَمٌ فَلْيَلْحَقْ بِغَنَمِهِ، وَمَنْ كَانَتْ لَهُ أَرْضٌ فَلْيَلْحَقْ بِأَرْضِهِ[1]»، قَالَ: فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَرَأَيْتَ مَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ إِبِلٌ وَلَا غَنَمٌ وَلَا أَرْضٌ[2]؟ قَالَ: «يَعْمَدُ إِلَى سَيْفِهِ فَيَدُقُّ عَلَى حَدِّهِ بِحَجَرٍ[3]، ثم لْينجُ إن استطاع النجاءَ»[4]،[5].

هذا الحديث يقتضي جواز الاعتزال عند الفتنة؛ لأن من كان مع ماشيته يرعاها ويتتبّع بها مواقع القطر ليس أمامَه إلا الاعتزال والبعد عن الحواضر والقرى، وذِكر الإبل والغنم والأرض لأن المعتزل عن الفتنة مقتصرٌ على هذا النوع من المال في

(١) فإذا نزلت أو وقعت فمن كان له إبل.. إلى قوله: فليلحق بأرضه، أي: إذا وقعت تلك الفتنة فمن كان له إبل في البرية أو عقار أو مزرعة بعيدة عن الخلق فليلحق بها، لأن الاعتزال والاشتغال بخاصة حاله حينئذٍ واجب لوقوع عموم الفتنة العمياء بين الرجال. (القاري، مرقاة المفاتيح ٨/ ٣٣٨٥).

(٢) فقال رجل: يا رسول اللَّه أرأيت من لم يكن له إبل ولا غنم ولا أرض؟ أي: أخبرني أين يذهب أو كيف يفعل من لا أبل له ولا غنم ولا أرض؟ قال القرطبي: ذكر اتِّباع الإبل والغنم والأرض في هذا الحديث لأن هذه المواضع هي التي غالباً ما يعتزل فيها الناس، فكل موضع يَبعُد عن الناس فهو داخل في هذا المعنى. (القاري، مرقاة المفاتيح ٨/ ٣٣٨٥والقرطبي، التمهيد لمافي الموطأمن المعاني والأسانيد، الإسلامية ج١٧/ ٤٥٠).

(٣) يعمد إلى سيفه فيدق على حدّه بحجر، أي: إن كان لديه سيف أو سلاح فليتخلص منه بكسره كيلا يذهب به إلى الحرب ولا يبقى له شيء يستعين به على الدخول في الفتن. (القاري، مرقاة المفاتيح ٨/ ٣٣٨٥، والقرطبي، المفهم لما أشكل من تلخيص مسلم ٧/ ٢١٢).

(٤) ثم لينجُ إن استطاع النجاء: أي من لم يكن له ما يشتغل به من مهام فلينجُ برأسه ويُسرع هرباً حتى لا تصيبه الفتنة ويخرج من بين أهل الفتنة. (القاري، مرقاة المفاتيح ٨/ ٣٣٨٥، وأبادي، محمد أشرف، عون المعبود شرح سنن أبي داود ومعه حاشية ابن القيم، بيروت، دار الكتب العلمية، ط٢، ١٤١٥هـ، ج١١/ ٢٢٤-٢٢٥).

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه واللفظ له، في باب نزول الفتن كمواقع القطر برقم ٢٨٨٧، وأبو داود في السنن باب في النهي عن السعي في الفتنة برقم ٤٢٥٦وسكت عنه، وأحمد في المسند ٣٤/ ١٣٠، والحاكم في المستدرك ٤/ ٤٨٧، وصححه ووافقه الذهبي، وأخرجه ابن أبي شيبة في المصنف ٧/ ٤٢٦. الحكم على الحديث:صحيح.

شؤون حياته[١].

وقال ابن كثير: المشروع في أيام الفتن والزلازل في الدين: التعبد والتفرد في شواهق الجبال والكهوف والبراري[٢]، كما ثبت في حديث رسول اللَّه ـ ﷺ ـ: «يأتي على الناس زمانٌ، خيرُ مال الرجل المسلم الغنم، يتْبع بها شَعَف الجبال ومواقع القطر، يفرُّ بدينه من الفتن»[٣].

في هذا الحديث خصَّ رسول اللَّه ـ ﷺ ـ الغنم بكونها خيرَ مال المسلم لما فيها من السكينة والبركة، كما أوصى ـ ﷺ ـ أُمَّ هانيء فقال: «اتَّخِذِي غَنَمًا فَإِنَّ فِيهَا بَرَكَةً»[٤]، فاقتناء الغنم أفضل من اقتناء غيرها لبركتها.

فينبغي، لمن خاف على دينه من مخالطة أهل الشر والفساد وتأثيرهم، أن ينعزل

(١) القرطبي،، المنتقى شرح الموطأ، ج٧/ ٢٩٠.

(٢) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج٤/ ٢٢٠، سورة التوبة.

(٣) تخريج الحديث أخرجه البخاري في صحيحه واللفظ له في باب العزلة راحة من خلاط السوء ٨/ ١٠٤ (٦٤٩٥)، وابن ماجه في السنن باب العزلة برقم ٣٩٨٠، والنسائي في السنن باب الفرار بالدين من الفتن ٨/ ٢٣، ومالك في الموطأ باب ما جاء في أمر الغنم ٢/ ٩٧٠، وأحمد في المسند ١٧/ ٧٩. الحكم على الحديث: صحيح.

(٤) أخرجه ابن ماجه في السنن واللفظ له في باب اتخاذ الماشية برقم ٢٣٠٤، وأحمد في المسند ٤٥/ ٣٧٩، والطبراني في المعجم الكبير ٢٤/ ٤٢٦ برقم ١٠٤١، وقال الدارقطني، في العلل الواردة في الأحاديث النبوية: (يروي هذا الحديث هشام بن عروة، واختُلف عنه، والصحيح: قول من قال عن هشام عن أبيه عن أم هانىء) وهو كما قال في سنن ابن ماجه، ج١٥/ ٣٦٧ برقم ٤٠٢٧، والحديث أخرجه البيهقي في شعب الإيمان ٢/ ٤٤٥. الحكم على الحديث: إسناده صحيح، رجاله ثقات، وقال القرطبي، في الجامع لأحكام القرآن، ج٤/ ٣٥ سورة آل عمران: إسنادٌ صحيح، وقال المناوي في فيض القدير ١/ ١١٢: رواة ابن ماجه ثقات، قال البوصيري في مصباح الزجاجة ٣/ ٤٠: إسناد ابن ماجه صحيح رجاله ثقات، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة ٢/ ٤٠٤ برقم ٧٧٣، وقال الكناني، نور الدين علي بن محمد، في تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأخبار الشنيعة الموضوعة، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٣٩٩هـ، ج٢/ ٢٦٣: رواه أحمد وابن ماجه بسند صحيح، وقال الحنبلي في الآداب الشرعية ٢/ ٤٣٢: رواه ابن ماجه بإسناد جيد.

عنهم في شَعَف الجبال، أي: رؤوسها وبطون الأودية، وأن يكون عنده أغنامٌ يرعاها في هذه المواضع وينتفع بلبنها ونسلها، وإنما يفعل ذلك لأجل سلامة دينه من الفتن التي تحصل من الاختلاط بالناس[1].

فهو يهرب من الفتن مصحوبًا بدينه إلى هذه الأماكن ليبتعد عن الفتن بإقامته فيها، فقوله ـ ﷺ ـ: «يَفِرُّ بِدِينِهِ مِنَ الْفِتَنِ»: للإشعار بأن هذا الاتِّباع للغنم في رؤوس الجبال ينبغي أن يكون استعصامًا للدين،لا للأمر الدنيوي كطلب كثرة العلف[2].-أي مواضع المرعى - فإنْ وقعت الفتنة ترجَّحت العزلة، لما ينشأ فيها غالباً من الوقوع في المحذور، وقد تقع العقوبة بأصحاب الفتنة فتعم من ليس من أهلها[3]. كما قال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً﴾ [الأنفال: ٢٥]، فإن اللَّه يُهلك الصالح بذنب العاصي، ففي الخبر، أن زينبَ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ـ سألت رسول اللَّه ـ ﷺ ـ فقالت: يا رسول اللَّه، أَنَهْلِكُ وَفِينَا الصَّالِحُونَ؟ قَالَ: «نَعَمْ، إِذَا كَثُرَ الْخَبَثُ»[4].

قال ابن بطال: إذا ظهرت المعاصي ولم تُغيَّر وجب على المؤمنين المنكرين لها – بقلوبهم- هجران تلك البلدة والهربُ منها، فإن لم يفعلوا فقد تعرَّضوا للهلاك، إلا أنّ الهلاك طهارة للمؤمنين ونقمة على الفاسقين[5].

قال البِرْماوي: وذِكر هذه المواضع- يعني: شعف الجبال ومواقع القطر- لما فيها

(١) السفيري، شمس الدين محمد، المجالس الوعظية في شرح أحاديث خير البرية ـ ﷺ ـ بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ٢٠٠٤، ج١/ ٤٣٨.

(٢) العيني، عمدة القاري ١/ ١٦٤.

(٣) ابن حجر، فتح الباري ١٢/ ٤٢.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه واللفظ له في باب قصة يأجوج ومأجوج، ومسلم في صحيحه في باب اقتراب الفتن برقم ٢٨٨٠، و ابن ماجه في السنن باب ما يكون من الفتن برقم ٣٩٥٣، والترمذي في السنن باب ما جاء في الخسف برقم ٢١٨٥ وقال:حديث غريب من حديث عائشة لا نعرفه إلا من هذا الوجه، والنسائي في السنن الكبرى برقم ١١٢٤٩، وأحمد في المسند ٤٥/ ٤٠٥. الحكم على الحديث:صحيح.

(٥) ابن بطال، في شرح صحيح البخاري، ج١٠/ ٦.

من الخلوة، لأنها أسلم غالبًا من الكدر، فإنها مواضع خالية من ازدحام الناس، فهو يفر مما يفتنه في دينه[١]، فالفرار من الفتن شعبة من شعب الإيمان[٢]، فأفضل الناس عند وقوع الفتن هو من يفرُّ منها، لقوله ﷺ في أفضل الناس: «رجل معتزلٌ في شِعب من الشعاب»[٣].

ويدخل في الفرار من مواقع الفتن: الفرار من الدجال، كما أمرنا بذلك رسول اللَّه ﷺ فقال: «من سمع بالدجال[٤] فلْينْأَ منه[٥]، من سمع بالدجال فلْينْأَ منه، من سمع بالدجال فلْيناَ منه، فإن الرجل يأتيه وهو يحسَب أنه مؤمن[٦]، فلا يزال به لِما معه من الشُّبَه[٧] – أي: الشبهات – حتى يتَّبعه»[٨].

(١) السفيري، المجالس الوعظية في شرح أحاديث خير البرية ١/ ٤٤٣.

(٢) القسطلاني، إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري ١/ ١٠٢.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه واللفظ له في باب فضل الجهاد والرباط برقم ١٨٨٨، وأخرجه البخاري في صحيحه باب أفضل الناس مؤمن مجاهد بنفسه، وأخرجه أحمد في المسند ١٧/ ٤٢٤، وأخرجه الدارمي في السنن باب أفضل الناس رجل ممسك برأس فرسه برقم ٢٤٤٠، وأخرجه النسائي في السنن ج٥/ ٨٣ برقم ٢٥٦٩، وأخرجه الحاكم في المستدرك ٢/ ٧٧ وصححه الحاكم ووافقه الذهبي. الحكم على الحديث: صحيح.

(٤) من سمع بالدجال: أي سمع بخروجه وظهوره. (القاري، مرقاة المفاتيح ٨/ ٣٤٨٠).

(٥) فلينأ منه: أي فليبعد منه، أي من الدجال؛ لأن البُعد عن قُربه سعد. (القاري، مرقاة المفاتيح ٨/ ٣٤٨٠).

(٦) وهو يحسب أنه مؤمن: أي الرجل يظن أن الدجال مؤمن فيطيعه. (القاري، مرقاة المفاتيح ٨/ ٣٤٨٠).

(٧) فلا يزال به لما معه من الشُّبه: أي يستمر الدجال في إلقاء الشبهات، أي المشكِلات كالسحر وإحياء الموتى وغير ذلك، حتى يصير تابعه كافراً وهو لا يدري. (القاري، مرقاة المفاتيح ٨/ ٣٤٨٠).

(٨) أخرجه أحمد في المسند واللفظ له في ٣٣/ ١٠٧، وأبو داود في السنن باب خروج الدجال برقم ٤٣١٩، وسكت عنه، والحاكم في المستدرك ٤/ ٥٧٦ وصححه الحاكم وسكت عنه الذهبي، وابن أبي شيبة في المصنف ٧/ ٤٨٨، والبزار في المسند ٩/ ٦٣ برقم ٣٥٩٠، وقال: هذا الحديث لا نعلم أحداً يرويه بهذا اللفظ إلا عمران بن حصين وحده ولا رواه عن عمران إلا أبو الدهماء ولا عن أبي الدهماء إلا حميد بن هلال، وأخرجه الروياني، أبو بكر محمد بن هارون في المسند، القاهرة، مؤسسة قرطبة، ط١، ١٤١٦هـ، ج١/ ١٣١ برقم١٣٣، وابن بطة، في الإبانة الكبرى، ج٢/ ٤٦٩، و الطبراني في المعجم الكبير١٨/ ٢٢٠ برقم ٥٥٠. الحكم على الحديث: الحديث عند الإمام أحمد، إسناده صحيح ورواته ثقات، قال الحنبلي =

فأكَّد هذا الحديث أن الدجال صاحبُ شبهات؛ لأن العجائب الظاهرة منه- مثلَ أنَّ: «« مَعَهُ مَاءً وَنَارًا فَأَمَّا الَّذِى يَرَاهُ النَّاسُ مَاءً فَنَارٌ تُحْرِقُ وَأَمَّا الَّذِى يَرَاهُ النَّاسُ نَارًا فَمَاءٌ بَارِدٌ عَذْبٌ فَمَنْ أَدْرَكَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَلْيَقَعْ فِى الَّذِى يَرَاهُ نَارًا فَإِنَّهُ مَاءٌ عَذْبٌ طَيِّبٌ »[1]- هذه العجائب ما هي إلاّ حيلٌ من نحو ما صنع سحرة فرعون، ومن باب أعمال أصحاب العجائب[2]، حيثُ يُلقي على الإنسان الشبهات حتى يتبعه، ويظن الإنسان أن الدجال لن يستطيع أن يفتنه، ولكن فتنته عظيمة، لذلك أمرنا رسول اللَّه ﷺ بالثبات فقال: «يَا عِبَادَ اللَّهَ فَاثْبُتُوا» [3].

وقد أنذر الأنبياءُ أقوامَهم، وحذَّروهم فتنةَ الدجال أعظمَ فتنة تمرُّ على البشرية ، ففي الحديث: «مَا بُعِث نبيٌّ إِلَّا أَنْذَرَ أُمَّتَهُ الْأَعْوَرَ الْكَذَّابَ»[4]، وكذلك فعل رسول اللَّه

= في الآداب الشرعية ١/ ٢٠٠: رواه أحمد وإسناده جيد، وقال ابن كثير: إسماعيل بن عمر، في البداية والنهاية١٩/ ١٩٠: إسناده جيد، دار هجر للنشر، ط١، ٢٠٠٣م، وقال الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته: صحيح، ج٢/ ١٠٨٠ برقم ٦٣٠١.

(١) أخرجه مسلم في صحيحه واللفظ له في باب ذكر الدجال برقم٢٩٣٥، وأخرجه البخاري في صحيحه في باب ما ذكر عن بني إسرائيل، وأخرجه أحمد في المسند ٣٨/ ٣٧٥، واخرجه ابن أبي شيبة في المصنف ٧/ ٤٩٥ برقم ٣٧٥٠٥، وأخرجه الطبراني في الكبير ١٧/ ٢٣٢ برقم ٦٤٣، وأخرجه البزار في المسند ٧/ ٢٤٣ برقم ٢٨٢٠، وأخرجه ابن منده، في الإيمان، ج٢/ ٩٤١ برقم ١٠٣٦. الحكم على الحديث:صحيح.

(٢) القرطبي، أبو محمد علي بن أحمد، في كتاب الفصل في الملل والأهواء والنحل، القاهرة، مكتبة الخانجي، ج١/ ٨٩، بدون تاريخ،

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه واللفظ له، باب ذكر الدجال برقم ٢٩٣٧، وابن ماجه في السنن باب فتنة الدجال برقم ٤٠٧٧، والحاكم في المستدرك ٤/ ٥٧٥، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي، وابن منده في الإيمان ٢/ ٩٣٢ برقم ١٠٢٧، والترمذي في السنن ما جاء في فتنة الدجال مطولا برقم ٢٢٤٠وقال:حديث حسن صحيح غريب، وأحمد في المسند ٢٩/ ١٧٢. الحكم على الحديث:صحيح.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه واللفظ له في باب ذكر الدجال، ومسلم في صحيحه باب ذكر الدجال برقم ٢٩٣٣، وأبو داود في السنن باب خروج الدجال برقم ٤٣١٦وسكت عنه، والترمذي في السنن ما جاء في قتل عيسى بن مريم الدجال برقم ٢٢٤٥، وقال: حديث حسن صحيح، و أحمد في المسند ١٩/ ٦٣. الحكم على الحديث:صحيح.

ﷺ ونُقل عنه أكثرُ من حديثٍ، ومنه قوله ﷺ: «مَا بَيْنَ خَلْقِ آدَمَ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ أَمْرٌ أَكْبَرُ مِنَ الدَّجَّالِ»(١)، وقوله ﷺ في فرار الناس من هَذِهِ الْفِتْنَةُ الْعَظِيمَةُ إِلَى الْجِبَالِ: «لَيَفِرَنَّ النَّاسُ مِنَ الدَّجَالِ فِي الْجِبَالِ»(٢).

كذلك إخبارُه ﷺ أنّ من النجاة من هذه الفتنة أيضًا: السكنَ في مكة والمدينة، فهما حرمان آمنان ولن يدخلهما الدجال؛ قال ﷺ: «لَيْسَ مِنْ بَلَدٍ إِلَّا سَيَطَؤُهُ الدَّجَّالُ، إِلَّا مَكَّةَ وَالْمَدِينَةَ» الحديثَ (٣).

إن المؤمن يجب أن يلتزم بأوامر رسول اللَّه ﷺ ونواهيه، فالمؤمن الصادق لا يفعل إلا ما أُمر به، فإن ذلك عبادة، ولا يستعين إلا باللَّه، وإن تعرضه للفتنة هو من الذنوب، فعلى المسلم أن يعوِّد نفسه على البعد عن الفتن، وعدم الدخول فيها، فإنه إن فعل ذلك سَلِم وحُفظ من فتنة الدجال بإذن اللَّه، قال ابنُ بطة- في تفسير حديث رسول اللَّه ﷺ: «مَنْ سَمِعَ بِالدَّجَّالِ فَلْيَنْأَ منْهُ»-: هذا قول الرسول ـ ﷺ ـ وهو الصادق المصدوق، فاللَّهَ اللَّهَ معشر المسلمين،لَا يَحْمِلَنَّ أَحَدًا مِنْكُمْ حُسْنُ ظَنِّهِ بِنَفْسِهِ ، وَمَا عَهِدَهُ مِنْ مَعْرِفَتِهِ بِصِحَّةِ مَذْهَبِهِ عَلَى الْمُخَاطَرَةِ بِدِينِهِ فِي مُجَالَسَةِ بَعْضِ أَهْلِ هَذِهِ الْأَهْوَاءِ (ومثله: الدخول في مواقعهم في الإنترنت والتواصل الاجتماعي)فَيَقُولُ: أُدَاخِلُهُ

(١) أخرجه مسلم في صحيحه واللفظ له برقم ٢٩٤٦ باب بقية من أحاديث الدجال، وأحمد في المسند ٢٦/ ١٩٥، وأبو يعلى في المسند ٣/ ١٢٦، ومعنى الحديث: ليس فيما بين خلق آدم وقيام الساعة فتنة أعظم من الدجال لِعظم فتنته وشدة محنته. (القاري، مرقاة المفاتيح ٨/ ٣٤٥٢). الحكم على الحديث:صحيح.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه واللفظ له برقم ٢٩٤٥ باب بقية من أحاديث الدجال، والترمذي في السنن باب في فضل العرب برقم ٣٩٣٠، وقال: حسن صحيح غريب، وأحمد في المسند ٤٥/ ٥٩٣، والطبراني في الكبير ٢/ ٩٦ برقم ٢٤٩، وابن حبان، في الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، ج١٥/ ٢٠٨ برقم ٦٧٩٧. الحكم على الحديث:صحيح.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه واللفظ له في باب: لا يدخل الدجال المدينة، ومسلم في صحيحه برقم ٢٩٤٣، باب قصة الجسّاسة، والنسائي في السنن الكبرى ٤/ ٢٥٦ برقم ٤٢٦٠، وأحمد في المسند ٢٠/ ٢٩٩. الحكم على الحديث:صحيح.

لِأُنَاظِرَهُ ، أَوْ لِأَسْتَخْرِجَ مِنْهُ مَذْهَبَهُ ، فَإِنَّهُمْ أَشَدُّ فِتْنَةً مِنَ الدَّجَّالِ ، وَكَلَامُهُمْ أَلْصَقُ مِنَ الْجَرَبِ ، وَأَحْرَقُ لِلْقُلُوبِ مِنَ اللَّهَبِ ، وَلَقَدْ رَأَيْتُ جَمَاعَةً مِنَ النَّاسِ كَانُوا يَلْعَنُونَهُمْ ، وَيَسُبُّونَهُمْ ، فَجَالَسُوهُمْ عَلَى سَبِيلِ الْإِنْكَارِ ، وَالرَّدِّ عَلَيْهِمْ ، فَمَا زَالَتْ بِهِمُ الْمُبَاسَطَةُ وَخَفْيُ الْمَكْرِ ، حَتَّى صَبَوْا[1] إِلَيْهِمْ "[2].

فكثيرٌ من الناس، وخاصة في عصرنا الحالي، يدخلون إلى مواقع الفتن في شبكة الإنترنت، وهم يرون أنهم لن يُفتنوا، ولكن – للأسف – لا يزال بهم هذا الأمر حتى يتأثروا بالآراء المضلة، ويقعوا في الفتنة.

فلا ينبغي للمسلم أن يعرِّض نفسه للفتن اعتماداً على ثقته بنفسه، ففي الفتن تنقلب الموازين، فمغادرة مكان الفتنة كان نهجَ الصحابة ــ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ـ فها هم هؤلاءِ، عندما وقعت الفتنة بين علي ومعاوية ــ رَضِيَ اللَّهَ عَنْهُمَا ــ يقول ابن سيرين: هاجت الفتنة وأصحاب رسول اللَّه ﷺ عشَرة آلاف، فما حضر فيها مائة، بل لم يبلغوا ثلاثين[3].

فما زال رسول اللَّه ــ ﷺ ــ إذًا يدعو المسلم إلى أن يبتعد عن الفتن فيقول: «فمن وجد منها ملجأً أو مَعاذًا[4] فلْيَعُذْ بِهِ»[5]، أي: من وجد مفرًّا وموضعًا أو شخصًا

(١) صَبوا: أي خرجوا من الدِّين، يقال: صبأ فلان: إذا خرج من دين إلى دين غيره. (ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث ٣/ ٣).

(٢) ابن بطة، في الإبانة الكبرى، ج٢/ ٤٦٩ برقم ٤٧٥.
التخريج: أخرجه أبو بكر الخلال، أحمد بن محمد في كتاب السنّة، الرياض، دار الراية، ط١، ١٩٨٩م، ج٢/ ٤٦٦، وأخرجه أحمد في العلل ومعرفة الرجال لأحمد برواية ابنه عبداللَّه، الرياض، دار الخاني، ط٢/ ٢٠١٠، ج٣/ ١٨٢ برقم ٤٧٨٧، وأخرجه ابن شبة، في تاريخ المدينة، ج٤/ ١٢٧١.

(٣) الحكم على الأثر: صحيح، رجاله ثقات، قال ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس في منهاج السنّة النبوية في نقض كلام الشيعة ٦/ ٢٣٦: (هذا الإسناد أصح إسناد على وجه الأرض)، السعودية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط١، ١٩٨٦م.

(٤) أو معاذاً: أو ليس للتخيير بين الملجأ أو المعاذ، بل هو شك من الراوي، والمعاذ يعني: الملجأ أيضاً. (العيني، عمدة القاري شرح صحيح البخاري ١٦/ ١٣٨ بتصرف).

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه واللفظ له في باب تكون فتنة القاعد فيها خير من القائم، ومسلم في صحيحه في باب نزول الفتن برقم ٢٨٨٦، وأحمد في المسند ١٣/ ٢٠٧. الحكم على الحديث: صحيح.

يتخلص بالذهاب إليه من الفتن فليَعذْ ويعتزل ويحتمي به، فرسول اللَّه ـ ﷺ ـ يحثُّ على تجنب الفتن والهرب منها؛ لأن شرها يكون بحسَب التعلق بها[١].

[المبحث الثامن] تجنُّب مواجهة الفتنة بفتنةٍ أخرى:

قد يقع المسلم في فتنةٍ أشدَّ من الفتنة التي فرّ منها، إن الفتنة – كما سبق وذكرتُ في تعريفها – تدل على الابتلاء والاختبار، ومن معانيها أيضًا: الإثم والعدوان[٢]، فالقعود عن الجهاد مع القدرة عليه فتنة، كما قال تعالى في كتابه الكريم: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ ائْذَنْ لِي وَلَا تَفْتِنِّي أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا﴾ [التوبة: ٤٩]، أي: أن قوماً اختاروا القعود عن الجهاد لئلا يقعوا في الفتنة، وهم ما وقعوا إلا في الفتنة، فإن أعظم أنواع الفتنة الكفرُ باللَّه ورسوله والتمرد على قبول التكليف[٣].

ومن الفتنة: الافتتان بحديثٍ نبويٍّ دون التأكد من صحته، ثم يتم تداوله بين المسلمين على مواقع التواصل الاجتماعي فيقع من فعل ذلك في الكذب على رسول اللَّه ـ ﷺ ـ وكان جزاؤه: «مَنْ يَقُلْ عَلَيَّ مَا لَمْ أَقُلْ فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ»[٤].

ومن الناس في عصرنا الحالي من يقع على فيديو يتحدث عن الجنة والنار ويشكك في وجودهما، فيسعى البعض إلى نشر الفيديو تحذيرًا للناس من الافتتان به، ولكن يضل بهذا الفيديو بعض المسلمين لضعف إيمانهم، فيقع من نشره في فتنة أكبرَ من التي حذر منها الناس، وهذا ما حذّر منه رسول اللَّه ـ ﷺ ـ فقال: « «يَكُونُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ دَجَّالُونَ كَذَّابُونَ يَأْتُونَكُمْ مِنَ الأَحَادِيثِ بِمَا لَمْ تَسْمَعُوا أَنْتُمْ وَلاَ آبَاؤُكُمْ فَإِيَّاكُمْ وَإِيَّاهُمْ لاَ

(١) المناوي، فيض القدير، ج٤/ ٩٨.

(٢) راجع ص ١٠-١٣ تعريف الفتنة.

(٣) الرازي مفاتيح الغيب، التفسير الكبير، ج١٦/ ٦٥ سورة التوبة.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه واللفظ له في باب إثم من كذب على النبي ـ ﷺ ـ ١/ ٣٣ برقم ١٠٩، وابن ماجه في السنن باب التغليظ في تعمد الكذب على رسول اللَّه ـ ﷺ برقم ٣٤، والدارمي في السنن باب اتقاء الحديث عن النبي ـ ﷺ ـ برقم ٢٤٣، وأحمد في المسند ١٦/ ٣٠٥، وابن حبان في صحيحه ج١/ ٢١٠ برقم ٢٨. الحكم على الحديث: صحيح.

يُضِلُّونَكُمْ وَلاَ يَفْتِنُونَكُمْ »[1].

فمن رأى فتنةً فعليه أن يتدبرها من خلال **ثلاثة أمور**:

أولًا: أن يتأكد أنها فتنة، ويمكنه أن يسأل في ذلك أهل الذكر لقوله تعالى: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣].

ثانيًا: أن يختار التصرف الصحيح لدفعها.

ثالثًا: أن يتأكد أن هذه الفتنة لن تتغير إلى فتنة أكبرَ منها، حتى لا ينتقل إلى مفسدة أعظم منها، مثل: سبِّ الرجل لوالدَيْ غيره، بمنزلة سبِّه والديْ نفسه، فيكون ارتكب أكبر الكبائر، كما قال رسول اللَّه ـ ﷺ ـ: «إن من أكبر الكبائر أن يلعن الرجل والديه» قيل: يا رسول اللَّه، وكيف يلعن الرجل والديه؟ قال: «يسُبُّ الرَّجُلُ أَبَا الرَّجُلِ، فَيَسُبُّ أَبَاهُ، وَيَسُبُّ أُمَّهُ» [2].

ويقرُب منه موقف ذكره ابن تيمية، فقال: مررتُ أنا وبعضُ أصحابي في زمن التتار بقومٍ منهم يشربون الخمر، فأنكر عليهم من كان معي، فأنكرتُ عليه وقلت له: إنما حرم اللَّه الخمر لأنها تصدُّ عن ذكر اللَّه وعن الصلاة، وهؤلاء يصدّهم الخمر عن قتل النفوس، وسبي الذرية، وأخذ الأموال، فدعهم[3].

فعلى المسلم أن ينظر في عواقب الأمور، ويراعي جانب تحقيق المقاصد الشرعية من تصرُّفه، لأنّ درء المفاسد أولى من جلب المصالح.

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه واللفظ له في المقدمة باب ما جاء في الضعفاء والكذابين برقم ٧، وأحمد في المسند ١٤/ ١٩، وابن حبان في صحيحه ج١٥/ ١٦٩ برقم ٦٧٦٦، والحاكم في المستدرك ١/ ١٨٤ وقال الحاكم ووافقه الذهبي: أورده مسلم في الخطبة ولا أعلم له علة، وأبو يعلى في المسند ١١/ ٢٧٠ برقم ٦٣٨٤. الحكم على الحديث:صحيح.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه واللفظ له في باب لا يسب الرجل والديه ٨/ ٣ برقم ٥٩٧٣، ومسلم في صحيحه في باب بيان الكبائر برقم ٩٠، وأبو داود في السنن في باب بر الوالدين برقم ٥١٤١وسكت عنه، والترمذي في السنة في باب ما جاء في عقوق الوالدين برقم ١٩٠٢، وقال : حديث صحيح، وأحمد في المسند ١١/ ٨٣. الحكم على الحديث:صحيح.

(٣) ابن قيم الجوزية، أعلام الموقعين ٣/ ١٣.

[المبحث التاسع] سؤال أهل العلم في الفتن:

في الأزمات يكثر السؤال والقيل والقال، كما حصل عندما بدأت أزمة حصار قطر التي حدثت في شهر رمضان عام ١٤٣٨هـ الموافق لشهر يونيه (حزيران) الخامس منه عام ٢٠١٧م، وكثر فيها القيل والقال والتساؤل عن هذا وذاك،- حصل الصلح بعد مرور أكثر من ثلاث سنوات على الحصار وتم في الخامس من يناير(كانون الثاني) عام ٢٠٢١م- ففي مثل هذا الحدث ينبغي أن يستمع الناس إلى العالِم المطَّلع ليوضح الأمور، ويكشف الحقائق.

ونستفيد من هذا أنَّ الخطاباتِ والمعلومات المتداولةَ يَنبغي أن تُفهم على ثلاثة أوجه:

الأول: خطاب أو معلومة يُفهم مرادها وقت قرعِها السمعَ.

الثاني: خطاب أو معلومة لا يُفهم مرادها إلا بعد التفكر والتدبر، وهو كقوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الحشر: ٢١].

والثالث: خطاب أو معلومة لا يُفهم مرادها إلا بسؤال النبيِّ ـ ﷺ ـ عنها، أو من له علم في ذلك[1]، لقوله تعالى: ﴿فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا﴾ [الفرقان: ٥٩]، وقوله سبحانه وتعالى: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣]، فأمَر اللَّهُ سبحانه من لا علم له أن يسأل من هو أعلمُ منه.

ويمكن القول: إن هذه الوجوهَ الثلاثة للخطابات والمعلومات المتداولة وجوهٌ عامة تشمل كلَّ خطاب ديني أو دنيوي، والآية الكريمة ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ﴾ خصَّصت السؤال لأهل الذكر والعلم والاختصاص في كل مجال، ويُفهم منها أيضًا النهي عن سؤال الجاهل وعديم المعرفة والعلم.

وكان رسول اللَّه ـ ﷺ ـ يحث الصحابة على السؤال فقال: «مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَسْأَلَ

(١) الماتُريدي، محمد بن محمد، تفسير الماتُريدي، تأويلات أهل السنة، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ٢٠٠٥م، ج٢/ ٢٥٦، سورة البقرة بتصرف.

عَنِ شَيْءٍ فَلْيَسْأَلْ عَنْهُ»[1]؛ لأن العلم سؤال وجواب، ولذا قيل: حُسْنُ السُّؤَالِ نِصْفُ الْعِلْمِ[2]. وقد تكرر سؤال الصحابة رجالًا ونساءً رضوان اللَّه عليهم عن الفتن، يقول حذيفة ــ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ــ: كان الناس يسألون رسول اللَّه ــ ﷺ ــ عن الخير، وكنتُ أسأله عن الشر مخافة أن يدركني[3]، فأجابه رسول اللَّه ــ ﷺ ــ بقوله: «يا حذيفة، عليك بكتاب اللَّه فتعلَّمْه[4] واتَّبِع ما فيه خيرًا لك»[5].

ثم بعد وفاة رسول اللَّه ــ ﷺ ــ كان الصحابة ــ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ــ يسألُ بعضُهم بعضًا عما يعرفونه عن الفتن وغيرها، فهذا أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ــ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ــ يسأل أصحابه: أيُّكم سمع النبي ــ ﷺ ــ يذكر الفتنَ التي تموج موجَ البحر؟[6]، ودخل فَرْقَدٌ السَّبَخي على مسلم بن أبي بَكْرةَ وهو في أرضه فقال له: هل سمعتَ أباك

(١) أخرجه البخاري في صحيحه واللفظ له في باب ما يُكره من كثرة السؤال وتكلف ما لا يعنيه، ومسلم في صحيحه باب: توقيره ــ ﷺ ــ برقم ٢٣٥٩، وأحمد في المسند ٢٠/ ٩٧، وأبو يعلى في المسند ج٦/ ٢٨٦ برقم ٣٦٠١. الحكم على الحديث: صحيح.

(٢) ابن حجر، فتح الباري ١/ ١٤٢ باب من سئل علماً.

(٣) الحديث صحيح، سبق تخريجه ص ٤.

(٤) عليك بكتاب اللَّه فتعلّمه: أي في أيام ذلك الشر خُذ بالكتاب تهتدِ.(السندي، حاشية سنن الإمام أحمد بن حنبل، ج١٣/ ٤١٨).

(٥) أخرجه ابن حبان في صحيحه واللفظ له ج١/ ٣٢٣ برقم ١١٧، وصححه الألباني، أبو عبدالرحمن ناصر الدين في التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان، وتمييز سقيمه من صحيحه وشاذه من محفوظه، السعودية، دار باوزير للنشر، ط١، ٢٠٠٣، ج١/ ٢٢٠ برقم ١١٧، واخرجه البيهقي في شعب الإيمان ٣/ ٣٣٨ برقم ١٧٩١، وأخرجه أبو داود في السنن باب ذكر الفتن برقم ٤٢٤٦ وسكت عنه، وأخرجه النسائي في الكبرى ٧/ ٢٦٤ برقم ٧٩٧٨، وأخرجه أحمد في المسند ٣٨/ ٣١٦، وأخرجه ابن أبي شيبة في المصنف ٧/ ٤٤٧ برقم ٣٧١١٤. الحكم على الحديث: الحديث برواية عبداللَّه بن الصامت عن حذيفة بن اليمان ــ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ــ رجاله ثقات.

(٦) أخرجه مسلم في صحيحه واللفظ له في باب بيان أن الإسلام بدأ غريباً برقم ١٤٤، وأحمد في المسند ٣٨/ ٣١٤، والحميدي، في المسند ١/ ٤١١ برقم ٤٥٢، والبزار، في البحر الزخار، ج٧/ ٢٦٣ برقم ٢٨٤٤. الحكم على الحديث: صحيح.

يحدِّث في الفتن حديثًا؟ قال: نعم[١]، وقيل لابن عمر ـــ رَضِيَ اللَّهَ عَنْهُمَا ـــ: يا أبا عبدالرحمن، حدثنا عن القتال في الفتنة[٢].

فيتبيَّن بهذه الأخبار وسواها أنّ من آثار الفتن أن يتحدث فيها من لا عِلم عنده بالشريعة، لكن له تأثير على السامعين، فما يفعله يخالف قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ [الإسراء: ٣٦].

قال ابن كثير: أمر اللَّه بطاعة العلماء والأمراء، فقال جل شأنه: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ [النساء: ٥٩] ، أي: أطيعوا أولي الأمر فيما أمروكم به من طاعة اللَّه، لا في معصية اللَّه، فإنه لا طاعة لمخلوق في معصية اللَّه[٣]، لقوله ـــ ﷺ ـــ: «لا طاعة في معصية اللَّه، إنما الطاعة في المعروف»[٤].

إن العلم فضل اللَّه، ويحرُم على العالم أن يبخل بفضل اللَّه على مستحقيه، قال ـ ﷺ ـ: «مَنْ سُئِلَ عَنْ عِلْمٍ فَكَتَمَهُ أُلجِمَ يومَ القيامة بلِجامٍ[٥] مِنْ نَّارٍ»[٦] لكن لو كتم

(١) أخرجه مسلم في صحيحه واللفظ له، في باب نزول الفتن برقم ٢٨٨٧، والبزار في المسند ٩/ ١٢٧ برقم ٣٦٧٧. الحكم على الحديث: صحيح.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه واللفظ له في باب قول النبي ـ ﷺ ـ: «الفتنة من قبل المشرق»، والنسائي في الكبرى ١٠/ ١٠٩ برقم ١١١٤٣، وأحمد في المسند ٩/ ٥٠٠، والبيهقي في السنن الكبرى ٨/ ٣٣٣. الحكم على الحديث: صحيح.

(٣) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج٢/ ٣٠٤، سورة النحل.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه واللفظ له في باب وجوب طاعة الأمراء برقم ١٨٤٠، وأخرجه البخاري في صحيحه باب إجازة خبر الواحد، وأخرجه أبو داود في السنن باب في الطاعة برقم ٢٦٢٥وسكت عنه، والنسائي في السنن ٧/ ١٥٩ برقم ٤٢٠٥، وأخرجه أحمد في المسند ٢/ ١٢٨.الحكم على الحديث: صحيح.

(٥) بلجام من نار: قال الخطابي: المُمسك عن الكلام مُمثَّل بمن ألجم نفسه، والمعنى: أن الملجم لسانه عن قول الحق والإخبار عن العلم والإظهار له يُعاقب في الآخرة بلجام من نار، هذا في أمر الدين فكتمان شيء من أمر الدين محرّم بالإجماع بنصوص الكتاب والسنّة. (الخطابي، معالم السنة، حلب، المطبعة العلمية، ط١، ١٩٣٢م، ج٤/ ١٨٥)، ورضا، محمد علي رشيد، تفسير المنار، ج٦/ ٣٩٠.)

(٦) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير واللفظ له، ج١٣/ ٢٠، وفي الأوسط ٥/ ١٨٦، قال الهيثمي، في =

العالِم العلم عمّن لا يستحقه كثير من الجهّال الذين لا ينتفعون بالعلم، ولا يلتفتون إلى العمل به، أو يُخاف عليهم من الفتنة بما يتعلمه، فلا إثم عليه حينئذٍ في كتمه[1]، بل هو واجب حتى لا يجعل هذا العلم ذريعةً إلى فساد[2]. ويدخل في كتمان العلم: منعُ الكتب عمّن يطلبها للانتفاع بها لا سيما مع الندرة لنُسَخها[3]، هذا إذا أمن على كتبه من التلف والضياع عند من أخذها، فمن استطاع أن ينفع أخاه في الدين وبالمباح من الأمور فليفعل، لحديث: «مَنْ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يَنْفَعَ أَخَاهُ فَلْيَفْعَلْ»[4]، وهذا يشمل كل ما ينتفع

= مجمع الزوائد: ١/ ١٦٣: رواه الطبراني في الكبير والأوسط عن ابن عمرو ورجاله موثقون. وأخرجه الحاكم في المستدرك ١/ ١٨٢، وصححه ووافقه الذهبي وقال: وجدنا الحديث بإسناد صحيح لا غبار عليه عن عبداللَّه بن عمرو، وابن حبان في صحيحه ١/ ٢٩٨ برقم ٩٦، والبيهقي في المدخل إلى السنن الكبرى، ج١/ ٣٤٧ برقم ٥٧٥، وابن المبارك في الزهد والرقائق، ج٢/ ١١٩، والقرطبي في جامع بيان العلم وفضله، ج١/ ٩ برقم ٧. الحكم على الحديث:الحديث برواية عبداللَّه بن عمرو بن العاص إسناده حسن لحال: عبداللَّه بن عياش بن عباس القِتْباني، قال ابن حجر: صدوق يغلط، وقال أبو حاتم: ليس بالمتين، صدوق يكتب حديثه، وهو قريب من ابن لهيعة، وردَّه الذهبي فقال: هو إمام صدوق، حديثه في عداد الحسن، وقول أبي حاتم: قريب من ابن لهيعة، تصليح لحال ابن لهيعة، إذ يقارَب في الوزن بشيخ خرَّج له مسلم، ولا ريب أنه أوثق من ابن لهيعة. وذكره ابن خلفون في الثقات وقال: أرجو أنه لا بأس به، وذكره ابن حبان في الثقات، وضعَّفه أبو داود والنسائي. (المزي، تهذيب الكمال ١٥/ ٤١١، الذهبي، سير أعلام النبلاء ٧/ ٣٣، ابن حجر، تهذيب التهذيب ٥/ ٣٥١، وتقريب التهذيب ١/ ٣١٧)، وقال العجلوني، في كشف الخفاء، ج٢/ ٣٠٣: إسناد عبداللَّه بن عمرو إسناد صحيح ليس فيه مجراح، وقال ابن قيم الجوزية، في تهذيب السنن ج٥/ ١٧٨٤: أجود الأسانيد لهذا الحديث حديث عبداللَّه بن عمرو وهو إسناد صحيح، الرياض، مكتبة المعارف، ط١، ٢٠٠٧م.

(١) السفيري، المجالس الوعظية ٢/ ١٤٨.

(٢) الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد، في تفسير الراغب، القاهرة، جامعة طنطا، كلية الآداب، ط١، ١٩٩٩م، ج٢/ ٦٣٣.

(٣) الكتاني، أبو عبداللَّه محمد بن أبي الفيض، في نظم المتناثر من الحديث المتواتر، مصر، دار الكتب السلفية، ط٢، بدون تاريخ، ج١/ ٣٨.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه واللفظ له باب استحباب الرقية برقم ٢١٩٩، والنسائي في الكبرى ٧/ ٧٤ برقم ٧٤٩٨، وأحمد في المسند ٢٢/ ٤٣٩، وأبو يعلى في المسند ٣/ ٤٢٤، والحاكم في المستدرك ج٤/ ٤٦٠، وابن حبان في صحيحه ٢/ ٢٩٠ برقم ٥٣٢. الحكم على الحديث:صحيح.

به المسلم من علم أو مال أو جاه أو نحوها[١].

[المبحث العاشر] الارتباط بالقرآن الكريم للنجاة من الفتن:

يُصاب الناس بالقلق والخوف من المستقبل ،وبالفزع من المجهول والتوجس من الأحداث، فلا يملأ أرواحَهم سكينةً وطمأنينةً إلا كتابُ اللَّه سبحانه، قال اللَّه تعالى: ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [هود: ١٢٣]، وقد أمرنا رسول اللَّه ــ ﷺ ــ بالتمسك بكتاب اللَّه فقال: «من اتبعه كان على الهدى، ومن تركه كان على ضلالة»[٢].وحذّر رسول اللَّه ــ ﷺ ــ من هجر القرآن فقال: في الرؤيا التي رآها :"أما الذي يُثلغ رأسُه بالحجر ،فإنه يأخذ القرآن فيرفضه"(٤٣٢) أي: يترك حفظه والعمل به، فوقعت العقوبة في موضع المعصية وهو الرأس »[٣]، كما أمر رسول اللَّه ــ ﷺ ــ حذيفة ــ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ــ بتعلّم كتاب اللَّه واتباع ما فيه[٤]. وكان الصحابة ـ رضي اللَّه عنهم ـ يتواصون بهذا الأمر، فلَمَّا وَقَعَ النَّاسُ في أَمْرِ عُثْمَانَ: أَبَا الْمُنْذِرِ مَا الْمَخْرَجُ مِنْ هَذَا الأَمْرِ؟ قَالَ: كِتَابُ اللَّه مَا اسْتَبَانَ فَاعْمَلْ بِهِ ومَا اشْتَبَهَ فَكِلْهُ إِلى عَالِمِهِ"[٥].

إن النجاة من الفتن تكون بالتمسك بالقرآن، كما بشرنا بذلك رسول اللَّه ــ ﷺ ــ

(١) المناوي، فيض القدير، ٦/ ٥٤.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه واللفظ له باب فضائل علي بن أبي طالب ــ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ــ برقم ٢٤٠٨، والنسائي في الكبرى ٧/ ٣٢٠ برقم ٨١١٩، وابن أبي شيبة في المصنف ٦/ ١٣٣، والدارمي في السنن باب ما أُعطي للنبي ــ ﷺ ــ من الفضل برقم ٣٣٥٩، وأحمد في المسند ٣٢/ ١١. الحكم على الحديث:صحيح.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه واللفظ له باب عقد الشيطان على قافية الرأس برقم ١١٤٣، والنسائي في السنن الكبرى، كتاب الحلم، ج٧/ ١٢٠، وأحمد في المسند ٣٣/ ٢٨٧ .الحكم على الحديث:صحيح.

(٣) العيني، عمدة القاري، ج٧/ ١٩٥

(٤) الحديث إسناده صحيح، رجاله ثقات، سبق تخريجه في ص ٧٧.

(٥) الحديث حسن، سبق تخريجه في ص ٦.

فقال: «أبشِروا، أبشِروا، أليس تشهَدونَ أنْ لا إلهَ إلَّا اللَّه، وأنِّي رسولُ اللَّه؟» قالوا: نَعم، قال: «فإنَّ هذا القرآنَ سببٌ ـ أي: حبل - طرَفُه بيدِ اللَّه[1]، وطرَفُه بأيديكم، فتمسَّكوا به[2]، فإنَّكم لن تضِلُّوا ولن تهلِكوا بعدَه أبدًا»[3].

هذه بشارة من النبيِّ ـ ﷺ ـ لمن حفظ كتاب اللَّه وعمل به، مخلصًا للَّه، متبعًا لهُدى كتابه وسنّة رسوله ـ ﷺ ـ أنه لن يضل أبدًا حتى يلقى اللَّه[4]، قال ابن عباس ـ رَضِيَ اللَّهَ عَنْهُمَا ـ عنهما «لَقَدْ ضَمِنَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ لِمَنِ اتَّبَعَ الْقُرْآنَ أَنْ لَّا يَضِلَّ وَلَا يَشْقَى فِي الْآخِرَةِ، ثُمَّ تَلَا ابْنُ عَبَّاسٍ ـ رَضِيَ اللَّهَ عَنْهُمَا ـ قَوْلَهُ تعالى: ﴿فَمَنِ اتَّبَعَ

(١) سبب طرفه بيد اللَّه: السبب هو الحبل الذي يُتوصل به إلى الماء وغيره،، ثم استُعير لكل ما يُتوصل به إلى شيء، والمراد به هنا: القرآن الذي شُبِّه بالحبل، فهو يُتوصل به إلى المقصود، وهو قابل للتعلّي وهو الوسيلة القوية إلى رضا اللَّه ورحمته، والسعادة بقربه، ومنه قوله تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران: ١٠٣]، (القاري، في مرقاة المفاتيح ١/ ١١ و٤/ ١٤٧٣).

(٢) فتمسكوا به: لأنه يُتوصل بالقرآن إلى الخروج من الفتن والبُعد عن الضلال والكفر. (المناوي، فيض القدير، ج٧/ ١٢).

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف واللفظ له ج٦/ ١٢٥، وأخرجه ابن حبان في صحيحه، ج١/ ٣٢٩ برقم ١٢٢، وصححّه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة برقم ٧١٣، وأخرجه الطبراني في المعجم الكبير ٢٢/ ٨٨، قال الهيثمي في مجمع الزوائد ١/ ١٦٩: رواه الطبراني في الكبير ورجاله رجال الصحيح، وقال المنذري، في الترغيب والترهيب من الحديث الشريف: رواه الطبراني في الكبير بإسناد جيد، ج١/ ٤١ برقم ٦٢، واخرجه حميد أبو محمد عبدالحميد، في المنتخب من المسند عبد بن حميد، ج١/ ١٧٥ برقم ٤٨٣، وأخرجه البيهقي في شعب الإيمان ٣/ ٣٣٨. الحكم على الحديث:الحديث، برواية أبي شريح الخزاعي، إسناده حسن لحال: أبي خالد الأحمر، سليمان بن حيان الأزدي، قال ابن حجر: صدوق يخطئ، وقال ابن معين. ثقة وليس بثبت، وقال مرةً: صدوق وليس بحجة، وليس به بأس، وقال أبو حاتم: صدوق، وقال النسائي: ليس به بأس، وقال الذهبي: إمام، حافظ صدوق، وقال البزار: لم يكن حافظاً وقد روى عن الأعمش أحاديث لم يتابع عليها، وقال ابن عدي: له أحاديث صالحة وإنما أتي من سوء حفظه فيغلط ويخطئ، وقال العجلي: ثقة ثبت صاحب سنّة، وذكره ابن حبان في الثقات. (المزي، تهذيب الكمال ١١/ ٣٩٤، الذهبي، سير أعلام النبلاء ٧/ ٤٨٥ والكاشف ١/ ٤٥٨، ابن حجر، تهذيب التهذيب ٤/ ١٨١ وتقريب التهذيب ١/ ٢٥٠).

(٤) المناوي، فيض القدير، ج٧/ ١٢.

هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى﴾[١] [طه: ١٢٣]».

قال ابن الجوزي: تأملتُ هذه الآية، في قوله تعالى: ﴿هُدَايَ﴾ أي: رسول اللَّه ـ ﷺ ـ وكتابي، فوجدته على الحقيقة: أن كل من اتّبع القرآن والسنّة وعمل بما فيهما فقد سلم من الضلال بلا شك، وارتفع في حقه شقاء الآخرة بلا شك إذا مات على ذلك، وكذلك شقاء الدنيا فلا يشقى أصلاً[٢]، فالاعتصام بالكتاب والسنّة من أعظم ما أنعم اللَّه به على الصحابة والتابعين لهم بإحسان[٣].

بعض الآيات والسور التي تعصم من الفتن:

١ - سورة الكهف فيها المخرج من فتنة الدجال، فكأنها كهف لمن اعتصم بها من الفتن، يقول رسول اللَّه ـ ﷺ ـ: «مَنْ حَفِظَ عَشْرِ آيَاتٍ مِنْ أَوَّلِ سُورَةِ الْكَهْفِ عُصِمَ[٤] مِنَ الدَّجَّالِ»[٥]، وفي رواية أخرى: «مَنْ حَفِظَ عَشْرَ آيَاتٍ مَنْ آخِرِ الْكَهْفِ»[٦].

وسبب فضيلة سورة الكهف في العصمة من فتنة الدجال: ما في أولها من العجائب والآيات والمعاني المناسبة لحال الدجال، وكذا في آخرها، فمن تدبرها لم يُفتن

(١) تخريج الحديث :أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف ٧/ ١٣٦، والرازي، أبو الفضل عبدالرحمن بن أحمد، في فضائل القرآن وتلاوته، بيروت، دار البشائر الإسلامية، ط١، ١٩٩٤م، ج١/ ١١٩. الحكم على الحديث:إسناده حسن لحال أبي خالد الأحمر. (انظر ترجمته قريبا في هامش ص٨٠).

(٢) ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج، صيد الخاطر، دمشق، دار القلم، ط١، ٢٠٠٤م، ج١/ ١٤٣.

(٣) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، السعودية، مجمع الملك فهد، ط٣/ ١٤٢٦، ٢٠٠٥م، ج١٣/ ٢٨.

(٤) عُصم: أي مُنع وحفظ، وتعني أن يعصم اللَّه ويحفظ عبده من سوءٍ يقع فيه. (القزويني، الرازي، أحمد بن فارس، مقاييس اللغة، تحقيق عبدالسلام محمد، بيروت، دار الفكر، ط سنة ١٩٧٩م، ج٤/ ٣٣١).

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه واللفظ له في باب فضل سورة الكهف برقم ٨٠٩، والنسائي في السنن الكبرى ٩/ ٣٤٧، وأبو داود في السنن باب خروج الدجال برقم ٤٣٢٣ قَالَ أَبُو دَاوُدَ: وَكَذَا قَالَ هِشَامٌ الدَّسْتُوَائِيُّ، عَنْ قَتَادَةَ، إِلَّا أَنَّهُ قَالَ: «مَنْ حَفِظَ مِنْ خَوَاتِيمِ سُورَةِ الْكَهْفِ»، وَقَالَ شُعْبَةُ: عَنْ قَتَادَةَ «مِنْ آخِرِ الْكَهْفِ، وأحمد في المسند ٤٥/ ٥٢٦. الحكم على الحديث:صحيح.

(٦) أخرجه مسلم في صحيحه واللفظ له في باب فضل سورة الكهف برقم ٨٠٩، والنسائي في السنن الكبرى ٩/ ٣٤٨، وأحمد في المسند ٤٥/ ٥٠٨، وابن حبان في صحيحه ج٣/ ٦٦ برقم ٧٨٦. الحكم على الحديث:صحيح.

بالدجال، قاله النووي[1]. ويرجع ذلك كما يرى المناوي: لما في قصة الكهف من العجائب، فمن حفظها وعلمها لم يستغرب أمر الدجال فلا يُفتن، أو لأن هذه خصوصيةٌ أودعت في السورة، ومن ثم ورد في رواية:(كلها)، وعليه يجتمع رواية من أول السورة، ومن آخر السورة، ويكون ذكر العشر آيات استدراجاً للمسلم لحفظ كل السورة[2].

أما الحكمة من تخصيص العصمة من الدجال بحفظ عشْر آيات من أول سورة الكهف، فيوضحها ابن الجوزي فيقول: الذي يظهر لنا فيها من الحكمة أن قولَه تعالى في أولها: ﴿لِيُنْذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِنْ لَدُنْهُ﴾ [الكهف: ٢] يهوِّن بأس الدجال، وقولُه تعالى في الآية نفسها: ﴿وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا * مَاكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا﴾ [الكهف: ٢- ٣] يهوِّن الصبر على فتن الدجال، وقولُه تعالى: ﴿وَيُنْذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا﴾ [الكهف: ٤]، وقولُه تعالى: ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ﴾ [الكهف: ٥] ذمَّ من يدّعي له ولدًا، ولا مثلَ له، فكيف يدَّعي الإلهيةَ من هو مثلٌ للخلق؟ والآياتُ العشْر تضمنت ما يصرف فتنة الدجال، حتى نهاية الآية العاشرة في قوله تعالى: ﴿إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾ [الكهف: ١٠]، فهؤلاءِ قوم ابتُلُوا فصبروا، وسألوا اللَّهَ صلاحَ أمورهم فأُصلحت، وهذا تعليم لكل مَدْعُوٍّ إلى الشرك، أمّا من روى العشْر آيات من آخر سورة الكهف، وهي التي تبدأ بقوله تعالى: ﴿وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرْضًا﴾ [الكهف: ١٠٠] إلى نهاية السورة: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠]، فهذه الآيات تتضمن ما يدل على كذب الدجال والكشف عن فتنته وتهوِّن ما يُظهره من ناره[3].

(١) النووي، شرح النووي على صحيح مسلم ٦/ ٩٢-٩٣.

(٢) المناوي، فيض القدير ٦/ ١١٩.

(٣) ابن الجوزي، كشف المشكل من حديث الصحيحين، ج٢/ ١٦٦.

ورجَّح ابن القيِّم أن الآياتِ المطلوبَ حفظُها للنجاة من فتنة الدجال هي العشْرُ الأوائل من سورة الكهف، فقال: قال بعض الرواة: (من أول سورة الكهف)، وقال بعضهم: (من آخرها) وكلاهما صحيح، لكن الترجيح لمن قال: من أول سورة الكهف، والدليل أنها الأرجح: ما أخرجه مسلمٌ من حديث النَّوَّاس بن سَمعانَ في قصَّة الدجال، فقال: قال رسول اللَّه ـ ﷺ ـ: « فَمَنْ أَدْرَكَهُ مِنْكُمْ فَلْيَقْرَأْ عَلَيْهِ فَوَاتِحَ سُورَةِ الْكَهْفِ – أي: أَوَّلَها-»[(١)]، ولم يُختلفْ في ذلك، وهذا يدل على أنّ من روى العشْرَ آيات من أول السورة حفظ الحديث، ومن روى من آخِرِ السورة لم يحفظ الحديث[(٢)]، فمن حفظ هذه الآياتِ من سورة الكهف ثم أدرك الدجال لم يُسلَّط عليه، فالآيات تهوِّن الصبر على فتن الدجال بما ظهر للناس من جنته وناره وتنعيمه وتعذيبه[(٣)]، ويجوز أن يكون في تخصيص العشْر آياتٍ الأُوَل من سورة الكهف ما فيها من ذكر التوحيد وخلاص أصحاب الكهف من شر الكفرة المتجبِّرة[(٤)].

٢-ومن الآيات التي تُنجي بتلاوتها وحفظها بإذن اللَّه من صنوف الشرور والفتن أيضًا: آية الكرسي، وهي كما قال رسول اللَّه ـ ﷺ ـ: أعظمُ آيةٍ في القرآن الكريم، فقد صحَّ أنه ـ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ـ قال لأُبيِّ بن كعب ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ: «« يَا أَبَا الْمُنْذِرِ أَتَدْرِى أَىُّ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ مَعَكَ أَعْظَمُ [(٥)]». قَالَ قُلْتُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ « يَا أَبَا

(١) أخرجه مسلم في صحيحه واللفظ له باب ذكر الدجال برقم ٢٩٣٧، وابن ماجه في السنن باب فتنة الدجال برقم ٤٠٧٥، وأبو داود في السنن باب خروج الدجال برقم ٤٣٢١وسكت عنه، والترمذي في السنن باب ما جاء في فتنة الدجال برقم ٢٢٤٠ وقال: حديث حسن صحيح غريب، والنسائي في السنن الكبرى باب الكهف ٧/ ٢٦١ برقم ٧٩٧٠. الحكم على الحديث: صحيح.

(٢) ابن القيم، محمد بن أبي بكر، جلاء الأفهام في فضل الصلاة على محمد خير الأنام، الكويت، دار العروبة، ط٢، ١٩٨٧، ج١/ ٣٢٥.

(٣) القرطبي، المُفهم شرح صحيح مسلم، ج٣/ ١٣٧٥.

(٤) المناوي، فيض القدير ٦/ ١١٩.

(٥) أيّ آية في كتاب اللَّه معك أعظم: أي الثواب المتعلق بها أكثر، وهذه العبارة تُجيز القول: بأن هذه الآية أو السورة أعظم أو أفضل. (النووي، بشرح صحيح مسلم ٦/ ٩٤).

الْمُنْذِرِ أَتَدْرِى أَىُّ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ مَعَكَ أَعْظَمُ ». قَالَ قُلْتُ :﴿اللَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَىُّ الْقَيُّومُ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، قَالَ فَضَرَبَ فِى صَدْرِى وَقَالَ « وَاللَّهِ لِيَهْنِكَ الْعِلْمُ أَبَا الْمُنْذِرِ »[١].

قال العلماء: إنما تميَّزت آية الكرسي بكونها أعظمَ لأنها جمعت أصول الأسماء والصفات، من: الإلهيَّة، والوَحدانيَّة، والحياة، والعلم، والمُلك، والقدرة، والإرادة، وهذه السبعة هي أهم أصول الأسماء والصفات[٢]، كما أن آية الكرسي تُبعد الشيطان عمّن قرأها، لما ثبت في الحديث الصحيح، أن أبا هريرة ــ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ــ قال: قَالَ وَكَّلَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِحِفْظِ زَكَاةِ رَمَضَانَ فَأَتَانِي آتٍ فَجَعَلَ يَحْثُو[٣] مِنْ الطَّعَامِ فَأَخَذْتُهُ فَقُلْتُ لَأَرْفَعَنَّكَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ــ ﷺ ــ فذكر الحديثَ إلى قول أبي هريرة ــ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ــ لهذا الرجل: هَذَا آخِرُ ثَلَاثِ مَرَّاتٍ أَنَّكَ تَزْعُمُ لَا تَعُودُ ثُمَّ تَعُودُ قَالَ دَعْنِي أُعَلِّمْكَ كَلِمَاتٍ يَنْفَعُكَ اللَّهُ بِهَا قُلْتُ مَا هُوَ؟ قَالَ إِذَا أَوَيْتَ إِلَى فِرَاشِكَ فَاقْرَأْ آيَةَ الْكُرْسِيِّ ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴾[البقرة: ٢٥٥] حتى تختم الآية، فإنك لن يزال عليك من اللَّه حافظ، ولا يقربنَّك شيطان حتى تصبح، فأخبر أبو هريرة ــ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ــ رسول اللَّه ــ ﷺ ــ بهذا الأمر، فقال ــ ﷺ ــ: «صَدَقَك وَهُوَ كَذُوبٌ، ذَاكَ شَيْطَانٌ»[٤].

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه واللفظ له باب فضل سورة الكهف برقم ٨١٠، وأبو داود في السنن باب ما جاء في آية الكرسي برقم ١٤٦٠ وسكت عنه، وأحمد في المسند ٣٥/ ٢٠٠، والحاكم في المستدرك ٣/ ٣٤٤، وصححه الحاكم والذهبي، والبيهقي في شعب الإيمان ٤/ ٥٢ الحكم على الحديث: صحيح.

(٢) النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج ٦/ ٩٤.

(٣) يحثو: الحثيّة ما يؤخذ باليدين جميعاً، والمراد أنه كان يغرف من التمر بيديه هَيلاً لا كيلاً. (ابن حجر، فتح الباري ٦/ ٢٤٢، القاري، مرقاة المفاتيح ٤/ ١٤٦٢).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه واللفظ له، باب: إذا وكَّل رجلًا فترك الوكيل شيئًا فأجازه الموكل فهو جائز وإن أقرضه إلى أجل مسمى جاز ٣/ ١٠١ برقم ٢٣١١، والنسائي في السنن الكبرى ٩/ ٣٥١، والبيهقي في شعب الإيمان ٤/ ٥٣، وابن خزيمة في صحيحه باب الرخصة في تأخير الإمام قسم صدقة الفطر برقم ٢٤٢٤ الحكم على الحديث: صحيح.

قال الحكيم الترمذي: إن اللَّه تعالى أنزل هذه الآية- آية الكرسي- وَجَعَلَ ثَوَابَهَا لِقَارِئِهَا عَاجِلًا وآجلاً، أَمَّا الْعَاجِلُ فَهِيَ تَحْرُسُ مَنْ قَرَأَهَا مِنَ الْآفَاتِ[١].

وأضاف القرطبي: تضمَّنت هذه الآيةُ التوحيد والصفات العُلى، وهي خمسون كلمة، وفي كل كلمة خمسون بركةً، ويتكرر فيها اسم اللَّه تعالى بين مُضمر وظاهر ثمانيَ عشْرةَ مرة[٢].

٣- ومن الآيات التي تُعين على النجاة من الفتن: سُورة الفاتحة.

ورابعًا: خواتيمُ سورة البقرة، وهما النوران اللذان لم يؤتَهما نبيٌّ قبل رسول اللَّه ـ ﷺ ـ كما قال الملَك لرسول اللَّه ـ ﷺ ـ: « أَبْشِرْ بِنُورَيْنِ[٣] أُوتِيتَهُمَا لَمْ يُؤْتَهُمَا نَبِيٌّ قَبْلَكَ فَاتِحَةُ الْكِتَابِ وَخَوَاتِيمُ سُورَةِ الْبَقَرَةِ لَنْ تَقْرَأَ بِحَرْفٍ مِنْهُمَا إِلاَّ أُعْطِيتَهُ»[٤].

النور الأول: سورة الفاتحة التي فيها أنفعُ دعاءٍ وأعظمُه: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ [الفاتحة: ٦- ٧]، فإذا هدى اللَّه تعالى المسلم إلى هذا الصراط أعانه على طاعته وتَرْك معصيته، فلم يُصبه شرٌّ لا في الدنيا ولا في الآخرة، ولأن الذنوب والخطايا من لوازم النفس، فالإنسان يحتاج إلى الهدى في كل لحظة، ولهذا أُمر المسلم بقراءة الفاتحة في كل

(١) الحكيم الترمذي، محمد بن علي: نوادر الأصول في أحاديث الرسول ـ ﷺ ـ بيروت، دار الجيل، ج٣/ ٢٦٥. (بدون تاريخ)

(٢) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، تفسير القرطبي، ج٣/ ٢٧٠.

(٣) بنورين: وهما الفاتحة وخواتيم سورة البقرة، إن اللَّه سبحانه يعلّم نبيه والمسلمين الدعاء بقوله سبحانه في الفاتحة: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: ٦] إلى آخر السورة، وبقوله سبحانه في سورة البقرة: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا﴾ [البقرة: ٢٨٦] إلى آخر السورة، ولهذا لا يضل المسلمون إلى يوم القيامة. (المظهري، محمد ثناء اللَّه، التفسير المظهري، باكستان، مكتبة الرشدية، ط سنة ١٤١٢هـ، ج١/ ٤٤٧ سورة البقرة).

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه واللفظ له باب فضل الفاتحة برقم ٨٠٦، والنسائي في السنن باب فضل فاتحة الكتاب ٢/ ١٣٨، وابن أبي شيبة في المصنف ج٦/ ٣١٣، وابن حبان في صحيحه، ج٣/ ٥٧ برقم ٧٧٨، والحاكم في المستدرك وصححه الحاكم والذهبي ج١/ ٧٤٥، وأبو يعلى، في المسند، ج٤/ ٣٧١ برقم ٢٤٨٨. الحكم على الحديث: صحيح.

صلاة لشدة الحاجة إليها، ولِيعلمَ أن اللَّه تعالى بفضله ورحمته جعل هذا الدعاءَ في السورة من أعظم الأسباب المقتضية للخير، المانعة من الشر[1].

والنور الثاني: خواتيم سورة البقرة التي تبدأ من قوله تعالى: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ﴾ [البقرة: ٢٨٥] إلى قوله تعالى: ﴿فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٨٦]، ومما يؤكد أن خواتيم سورة البقرة هاتان الآيتان، قوله ـ ﷺ ـ في حديث آخر: (مَنْ قَرَأَ بِالْآيَتَيْنِ مِنْ آخِرِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ فِي لَيْلَةٍ كَفَتَاهُ)[2].

ومعنى قول الملَك لرسول اللَّه ـ ﷺ ـ: «لَنْ تَقْرَأَ بِحَرْفٍ مِنْهُمَا إِلَّا أُعْطِيتُهُ» الخطاب للرسول ـ ﷺ ـ والمراد هو وأمته، إذ الأصل مشاركتهم له في كل ما أُنزل عليه، إلا ما اختُصَّ به، وتعني: أُعطيتَ ما تسأل من حوائجك الدنيوية والأخروية[3]؛ لأن هذه الخواتيمَ خواتيمَ سورة البقرة كافيةٌ لمن قرأها في ليلته، قال الشوكاني: قيل في معنى (كفَتاهُ): أي أغْنَتاه عن قيام تلك الليلة، أو كفَتاهُ: شرَّ الشياطين، أو شرَّ الآفات كلها، أو كفَتاهُ: بما حصل له من الثواب عن ثواب غيرها، ولا مانع من إرادة هذه الأمور جميعها، ويؤيِّد ذلك ما تقرَّر في علم المعاني والبيان من أن حذف المتعلِّق مُشعر بالتعميم،- أي: لم يحدد رسول اللَّه ـ ﷺ ـ ماذا كفتاه-، فكأنه قال: كفَتاهُ من كل شر، أو من كل ما يُخاف، وفضلُ اللَّه واسع[4].

---

(١) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ج٨/ ٢١٦.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه واللفظ له، باب فضل سورة البقرة ٦/ ١٨٨ برقم ٥٠٠٩، ومسلم في صحيحه في باب فضل الفاتحة برقم ٨٠٧، وابن ماجه في السنن باب: ما جاء فيما يُرجى أن يكفي من قيام الليل برقم ١٣٦٩، وأبو داود في السنن باب تحزيب القرآن برقم ١٣٩٧ وسكت عنه، والترمذي في السنن باب ما جاء في آخر سورة البقرة برقم ٢٨٨١ وقال: حديث حسن صحيح، والنسائي في الكبرى ج٧/ ٢٥٩ برقم ٧٩٦٤، وأحمد في المسند ٢٨/ ٣٢٣. الحكم على الحديث: صحيح.

(٣) القاري، مرقاة المفاتيح، ج٤/ ١٤٦٤-١٤٦٥.

(٤) الشوكاني، محمد بن علي، تحفة الذاكرين بعدة الحصن الحصين من كلام سيد المرسلين، بيروت، دار القلم، ط١، ١٩٨٤م، ج١/ ١٢٣.

فإذا كان من قرأ الآيتين من آخر سورة البقرة كفَتاه، ومن قرأ خواتيمَها أُعطي من كل شيءٍ سأله، ومن قرأ آيةَ الكرسي كان عليه من اللَّه حافظ ولا يقربه شيطان حتى يُصبح، فما ظنُّك بمن قرأ سورة البقرة كلَّها؟ فهي كفاية من الشيطان الذي:«يَنْفُرُ مِنَ الْبَيْتِ الَّذِي تُقْرَأُ فِيهِ سُورَةُ الْبَقَرَةِ»(١)، لأن:«أَخْذَهَا بَرَكَةٌ،وَتَرْكُهَا حَسْرَةٌ، وَلَا تَسْتَطِيعُهَا الْبَطَلَةُ»، أي: السحرة(٢). وخص رسول اللَّه ﷺ سورة البقرة بالذكر لطولها، وكثرة أسماء اللَّه تعالى والأحكام فيها، وقد قيل: فيها ألفُ أمر، وألفُ نهي، وألف حُكم، وألف خبر(٣).

وقد اشتملت خواتيم سورة البقرة على الدعاء من الصحابة الذين استجاب اللَّه لهم، فيما يرويه ابن عباس ـــ رَضِيَ اللَّهَ عَنْهُمَا ـــ فيقول: لما نزلت هذه الآية: ﴿وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٨٤]، قال: دخل قلوبَهم منها شيءٌ(٤) لم يدخل قلوبَهم من شيء، فقال النبي ـ ﷺ ـ: «قولوا: سمعنا وأطعنا وسلَّمنا»، قال: فألقى اللَّهُ الإيمان في قلوبهم، فأنزل اللَّه تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ [البقرة: ٢٨٦]، قال عزَّ من قال: قد فعلت، ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا﴾ [البقرة: ٢٨٦]، قال عزَّ من قال: قد فعلت، ﴿وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا﴾ [البقرة: ٢٨٦]، قال عزَّ مَنْ قَالَ: قَدْ فَعَلْتُ(٥).

(١) أخرجه مسلم في صحيحه واللفظ له باب استحباب صلاة النافلة برقم ٧٨٠، والنسائي في الكبرى باب سورة البقرة ٧/ ٢٥٧، وأحمد في المسند ١٣/ ٢٢٤. الحكم على الحديث:صحيح.

(٢) أخرجه مسلم واللفظ له في باب فضل قراءة القرآن برقم ٨٠٤، وأحمد في المسند ٣٦/ ٤٦٢، والدارمي، في السنن، باب فضل سورة البقرة ج٤/ ٢١٣٥ برقم ٣٤٣٤. الحكم على الحديث:صحيح.

(٣) القاري، مرقاة المفاتيح ج٤/ ١٤٦٠.

(٤) دخل قلوبهم منها شيء، وفي رواية أخرى لمسلم في صحيحه برقم ١٢٥: أنه لما نزلت هذه الآية برك الصحابة ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ـ على الركب عند رسول اللَّه ـ ﷺ ـ وقالوا: أُنزلت عليك هذه الآية ولا نطيقها، فأمرهم النبي ـ ﷺ ـ بالسمع والطاعة.

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه واللفظ له باب بيان قوله تعالى: ﴿وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ﴾ [البقرة: ٢٨٤] برقم ١٢٦، والترمذي في السنن باب من سورة البقرة برقم ٢٩٩٢، وقال: حديث حسن، والنسائي في =

قال ابن تيمية: دلّت هذه الآيات على أن اللَّه تعالى لا يكلف نفساً ما تعجِز عنه، كما دلّت أيضاً على أنه لا يؤاخذ المخطئ والناسي، فإن الداعي بهذا الدعاء، الذي ورد في الآيتين، له من نصيب يخصُّه كسائر الأدعية، ومما يبيِّن ذلك أن الصحابة ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ـ إنما استُجيب لهم هذا الدعاءُ لمّا التزموا الطاعة للَّه مطلقاً بقولهم: (سمعنا وأطعنا) ثم أُنزل هذا الدعاء فدعَوا به فاستُجيب لهم[1].

وفي مكانة سورة البقرة يوم القيامة يقول رسول اللَّه ـ ﷺ ـ: « « يُؤْتَى بِالْقُرْآنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَهْلِهِ الَّذِينَ كَانُوا يَعْمَلُونَ بِهِ تَقْدُمُهُ سُورَةُ الْبَقَرَةِ وَآلُ عِمْرَانَ » [2].

خامسًا :ومن السور الكريمات ، التي تنجي تلاوتُها ـ بإذن اللَّه ـ من صنوف الشرور والفتن: سورة الإخلاص والمعوِّذتان إذا قُرئت ثلاثًا كما ثبت في الخبر، عن عبد اللَّه بن خُبَيب ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ أن النبيِّ ـ ﷺ ـ قال له: «قُلْ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ والمُعَوِّذَتَيْنِ حينَ تُمْسِي وَحِينَ تُصْبِحُ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، تَكْفِيكَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ»[3].

= الكبرى ج١٠/ ٤٠، وأحمد في المسند ٣/ ٤٩٧، والحاكم في المستدرك ٢/ ٣١٤، وصححه الحاكم والذهبي. الحكم على الحديث:صحيح.

(١) ابن تيمية، مجموع الفتاوى ج١٩/ ٢١٦ وج١٤/ ١٥٧.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه واللفظ له باب فضل قراءة القرآن برقم ٨٠٥، والترمذي في السنن باب ما جاء في سورة آل عمران برقم ٢٨٨٣ وقال: حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ مِنْ هَذَا الوَجْهِ. وأحمد في المسند ٢٩/ ١٨٥، والبيهقي في شعب الإيمان، ج٤/ ٤٥ برقم ٢١٥٧، والطبراني، في مسند الشاميين، ج٢/ ٣٢٠ برقم ١٤١٨. الحكم على الحديث:صحيح.

(٣) أخرجه عبد بن حميد في المنتخب من مسند عبد بن حميد واللفظ له في ج١/ ١٧٨ برقم ٤٩٤، وأخرجه الترمذي في السنن باب الدعاء عند النوم برقم ٣٥٧٥ وقال: حديث حسن صحيح غريب، وأخرجه النسائي في كتاب الاستعاذة ج٨/ ٢٥٠ برقم ٥٤٢٨، وأخرجه أبو داود في السنن باب ما يقول إذا أصبح برقم ٥٠٨٢وسكت عنه، وقال النووي، في الأذكار: روي هذا الحديث في سنن أبي داود والترمذي والنسائي بأسانيد صحيحه، ج١/ ٧٧ برقم ٢٠٧، وأخرجه البيهقي، أحمد بن الحسين، في الدعوات الكبير، الكويت، غراس للنشر، ط١، ٢٠٠٩م، ج ١/ ١٠١، وأخرجه ابن أبي عاصم، في الآحاد والمثاني، ج٥/ ٣٣، وأخرجه أحمدفي المسند ٣٧/ ٣٣٥. الحكم على الحديث: الحديث إسناده حسن لحال أبي أسيد البراد، قال عنه ابن حجر والذهبي: صدوق، وقال الدارقطني: يُعتبر به، وذكره ابن حبان في =

قال الشوكاني: إن وقت الصباح من طلوع الفجر إلى غروب الشمس، ووقت المساء من الغروب إلى الفجر؛لأن اللَّه عز وجل يقول: ﴿حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ﴾ [الروم: ١٧]، فقابل المساء بالصباح[١]. وفي معنى قوله ـ ﷺ ـ: «تكفيك من كل شيء» قال الطيبي: أي تدفع عنك كل سوء[٢]. فهذا الحديث دليل على أن من قرأ هذه السور عند المساء وعند الصباح أنها تكفيه من كل شيء يُخشى منه كائناً ما كان[٣].

ولكن التعوّذ ظاهر في المعوِّذتين: سورة الفلق وسورة الناس، فكيف التعوّذ في سورة الإخلاص؟

أجاب ابن حجر فقال: اعتُبرت سورة الإخلاص من المعوِّذات؛ لأنها اشتملت على صفة الرب سبحانه وتعالى، فهو المعوِّذ وإن لم يُصرح فيها بلفظ التعويذ[٤]. وأضاف ابن باديس: أن المناسبة الخاصة بين السورتين (الفلق والناس) وبين سورة (الإخلاص) فهي أن سورة الإخلاص قد عرّفت الخلق بخالقهم بما فيها التوحيد والتنزيه والتمجيد، فعندما تقرأ سورة (الإخلاص) تتشبّع بمعانيها، ومنها معنى

= الثقات.(ابن حجر، تقريب التهذيب ١/ ١١١، الذهبي، الكاشف ١/ ٢٥١، ابن حجر، تهذيب التهذيب ١/ ٣٤٤)، قال ابن حجر العسقلاني في كتاب نتائج الأفكار في تخريج أحاديث الأذكار:هذا حديث حسن، بيروت، دار ابن كثير، ط٢، ٢٠٠٨م، ج٢/ ٣٤٥، وحسّنه الألباني، أبوعبد الرحمن محمد ناصر الدين في صحيح وضعيف سنن الترمذي،، الإسكندريه، مركز نور الإسلام لأبحاث القرآن والسنة، ج٨/ ٧٥ برقم ٣٥٧٥، بدون تاريخ.وقال ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر في كتاب بدائع الفوائد:صحيح ج٢/ ١٩٨، بيروت، دار الكتاب العربي، بدون تاريخ، وقال ابن الأثير، في أسد الغابة في معرفة الصحابة: "روي هذا الحديث عن معاذ عن أبيه عن جده وهو وهم والصحيح المشهور عن معاذ عن أبيه من دون جده، ج٢/ ١٥٣".

(١) الشوكاني، تحفة الذاكرين، ج١/ ٩٥.

(٢) القاري، مرقاة المفاتيح ٤/ ١٤٨٥.

(٣) المباركفوري، مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ج٧/ ٢٣٩.

(٤) ابن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري، ج٩/ ٦٢.

(الصمد)، فهذه السورة المعجزة على قِصرها توكيد لما امتلأت به نفسك من معاني التوحيد، ومِن صِدقك في توحيدك للَّه، فتستشعر أن العالم كله عجز وقصور، وأن خيراته مكدرة بالشرور، وأن لا ملجأ إلا إلى الفرد الصمد الذي ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ٣- ٤]، وتجيء المعوذتان[١] بعد الإخلاص مبينتين ذلك الالتجاء، الذي هو من تمام التوحيد، ولأجل هذا الارتباط بين السور الثلاث جُمع بينهن في التسمية والتعوّذ[٢].

كما ثبت ذلك في قوله ـ ﷺ ـ لعقبة بن عامر: «يا عقبةُ،﴿قُلْ﴾»، فاستمعتُ، ثم قال: «"يَا عُقْبَةُ، قُلْ فَاسْتَمَعْتُ"، ثُمَّ قَالَ: "يَا عُقْبَةُ، قُلْ فَاسْتَمَعْتُ"، فَقَالَهَا الثَّالِثَةَ، فَقُلْتُ: مَا أَقُولُ؟، فَقَالَ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾[الإخلاص: ١] فَقَرَأَ السُّورَةَ حَتَّى خَتَمَهَا، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾[الفلق: ١] وَقَرَأْتُ مَعَهُ حَتَّى خَتَمَهَا، ثُمَّ قَرَأَ ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ [الناس: ١] فَقَرَأْتُ مَعَهُ حَتَّى خَتَمَهَا، ثُمَّ قَالَ: "مَا تَعَوَّذَ بِمِثْلِهِنَّ[٣] أَحَدٌ»[٤]، وذلك لشمولها الاستعاذة من أكثر المكروهات، ومن شر السواحر النفاثات، وشر

(١) التعوّذ: يعني الاعتصام، وسميت هذه السور بالمعوِّذات لأنها تعوِّذ صاحبها وتعصمه من كل سوء. (المناوي، فيض القدير ٣/ ١٠١).

(٢) ابن باديس، عبد الحميد محمد، تفسير ابن باديس في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، بيروت، دار الكتب العلمية، سنة ١٩٩٥م، ج١/ ٣٧٠.

(٣) ما تعوّذ بمثلهن: أي هما أفضل التعاويذ، لأنه لما سُحر رسول اللَّه ـ ﷺ ـ مكث مسحوراً سنة حتى أنزل اللَّه عليه ملكين يعلمانه أن يتعوّذ بهما ففعل فزال ما كان يجده من السحر. (القاري، مرقاة المفاتيح ٤/ ١٤٨٥).

(٤) أخرجه النسائي في السنن واللفظ له، في باب الاستعاذة ٨/ ٢٥١، والطبراني في المعجم الكبير ١٧/ ٣٤٦ برقم ٩٥، والحميدي في المسند ٢/ ١٠١ برقم ٨٧٤. الحكم على الحديث:الحديث حسن لحال عبدالعزيز الدراوردي، قال ابن معين: ثقة حجة، وقال مرة: ليس به بأس، وكذا قال النسائي وزاد: ليس بالقوي، وقال ابن المديني: ثقة ثبت، وقال ابن حنبل: إذا حدث من كتابه فهو صحيح وإذا حدث من كتب الناس وهم، وقال أبو زرعة: سيىء الحفظ، وقال ابن حجر: صدوق وهو يخطئ إذا حدث من كتب غيره، وقال الذهبي: حديثه لا ينحط عن مرتبة الحسن وهو صدوق، وقال أبو حاتم: لا يحتج به، وذكره ابن حبان في الثقات. (المزي، تهذيب الكمال ١٨/ ١٩٣، ابن حجر، تهذيب التهذيب ٦/ ٣٥٤ والتقريب ١/ ٣٥٨، =

الحاسدين، وشرار الناس، وشر كل من خلق، وشر كل ما جمعه الليل من المكاره[١]، فقراءتها ثلاثاً تكفي من الشر وتمنعه[٢].

وكان رسول اللَّه ـ ﷺ ـ يقرأ هذه السور الثلاث عند نومه، كما قالت عائشة ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ـ : « أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا أَوَى إِلَى فِرَاشِهِ[٣] كُلَّ لَيْلَةٍ جَمَعَ كَفَّيْهِ ثُمَّ نَفَثَ فِيهِمَا[٤] فَقَرَأَ فِيهِمَا قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ وَ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ وَ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ثُمَّ يَمْسَحُ بِهِمَا مَا اسْتَطَاعَ مِنْ جَسَدِهِ يَبْدَأُ بِهِمَا عَلَى رَأْسِهِ وَوَجْهِهِ وَمَا أَقْبَلَ مِنْ جَسَدِهِ يَفْعَلُ ذَلِكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ»[٥].

لذا يُستحب قراءة هذه السور الثلاثة قبل النوم والتعوّذ بها.

وكيفية ذلك: أن يجمع المسلم كفيه ثم يقرأ هذه السور الثلاث فيهما، ثم ينفث عليها، ثم يبدأ المسح بهما على رأسه ووجهه وما أقبل من جسده، يفعل ذلك ثلاث مرات.

وجمعاً بين حديث عبداللَّه بن خبيب السابق وحديث عائشة ـ رَضِيَ اللَّهَ عَنْهُمَا ـ

= الذهبي، سير أعلام النبلاء ٧/ ٣٥٧) قال الألباني، أبو عبدالرحمن محمد ناصر الدين في صحيح وضعيف سنن النسائي، ج١١/ ٤٣٠ برقم ٥٤٣٠: صحيح، الإسكندرية، مركز نور الإسلام لأبحاث القرآن والسنة، بدون تاريخ، وقال ابن كثير:" ورد هذا الحديث عن عقبة بطرق عدة، كالمتواترة عنه، تُفيد القطع عند كثير من المحققين في الحديث"، تفسير القرآن العظيم، ج٨/ ٥٣٣.

(١) العراقي، طرح التثريب في شرح التقريب ٨/ ١٩٤.

(٢) الحنبلي، زين الدين عبد الرحمن، روائع التفسير، تفسير ابن رجب الحنبلي، السعودية، دار العاصمة، ط١، ٢٠٠١م، ج٢/ ٦٦٠.

(٣) أوى إلى فراشه: أي دخل فيه. (ابن حجر، فتح الباري ١١/ ١١٣).

(٤) النفث: نفخ لطيف بلا ريق. (النووي، أبو زكريا محيي الدين، التبيان في آداب حملة القرآن، بيروت، دار ابن حزم، ط٣، ١٩٩٤م، ج١/ ١٧٤).

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه واللفظ له باب فضل المعوِّذات، وأبو داود في السنن باب ما يقال عند النوم، برقم ٥٠٥٦ وسكت عنه، والترمذي في السنن باب ما جاء فيمن يقرأ القرآن عند المنام، برقم:٣٤٠٢وقال: حديث حسن غريب صحيح، والنسائي في السنن الكبرى ٩/ ٢٩٠ برقم ١٠٥٥٦. الحكم على الحديث:صحيح.

يمكن القول: إن السور الثلاث: الإخلاص، والفلق والناس، تُقرأ ثلاث مرات، وإن المسح على الجسد بعد قراءتها يمكن أن يكون ثلاث مرات ويمكن أن يكون مرةً واحدة، لحديث عائشة ــ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ــ : «إن رسول اللَّه ــ ﷺ ــ كان إذا اشتكى[1] نفث على نفسه بالمعوِّذات، ومسح عنه بيده، فلما اشتكى وجعه الذي توفي فيه، طفِقتُ[2] أنفثُ على نفسه بالمعوِّذات التي كان ينفث، وأمسح بيد النبي ـ ﷺ عنه». وفي رواية أخرى: «وَأَمْسَحُ بِيَدِهِ رَجَاءَ بَرَكَتِهَا»، وفي رواية أخرى: «كَانَ يَأْمُرُنِي أَنْ أَفْعَلَ ذَلِكَ بِهِ»[3].

فهذه السور الثلاث – الإخلاص، والفلق، والناس – ينبغي للمسلم أن يقرأها كل صباح وكل مساء، وكذلك يقرأها على المريض أيضاً، لأمر وفعل رسول اللَّه ــ ﷺ ــ.

قال ابن القيم: كون رسول اللَّه ــ ﷺ ــ يتعوّذ بهذه السور الثلاثة يدل على فضلها من حيث إنها تعويذة مباركة[4].

وقال القاضي عياض: في حديث عائشة ــ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ــ استحباب أن يرقي المريض نفسه بالمعوِّذات لبركتها، وحصول الشفاء بها، فالرقى التي بآيات القرآن وبالأذكار المعروفة لا نهي فيها، بل هي سنّة[5].

كذلك دلَّ قول عائشة ــ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ــ في الحديث السابق (كل ليلة) على أنه

---

(١) اشتكى: أي مرض. (ابن حجر، فتح الباري ٣/ ٨).

(٢) طفقتُ: طفق بمعنى: أخذ في الفعل وجعل يفعله. (ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث ٣/ ١٢٩).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه واللفظ له، باب فضل المعوِّذات، وباب النفث في الرقية، وباب مرض النبي ــ ﷺ ــ ومسلم في صحيحه في باب رقية المريض، وابن ماجة في السنن باب النفث في الرقية، وأبو داود في السنن باب كيف الرقى؟ برقم ٣٩٠٢وسكت عنه والنسائي في السنن الكبرى ٩/ ٣٧١ برقم ١٠٧٨١، وأحمد في المسند ٤١/ ٣٣٠، ومالك بن أنس، في الموطأ، باب التعوذ والرقية في المرض، ج٢/ ٩٤٢ برقم ١٠. الحكم على الحديث :صحيح.

(٤) ابن القيم الجوزيه، زاد المعاد في هدى خير العباد، ج٤/ ١٦٥.

(٥) العراقي، طرح التثريب في شرح التقريب ٨/ ١٩٤.

عليه الصلاة والسلام كان يحافظ على قراءة المعوِّذات ولا يتركها، وهو الذي علينا أن نقتدي به أيضاً عن رسولنا الكريم ـ ﷺ ـ كما كان يفعل السابقون فيما يرويه إبراهيم النخعي[١] فيقول: كانوا يعلمونهم إذا أووا إلى فراشهم أن يقرأوا المعوِّذتين، وفي رواية أخرى: كانوا يستحبون أن يقرأوا هؤلاءِ السورَ في كل ليلة ثلاث مرات: (قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ، وَالْمُعَوِّذَتَيْنِ)[٢].

***

(١) إبراهيم بن يزيد النخعي، قال الذهبي عنه: هو الإمام الحافظ، فقيه العراق، كان عجباً في الورع والخير، كبير الشأن كثير المحاسن، متوقياً للشهرة، رأساً في العلم، كان يصوم يوماً ويفطر يوماً، دخل على أم المؤمنين عائشة ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُما ـ وهو صغير، ولم يثبت له منها سماع، وقال أحمد بن حنبل: كان إبراهيم ذكياً، حافظاً، صاحب سنّة. (الذهبي، سير أعلام النبلاء ٤/ ٥٢٠، ابن حجر، تهذيب التهذيب ١/ ١٧٧).

(٢) أخرجه النووي، في الأذكار باب ما يقول إذا اراد النوم ج١/ ٩٥، ثم قال: إسناده صحيح على شرط مسلم، لكن ابن حجر قال في نتائج الأفكار ج٣/ ٩٠: كلا السندين صحيح بجميع رواتهما.

الخاتمة

أسال اللَّه حُسنها

في ختام هذا البحث أحمد اللَّه وأشكره سبحانه على ما منَّ ويسّر به من التوفيق، ونصلي ونسلم على سيدنا محمد ـ ﷺ ـ وعلى آله وصحبه وسلم.

وبعد،

مما سبق يتبين أن القلب أول ما يتأثر بالفتن، ومن أراد أن يتأكد هل أصابته الفتنة أم لا فليقرأ ما قاله حذيفة بن اليمان ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ: « فَمَنْ أَحَبَّ مِنْكُمْ أَنْ يَعْلَمَ أَصَابَتْهُ الْفِتْنَةُ أَمْ لَا ، فَلْيَنْظُرْ ، فَإِنْ رَأَى حَرَامًا مَا كَانَ يَرَاهُ حَلَالًا ، أَوْ يَرَى حَلَالًا مَا كَانَ يَرَاهُ حَرَامًا ، فَقَدْ أَصَابَتْهُ»(١).

إن وقوع الفتن سنّة ربانية لا تتبدل كما قال تعالى: ﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ [**العنكبوت: ٢**]، وإن القلب الذي لا تردّه الشدّة إلى اللَّه قلبٌ تحجّر، فلم تعد الشدة تثير فيه الإحساس، ومات، فلم يعد يستشعر هذه الوخزة الموقظة التي تنبّه القلوب الحيّة للتلقي والاستجابة(٢).

وقد كتب اللَّه عز وجل الفتن على عباده لحِكم عظيمة، منها: تمييز المؤمنين من غيرهم، ومنها: تكفير السيئات ورفع الدرجات، ومنها غير ذلك مما لا نعلمه.

فهل يمكن تمييز الخبيث من الطيب بدون ابتلاء؟

أجاب ابن القيم فقال: إنه لا بد للتمييز من ابتلاء، فما يصيب المؤمن في هذه الدار من غَلبة عدوّه عليه، وأذاه له في بعض الأحيان أمر لازم، لا بد منه، وهو كالحر الشديد

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف واللفظ له، ج٧/ ٤٧٤ برقم ٣٧٣٤٣، وأخرجه الحاكم في المستدرك، ج٤/ ٥١٤ وصححه الحاكم والذهبي، وأخرجه نعيم بن حماد، في الفتن، ج١/ ٦٢، وأخرجه الداني، في السنن الواردة في الفتن ج١/ ٢٢٧، وأخرجه أبو نعيم، في حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، ج١/ ٢٧٢، الحكم على الحديث:إسناده صحيح، رجاله ثقات.وقال أبو عبداللَّه الداني بن منير، في سلسلة الآثار الصحيحة من أقوال الصحابة والتابعين: أثر صحيح، مصر، دار الفاروق للنشر، ط١، ٢٠٠٣م، ج١/ ٧٥.

(٢) سيد قطب، إبراهيم، في ظلال القرآن، بيروت، دار الشروق، ط١٧/ ١٤١٢هـ، ج٢/ ١٠٨٩.

والبرد الشديد والأمراض والهموم والغموم، فهذا الأمر لازم للنشأة الإنسانية في هذه الدار، حتى للأطفال والبهائم، لما اقتضته حكمة أحكم الحاكمين، فلو تجرد الخير في هذا العالم عن الشر، وتجرد النفع عن الضر واللذة عن الألم، لكان ذلك عالماً غير هذا العالم، ونشأة أخرى غير هذه النشأة(١).

ويمكن أن نُجمل ما تم تفصيله في ثنايا هذا العمل في النقاط التالية:

١- أن كثرة الفتن تدل على قرب وقوع الساعة: «لَمْ يَبْقَ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا بَلَاءٌ وَفِتْنَةٌ»(٢).

٢- أن فرض إنكار المنكر يسقط على من لا قوة له على إنكاره، مع استمرار إنكاره المنكر وأمره بالمعروف بالقلب، وفي محيط الأسرة(٣)، لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾ [التحريم: ٦].

٣- أن اعتزال الناس واجب، للسلامة من الوقوع في الإثم، وأقل أنواع العزلة أن يلازم المرء بيته، فلا يخرج إلا لضرورة صلاة الجمعة والجماعات. (انظر ص ٣٢و٤٠).

٤- تعجيل فعل الطاعات، فلا يدري المسلم ما يَعرض له من فتن، وموانع تعيقه عن فعلها.

٥- تكرار التعوذ باللَّه من الفتن الأربع: (عذاب جهنم، وعذاب القبر، وفتنة المحيا والممات، وفتنة المسيح الدجال) بعد التشهد الأخير في كل صلاة، كما أمرنا بذلك رسول اللَّه ـ ﷺ ـ وكان يفعل ذلك ليعلم أمته، وينبههم للاقتداء به واتباع سنته، لأن الدعاء من أسباب النجاة من الفتن، قال تعالى: ﴿فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا﴾ [الأنعام: ٤٣]، ودعاء الضعفاء والصالحين على وجه الخصوص مستجاب، لقوله ـ

(١) ابن قيم الجوزية، إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، ج٢/ ١٨٩.

(٢) الحديث إسناده حسن. (سبق تخريجه ص١٦).

(٣) انظر ص١٩و٣٧.

ﷺ ـ: «هَلْ تُنْصَرُونَ وَتُرْزَقُونَ إِلَّا بِضُعَفَائِكُمْ ؟»[1]، فعلى المسلم أن يرغب إلى ربه في رفع ما نزل، ودفع ما لم ينزل، ويستشعر الافتقار إلى ربه، في جميع أحواله، وخاصة عند الفتن للنجاة منها[2].

٦- أن فتنة المحيا تدخل فيها فتن الدين والدنيا كلها، كالكفر، والبدع، والفسوق، والعصيان، وفتنة الممات يدخل فيها سوء الخاتمة، وفتنة الملكين في القبر[3].

٧- أن الصبر أفضل ما أُعطي المؤمن، ويُثاب عليه مثوبة كبيرة: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠].

٨- أن أكثر خطايا ابن آدم من لسانه، لذا يحرم على المسلم نشر المعلومات التي لا يُتأكد من صدقها، أو المعلومات التي قد تسبب الفرقة والفتن بين الناس (انظر، ص ٤٨).

٩- يجب سؤال أهل العلم عما أشكل أو صعب فهمه، لقوله تعالى: ﴿فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا﴾ [الفرقان: ٥٩].

١٠- أنه ينبغي للمسلم قراءة السور الثلاث (الإخلاص، الفلق، الناس) كل صباح وكل مساء عند النوم، وكذلك يُرقي بها نفسه، اقتداءً بأمر وفعل رسول اللَّه ـ ﷺ ـ(انظر ص ٩٠).

١- أن **أعلى مرتبة** في كيفية أداء العبادة في الفتن هي: الثبات على الدين مهما كثرت الشدائد والمغريات؛ لأن رسول اللَّه ـ ﷺ ـ ذكرها فقال: « « لاَ تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِى قَائِمَةً بِأَمْرِ اللَّهِ لاَ يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ أَوْ خَالَفَهُمْ حَتَّى يَأْتِىَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ ظَاهِرُونَ

(١) أخرجه البخاري في صحيحه واللفظ له باب: من استعان بالضعفاء والصالحين ٤/ ٣٦ برقم ٢٨٩٦، والنسائي في السنن باب الاستنصار بالضعيف، ج٦/ ٤٥، وأحمد في المسند ج٣/ ٨٦. الحكم على الحديث: صحيح.

(٢) ابن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري ج١١/ ١٧٧

(٣) ابن رجب الحنبلي، اختيار الأولى في شرح حديث اختصام الملأ الأعلى، ج ١/ ١١٨.

عَلَى النَّاسِ»[١].

٢- أن البُعد عن مواطن الفتن، والفرار من الدجال، يمكن أن يكون بالسكن في مكة والمدينة لأنهما حرمان آمنان، قال رسول اللَّه ـ ﷺ ـ: «لَيْسَ مِنْ بَلَدٍ إِلَّا سَيَطَؤُهُ الدَّجَّالُ – أَيْ: سَيَدْخُلُهُ – إِلَّا مَكَّةَ وَالْمَدِينَةَ»[٢]، أو يفر المسلم إلى الجبال، ومواقع القطر (انظر ص ٦٩-٧١)، وعلى المسلم ألا يشارك في الفتن ما أمكنه ذلك، فالابتعاد عن مواطن الضلال واجب. (كما يرى ذلك ابن العثيمين)[٣].

٣- أن التمسك بالكتاب والسنّة فيهما فوز عظيم لمن تمسك بهما، لأن اللَّه تعالى يقول: ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧١]، وللسنّة النبوية ثمرات لمن تمسك بها، أهمها على الإطلاق: دخول الجنة، لقوله ـ ﷺ ـ: «كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى»[٤]، قالوا: يا رسول اللَّه ومن يأبى؟ قال: «مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَى»[٥].

إن صفة العاقل أن يتصفّح الأمور بعقله، قال اللَّه عز وجل: ﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [الزمر: ١٨].

قال ابن تيمية: لا تقع فتنة إلا مِنْ تَرْك ما أمر اللَّه به، فإنه سبحانه أمر بالحق، وأمر

(١) الحديث صحيح، سبق تخريجه في ص ٦٣.

(٢) أخرجه البخاري واللفظ له في باب لا يدخل الدجال المدينة. (وانظر بقية تخريج الحديث في ص ٧٤) الحكم على الحديث: صحيح.

(٣) العثيمين، محمد بن صالح، تعليق مختصر على كتاب لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد، الرياض، مكتبة أضواء السلف، ط٣، ١٩٩٥م، ج١/ ١٦٠.

(٤) أبى: أي امتنع عن الامتثال لسنّة رسول اللَّه ـ ﷺ ـ (ابن حجر، فتح الباري، ١٣/ ٢٥٤).

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه واللفظ له في باب الاقتداء بسنن رسول اللَّه ـ ﷺ ـ وأحمد في المسند ١٤/ ٣٤٣، وابن حبان في صحيحه ١/ ١٩٧، والحاكم في المستدرك ١/ ١٢٢. الحكم على الحديث: صحيح.

بالصبر، فقال تعالى: ﴿وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ [العصر: ٣]، فالفتنة تحصل إما مِن تَرْك الحق، وإما مِن تَرْك الصبر[١].

ولعل من المناسب أن أختم بذكر التوصيات الموجزة المهمة التالية، حيث أن الوقاية من الفتن تتطلب من المسلم والمسلمة الالتزام بما يلي:

أ- ابدأ يومك بالذكر الصباحي بقراءة المعوِّذات الثلاث (الإخلاص، الفلق، والناس) ثلاث مرات في أي وقت من أوقات الصباح، لأن هذه السور الثلاث تحميك من كل شيء يُخاف منه. (انظر ص ٨٩ وما بعدها).

ب- حافظ على التعوّذ من الفتن الأربع في جميع صلواتك الخمس في التشهد الأخير من كل صلاة قبل التسليم، وقل، كما ثبت عن رسول اللَّه ـ ﷺ ـ: « «إِذَا تَشَهَّدَ أَحَدُكُمْ فَلْيَسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنْ أَرْبَعٍ يَقُولُ اللَّهُمَّ إِنِّى أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ وَمِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ وَمِنْ شَرِّ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ» [٢] و(انظر ص ٢٧).

ج- اختم يومك بالذكر المسائي الذي ورد في رقم أ (وانظر ص ٩٨ وما بعدها)؛ لأن هذا الذكر يُقال في الصباح وفي المساء أيضاً، وأضِف إلى المعوّذات آية الكرسي كيلا يقربك الشيطان حتى تُصبح (انظر ص ٨٣ وما بعدها).

د- لا تنسَ أن تنفُث الذكر المسائي في يديك، ثم تمسحُ بهما رأسك ووجهك وبقية جسدك، لتنال حفظ اللَّه لك، وتقتديَ بنبيك ـ ﷺ ـ الذي كان يحافظ على هذه

(١) ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس، في كتاب الاستقامة، المدينة المنورة، جامعة الإمام محمد بن سعود، ط١، ١٤٠٣هـ، ج١/ ٣٩.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه واللفظ له في باب ما يُستعاذ منه في الصلاة برقم ٥٨٨، وأحمد في المسند ١٢/ ١٧٧، واخرجه الدارمي، في المسند،-سنن الدارمي-، باب الدعاء بعد التشهد برقم ١٣٨٣، وأبو داود في السنن، باب ما يقول بعد التشهد برقم ٩٨٣وسكت عنه، والترمذي في السنن باب في الاستعاذة برقم ٣٦٠٤، وقال: حديث صحيح، والنسائي في السنن باب الاستعاذة من عذاب جهنم، ج٣/ ٥٨، والبخاري في صحيحه باب التعوذ من عذاب القبر٢/ ٩٩ ولم يذكر(عذاب جهنم). الحكم على الحديث:صحيح.

الأذكار أشد المحافظة، ولا يترك قولها كل ليلة. (انظر ص ٩٠).

٥-المسارعة إلى القيام بالأعمال الصالحة قبل مجيء الفتن المظلمة، لقوله ـ ﷺ ـ: «بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ فِتَنًا كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ»[(١)]، (انظر ص ١٩و٢٠و٦٨) فالنبيُّ ـ ﷺ ـ يحث المسلم على المبادرة والإسراع فيما ينفعه قبل وقوع الفتن، لأن: «التؤدة في كل شيء خير إلا في عمل الآخرة» (انظر ص ٥٢)، فعلى المسلم أن يُكثر من التقرب إلى اللَّه بالفرائض والنوافل، قال رسول اللَّه ـ ﷺ ـ في الحديث القدسي: «إِنَّ اللَّهَ قَالَ مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ ..إلخ الحديث)»[(٢)].قال **ابن كثير**: معنى الحديث: أن العبد إذا أخلص الطاعة، صارت أفعاله كلها للَّه عز وجل، فلا يسمع إلا اللَّه، ولا يُبصر إلا اللَّه، أي: ما شرعه اللَّه له، ولا يمشي إلا في طاعة اللَّه عز وجل، مستعيناً باللَّه في ذلك كله[(٣)].

فمن لوازم محبة اللَّه للعبد: أن يتقرب العبد إلى اللَّه بالنوافل والفرائض، قال ابن قيم الجوزية: إن الحديث حَصَر محبة اللَّه سبحانه لعبده في أمرين: أداء فرائضه، والتقرب إليه بالنوافل، وأخبر سبحانه أن أداء فرائضه، أحبُّ ما يتقرب إليه المتقربون، ثم بعدها النوافل، وأن المحب لا يزال يُكثر من النوافل حتى يصير محبوباً للَّه

(١) أخرجه مسلم في صحيحه في باب الحث على المبادرة بالأعمال. (انظر بقية التخريج في ص ٢٠). الحكم على الحديث: صحيح.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه واللفظ له في باب التواضع ٨/ ١٠٥ (٦٥٠٢)، والبزار، في المسند ١٥/ ٢٧٠، وأبو نعيم في حلية الأولياء ١/ ٤، والبيهقي في السنن الكبرى ٣/ ٤٨٢. الحكم على الحديث: صحيح.

(٣) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج٤/ ٥٩٠، سورة النحل.

سبحانه[1].

فالتقرب بالنوافل يكون قدرَ الاستطاعة، من غير تشديد، قال تعالى: ﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج: ٧٨]، فالمطلوب في الطاعات المداومة عليها قدر الاستطاعة، لقوله ـ ﷺ ـ : « يَا أَيُّهَا النَّاسُ عليكم مِنْ الْأَعْمَالِ مَا تُطِيقُونَ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَمَلُّ حَتَّى تَمَلُّوا وَإِنَّ أَحَبَّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ مَا دَامَ وَإِنْ قَلَّ » [2].

ومن أعمال الطاعات والنوافل التي يمكن القيام بها وقتَ الفتن:

١- صلاة قيام الليل، لقوله ـ ﷺ ـ: « « أَفْضَلُ الصَّلاَةِ بَعْدَ الصَّلاَةِ الْمَكْتُوبَةِ الصَّلاَةُ فِى جَوْفِ اللَّيْلِ وَأَفْضَلُ الصِّيَام بَعْدَ شَهْرِ رَمَضَانَ صِيَامُ شَهْرِ اللَّهِ الْمُحَرَّم »[3]، وصلاة الليل ركعتان بتسليمةٍ أو أربع أو ستٍّ أو ثمان، وكل ذلك نُقل في تهجده ـ ﷺ ـ ويكره الزيادة على ذلك[4]، فصلاة الليل من الطاعات التي كلما زاد فيها زاد الأجر[5]، وأفضل أوقات القيام بها في الثلث الأخير من الليل حتى طلوع الفجر، [6].

٢- الذكر والاستغفار: مِن الذكر قوله ـ ﷺ ـ: « « مَنْ قَالَ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَحْدَهُ لاَ

(١) ابن قيم الجوزية، الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، المغرب، دار المعرفة، ط١، ١٩٩٧م، ج١/ ١٨٤.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه واللفظ له في باب فضيلة العمل الدائم، وأخرجه البخاري في صحيحه في باب الجلوس على الحصير، وأخرجه أحمد في المسند ٤٢/ ٤٢٤، وأبو داود في السنن باب ما يؤمر به من القصد، برقم١٣٦٨، وقال:وكان إذا عمل عملا أثبته،، والنسائي في السنن باب المصلي يكون بينه وبين الإمام سترة ج٢/ ٦٨. الحكم على الحديث:صحيح.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه واللفظ له في باب فضل صوم المحرم برقم ١١٦٣، وأبو داود في السنن باب في صوم المحرم برقم ٢٤٢٩ وقال:لم يقل قتيبة(شهر) قال(رمضان)، والدارمي في السنن باب أي صلاة الليل أفضل؟ وأحمد في المسند ١٤/ ٢٠٠. الحكم على الحديث:صحيح.

(٤) الموصلي، عبداللّه بن محمود الحنفي، الاختيار لتعليل المختار، بيروت، دار الكتب العلمية، ط سنة ١٩٣٧م، ج١/ ٦٧.

(٥) النووي، شرح النووي على صحيح مسلم، ج٦/ ١٩.

(٦) ثلث الليل الآخر: يبدأ الليل من غروب الشمس وينتهي عند أذان الفجر، فتُقسم هذه الساعات على ثلاثة ثم نحتسب الثلث الأخير وهو المقصود في الحديث، (ولمزيد من التوضيح انظر هامش ص٢٢).

شَرِيكَ لَهُ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ. فِى يَوْم مِائَةَ مَرَّةٍ. كَانَتْ لَهُ عَدْلَ[١] عَشْرِ رِقَابٍ وَكُتِبَتْ لَهُ مِائَةُ حَسَنَةٍ وَمُحِيَتْ عَنْهُ مِائَةُ سَيِّئَةٍ وَكَانَتْ لَهُ حِرْزًا مِنَ الشَّيْطَانِ[٢] يَوْمَهُ ذَلِكَ حَتَّى يُمْسِىَ وَلَمْ يَأْتِ أَحَدٌ أَفْضَلَ مِمَّا جَاءَ بِهِ إِلاَّ أَحَدٌ عَمِلَ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ. وَمَنْ قَالَ سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ فِى يَوْم مِائَةَ مَرَّةٍ حُطَّتْ خَطَايَاهُ وَلَوْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ د[٣] الْبَحْرِ »[٤] وفي هذا تحصين النفس بالذكر والاستغفار.

أما الاستغفار فقد حثَّ رسول اللَّه ـ ﷺ ـ أمته عليه، ورغَّبهم فيه، فقال: « سَيِّدُ الِاسْتِغْفَارِ أَنْ تَقُولَ اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ وَأَبُوءُ لَكَ بِذَنْبِي[٥] فَاغْفِرْ لِي فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ قَالَ وَمَنْ قَالَهَا مِنْ النَّهَارِ مُوقِنًا بِهَا[٦] فَمَاتَ مِنْ يَوْمِهِ قَبْلَ أَنْ يُمْسِيَ فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَمَنْ قَالَهَا مِنْ اللَّيْلِ وَهُوَ مُوقِنٌ بِهَا فَمَاتَ قَبْلَ أَنْ يُصْبِحَ فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ »[٧].

---

(١) عدل عشر رقاب: أي مثل ثواب إعتاق عشر رقاب. (العيني، عمدة القاري، ج١٥/ ١٨٠).

(٢) حرزاً من الشيطان: أي حفظاً ومنعاً من الشيطان. (القاري، مرقاة المفاتيح ج٤/ ١٥٩٦).

(٣) زبد البحر: وهو ما يعلو على وجه البحر عند هيجانه وتموّجه، فالمراد: مثله في الكمية. (القاري، مرقاة المفاتيح ٢/ ٧٦٧، وج٤/ ١٥٨٣).

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه واللفظ له في باب فضل التهليل والتسبيح برقم ٢٦٩١، والبخاري في صحيحه في باب صفة إبليس، وأخرجه أحمد في المسند ١٤/ ٤٦٠، والترمذي في السنن باب ماجا فيمن يقرأ القرآن عند المنام برقم ٣٤٦٨، وقال: حديث حسن صحيح، وابن ماجه في السنن باب فضل لا إله إلا اللَّه. الحكم على الحديث: صحيح.

(٥) أبوء لك بنعمتك عليّ، وأبوء لك بذنبي: أي أعترف بالنعم التي أنعمت عليّ بها وأعترف بتقصيري في عدم شكرها. (ابن حجر، فتح الباري ١١/ ١٠٠ بتصرف).

(٦) موقناً بها: أي مخلصاً من قلبه، مصدقاً بثوابها – أي بثواب الكلمات –. (العيني، عمدة القاري ٢٢/ ٢٧٩).

(٧) أخرجه البخاري في صحيحه واللفظ له في باب أفضل الاستغفار، والنسائي في السنن الكبرى ج٦/ ٢١٦، وأحمد في المسند ٢٨/ ٤٣٤، والترمذي في السنن باب ماجا فيمن يقرأ القرآن عند المنام برقم ٣٣٩٣وقال: حديث حسن غريب من هذا الوجه، وابن أبي شيبة في المصنف، ج٦/ ٥٦. الحكم على الحديث: صحيح.

قال العيني في تفسيره (سَيِّدُ الِاسْتِغْفَارِ): السيد يعني الرئيسَ الذي يُقصد إليه في الحوائج، ولأن هذا الدعاءَ جَمع معانيَ التوبة كلَّها من صحة النيّة والتوجه والأدب، استُعير له هذا الاسم، ولا شكَّ أن سيِّد القوم أفضلُهم، وهذا الدعاء أيضاً سيِّد الأدعية وهو الاستغفار؛ لأن الداعيَ ذكَرَ اللَّه تعالى بأكمل الأوصاف، وذكَر نفسه بأنقصِ الحالات، وهو أقصى غاية التضرع والاستكانة للَّه سبحانه وتعالى(١).

وكان رسول اللَّه ـ ﷺ ـ كثيرَ الاستغفار والتوبة في اليوم الواحد، وهو القائل: « وَاللَّهِ إِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ فِي الْيَوْمِ أَكْثَرَ مِنْ سَبْعِينَ مَرَّةً » (٢)، وللمسلم في رسول اللَّه ـ ﷺ ـ الأسوة الحسنة، قال اللَّه تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١]، فالاستغفار باللسان، والتوبة بالرجوع عن المعصية إلى الطاعة(٣).

ويدخل في الاعمال التي يمكن القيام بها وقتَ الفتن: الإكثارُ من قراءة القرآن الكريم، لأنه: «يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفِيعًا لِأَصْحَابِهِ »(٤)، كما قال رسول اللَّه ـ ﷺ ـ فهو من أعظم ما يُتقرب به إلى اللَّه تعالى من النوافل.

ويدخل في النوافل أيضاً: الصيام الزائد عن صيام شهر رمضان، كصيام يوم عرفة، وكصيام يومي الاثنين والخميس من كل أسبوع، وصيام يوم عاشوراء، وصيام ستة أيام

(١) العيني، عمدة القاري شرح صحيح البخاري، ج٢٢/ ٢٧٨.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه واللفظ له في باب استغفار النبي ـ ﷺ ـ في اليوم، وابن ماجه في السنن باب الاستغفار برقم ٣٨١٦، والترمذي في السنن باب ماجا فيمن يقرأ القرآن عند المنام برقم ٣٢٥٩، وقال:حديث حسن صحيح، والنسائي في السنن الكبرى، ج٩/ ١٦٦، وأحمد في المسند ١٤/ ١٩. الحكم على الحديث:صحيح.

(٣) القاري، مرقاة المفاتيح، ٤/ ١٦٠٩.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه واللفظ له في باب فضل قراءة القرآن، وأحمد في المسند ٣٦/ ٥٤٦، والبيهقي في السنن الكبرى ٢/ ٥٥٤، والطبراني، سليمان بن أحمد، في المعجم الأوسط، القاهرة، دار الحرمين، بدون تاريخ، ج١/ ١٥٠. الحكم على الحديث:صحيح.

من شوال.

ومن النوافل أيضاً: الصدقات التي يجود بها المسلم على أخيه المسلم المحتاج، والصدقة لا تختص بالمال، بل: «كُلُّ مَعْرُوفٍ صَدَقَةٌ» (١).

و- أوصانا رسول اللَّه ـ ﷺ ـ بنشر العلم، فمن عَلِم علماً نافعاً ووفقه اللَّه لتعلُّمه وفهمه، يجب عليه ألا يكتمَه، ورغَّب في طلب العلم والسعي إلى المعرفة (أنظرص ٧٨و٧٩).

إن نشر العلم والمعرفة في وقتنا الحالي لا يتوقف عند طباعة الكتب ونشرها فقط، بل يمكن نشر سنّة نبيِّنا ـ ﷺ ـ على منابر مواقع التواصل الاجتماعي، والقنوات الفضائية الموثوق بها، كما يمكن النشر ضمن كتيِّبات توزَّع مجاناً، لتذكير الناس بسنّة نبيهم ـ ﷺ ـ خاصة بين الأهل أولاً؛ لأن: «خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ»، كما قال رسول اللَّه ـ ﷺ ـ (٢)، فالأهل هم الأحقُّ بُحسن الخُلُق من غيرهم، ابدأْ بالأقربِ فالأقرب.

فلْيجتهدِ المسلمُ في الابتعاد عن الفتنة، وإذا اشتبه عليه أمرٌ اختلف الناسُ فيه فلْيدعُ بهذا الدعاء الذي كان يدعو به رسول اللَّه ـ ﷺ ـ إذا قام من الليل افتتح صلاته به، قال

(١) تخريج الحديث :أخرجه البخاري في صحيحه واللفظ له في باب كل معروف صدقة، ومسلم في صحيحه في باب بيان أن اسم الصدقة يقع على كل نوع، وأبو داود في السنن باب في المعونة للمسلم، برقم٤٩٤٧ وسكت عنه، والترمذي في السنن باب ما جاء في طلاقة الوجه برقم ١٩٧٠ وقال:حسن صحيح، والنسائي في السنن الكبرى في باب قول اللَّه تعالى: ﴿وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾ [الماعون: ٧] ج١٠/ ٣٤٥، وأحمد في المسند ٢٣/ ٥٧. الحكم على الحديث:صحيح.

(٢) أخرجه الترمذي في السنن واللفظ له في باب فضل أزواج النبي ـ ﷺ ـ برقم ٣٨٩٥ وقال: حديث حسن صحيح، والدارمي في السنن باب في حسن معاشرة النساء برقم ٢٣٠٦، وابن حبان في صحيحه برقم ٤١٧٧، والطبراني في المعجم الأوسط ج٦/ ١٨٧، برقم ٦١٤٥، والأصبهاني في حلية الأولياء ٧/ ١٣٨، والبيهقي في السنن الكبرى ج٧/ ٧٧٠ برقم ١٥٦٩٩ .الحكم على الحديث: الحديث عن عائشة ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهاُ ـ إسناده صحيح ورجاله ثقات، وصححّه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة برقم ٢٨٥ وقال:إسناده صحيح على شرط الشيخين، وقال التبريزي، في مشكاة المصابيح، ج٢/ ٩٧١ برقم ٣٢٥٢: صحيح.

ـ ﷺ ـ يناجي ربه: « اللَّهُمَّ رَبَّ جِبْرَائِيلَ وَمِيكَائِيلَ وَإِسْرَافِيلَ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ اهْدِنِي لِمَا اخْتُلِفَ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِكَ إِنَّكَ تَهْدِي مَنْ تَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ». (١).

إن المسلم مهما بلغت منزلته في العبادة، لا يأمن على نفسه الفتنةَ، والتأثرَ بالآراء المضلّة،

لذا ينبغي أن يسأل اللَّه دائماً الثباتَ على طاعته، كما كان يدعو سيدُ الخلق ـ ﷺ ـ بذلك فيقول: «اللَّهُمَّ مُصَرِّفَ الْقُلُوبِ(٢) صَرِّفْ قُلُوبَنَا عَلَى طَاعَتِكَ»(٣).

إن النجاة من الفتن إنما يكون بالتمسُّك بالكتاب والسنّة، وهذا مستمرٌّ إلى يوم القيامة؛ لأن أهمَّ ما ينجي المسلم من الفتن:طاعته للَّه تعالى ولرسوله ﷺ ـقال تعالى:﴿وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا﴾ [النور: ٥٤].

وختاماً:

فإني لَأحمَدُ اللَّه تعالى حقَّ حمده على نعمه التي لا تعدُّ ولا تحصى، وأشكره حقَّ شكره على ما منَّ به ويسَّر وأعان على الكتابة في هذا الموضوع، وأسأله سبحانه وهو خير مسؤول أن يجعل عملي هذا خالصاً لوجهه الكريم، وأن يجعله من العلم النافع الذي لا ينقطع بانقطاع العمر، وأن يعفوَ سبحانه عن التقصير والقصور.

كما أسأله سبحانه وتعالى أن ينفع بهذا الموضوع كلَّ من قرأه، وأن يوفق علماء

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه واللفظ له باب الدعاء في صلاة الليل برقم ٧٧٠، وأبو داود في السنن باب ما يستفتح به الصلاة من الدعاء برقم ٧٦٧ وسكت عنه، والنسائي في الكبرى باب ما يُستفتح به صلاة الليل، والترمذي في السنن باب ما جاء في الدعاء عند افتتاح الصلاة، برقم ٣٤٢٠ وقال:حديث حسن غريب، وابن ماجة في السنن باب ما جاء في الدعاء، وأحمد في المسند ٤٢/ ١٢٧. الحكم على الحديث:صحيح.

(٢) مصرف القلوب: أي أن اللَّه سبحانه يتصرف في قلوب عباده بما شاء لا يمتنع عليه شيء منها. (ابن حجر، فتح الباري ١٣/ ٣٧٧).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه واللفظ له في باب تصريف اللَّه القلوب، وانظر بقية التخريج في ص ٣٢. الحكم على الحديث: صحيح.

المسلمين ويعينَهم على تبليغ رسالة اللَّه إلى عباد اللَّه.

غداً سيُسـأل كلٌّ عن رعيتِهِ فما جوابُكمُ يا معشر العُلما
هذا بلاغٌ فيا قومِ اسمعوه وعُوا ويرحم اللَّهُ من أوعاه معتزما
ثم السلامُ على من لاذَ متَّبعًا هَدْيَ النبيِّ بحبل اللَّه معتصما[(١)]

ولْتذكر قول رسول اللَّه ـ ﷺ ـ: «يَا عِبَادَ اللَّهِ، فَاثْبُتُوا» [(٢)].

﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ [آل عمران: ٨]،

والحمدُ للَّه ربِّ العالمين.

***

(١) للأديب أحمد الجيتكير، مجلة المنار، العدد ٤/ ٧٤٩ سنة ١٩٠١م، ألقيت هذه القصيدة في الاحتفال الثامن لجمعية ندوة العلماء الهندية المخصوصة بعلماء الدين.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه في باب ذكر الدجال. (وانظر بقية التخريج في ص ٧٣). الحكم على الحديث: صحيح.

فهرس المصادر والمراجع

_أبادي، محمد أشرف: عون المعبود شرح سنن أبي داود ومعه حاشية ابن القيم، بيروت، دار الكتب العلمية، ط٢، ١٤١٥هـ١٩٧٩م

_ابن أبي أسامة، أبو محمد الحارث بن محمد بن داهر التميمي البغدادي الخصيب: بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث، المدينة المنورة، مركز خدمة السنة والسيرة النبوية، ط١، ١٩٩٢م

_ابن أبي الدنيا، أبو بكر عبداللَّه بن محمد: إصلاح المال، بيروت، مؤسسة الكتب الثقافية، ط١، ١٩٩٣م؛ الصبر والثواب عليه، بيروت، دار ابن حزم، ط١، ١٩٩٧م .

_ابن أبي زمنين، أبو عبداللَّه محمد بن عبداللَّه: أصول السنة، المدينه المنوره، مكتبة الغرباء الأثرية، ط١، ١٤١٥هـ

_ابن أبي عاصم، أبو بكر أحمد بن عمرو: الآحاد والمثاني، الرياض، دار الراية، ط١، ١٩٩١م

_ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد الشيباني الجزري: أسد الغابة في معرفة الصحابة، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٩٩٤م؛

_ابن الأثير، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد الشيباني الجزري: النهاية في غريب الحديث، بيروت، المكتبة العلمية، ط

_ابن باديس، عبد الحميد محمد: تفسير ابن باديس في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٩٥م .

_ابن بطال، أبو الحسن علي بن خلف: شرح صحيح البخاري، السعودية، مكتبة الرشد، ط٢، ٢٠٠٣م

_ ابن بطة، أبو عبداللَّه عبيد اللَّه بن محمد: الإبانة الكبرى، الرياض، دار الراية للنشر، ط٢، ١٩٩٤م

_ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس: الاستقامة، المدينة المنورة، جامعة الإمام محمد بن سعود، ط١، ١٤٠٣هـ؛ الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، السعودية، دار العاصمة، ط٢، ١٩٩٩م؛ الحسبة، ط٢، ٢٠٠٧م، بدون دار نشر؛ الفتاوى الكبرى، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٩٨٧م؛ مجموع الفتاوى، السعودية، دار الوفاء، ط٣، ٢٠٠٥م/ وط. مجمع الملك فهد، ط٣، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م؛ منهاج السنّة النبوية في نقض كلام الشيعة القدريه، السعودية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط١، ١٩٨٦م

_ابن الجعد، علي بن الجعد: المسند، بيروت، مؤسسة نادر، ط١، ١٩٩٠م

_ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي الجوزي: كشف المشكل من حديث الصحيحين، الرياض، دار الوطن، (بدون تاريخ)؛ صيد الخاطر، دمشق، دار القلم، ط١، ٢٠٠٤م.

_ابن حبان، محمد بن حبان التميمي الدارمي البستي،: الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٩٨٨م؛ الثقات، الهند، دائرة المعارف العثمانية، ط١، ١٩٧٣م؛ روضة العقلاء ونزهة الفضلاء، بيروت، دار الكتب العلمية (بدون تاريخ)

_ابن حميد، أبو محمد عبد الحميد بن حميد بن نصر الكَسي أو الكشي: المنتخب من مسند عبد بن حميد، القاهرة، مكتبة السنة، ط١، ١٩٨٨م

_ابن حنبل، أبو عبد اللَّه أحمد بن محمد الإمام: الزهد، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٩٩٩م؛ فضائل الصحابة، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٩٨٣م؛ المسند، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط١/ ٢٠٠١م، العلل ومعرفة الرجال، الرياض، دارالخاني،ط٢، ٢٠١٠م.

_ابن حنبل،أبوعبدالرحمن عبداللَّه بن أحمد بن حنبل: السنة، الدمام، دار ابن القيم، ط١، ١٩٨٦م

_ابن خزيمة، أبو بكر محمد بن إسحاق: صحيح ابن خزيمة، بيروت، المكتب الإسلامي (بدون تاريخ)

_ابن دريد، أبو بكر، محمد بن الحسن: جمهرة اللغة، بيروت، دار العلم للملايين، ط١، ١٩٨٧م

_ابن دقيق العيد: إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام، القاهرة، مطبعة السنة المحمدية، بدون تاريخ

_ابن دقيق العيد: إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام، القاهرة، مطبعة السنة المحمدية، بدون تاريخ

_ابن سلام، أبو عبيد القاسم: غريب الحديث، الهند، دائرة المعارف العثمانية، ط١، ١٩٦٤م

_ابن سمعون، أبو الحسين محمد بن أحمد: أمالي ابن سمعون الواعظ، بيروت، دار البشائر الإسلامية، ط١، ٢٠٠٢م

_ابن قتيبة، أبو محمد عبداللَّه بن مسلم: غريب الحديث، بغداد، مطبعة العاني، ط١، ١٣٩٧هـ.

_ابن قدامة: موفق الدين أبو محمد عبد اللَّه المقدسي: روضة الناظر وجنة المناظر،القاهرة،المطبعة السلفية ١٣٩١ هـ

_ابن رجب الحنبلي، زين الدين عبد الرحمن، اختيار الأولى من شرح حديث اختصام الملأ الأعلى، الكويت، مكتبة دار الأقصى، ط١، ١٩٨٥م؛ جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط٧/ ٢٠٠١م؛ روائع التفسير (تفسير ابن رجب الحنبلي)، السعودية، دار العاصمة، ط١، ٢٠٠١م؛ فتح الباري شرح صحيح البخاري، المدينة المنورة، مكتبة الغرباء الأثرية، ط١، ١٩٩٦م؛ كشف الكربة في وصف حال أهل الغربة، القاهرة، الفاروق الحديثة، ط٢، ٢٠٠٣م؛ لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف، بيروت، دار

ابن حزم، ط١، ٢٠٠٤م.

_ابن سعد، أبوعبد اللَّه محمد بن سعد: الطبقات الكبرى،،بيروت،دارالكتب العلمية، ط١، ١٩٩٠م

_ابن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل المرسي: المحكم والمحيط الأعظم، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ٢٠٠٠م

_ابن شبة، عمر بن شبة بن عبيدة: تاريخ المدينة، جدة، على نفقة السيد حبيب محمود، سنة ١٣٩٩هـ.

_ابن أبي شيبة، أبو بكر عبداللَّه بن محمد: المسند، الرياض، دار الوطن، ط١، ١٩٩٧م؛ المصنف في الأحاديث والآثار، الرياض، مكتبة الرشد ط١، ١٤٠٩هـ

_ابن الأعرابي، أبو سعيد أحمد بن عمر: المعجم، السعودية، دار ابن الجوزي، ط١، ١٩٩٧م.

_ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد اللَّه النمري القرطبي: الاستذكار، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ٢٠٠٠م؛ التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، المغرب، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، نشر سنة ١٣٨٧هـ؛ جامع بيان العلم وفضله، السعودية، دار ابن الجوزي، ط١/ ١٩٩٤م.

_ابن القيم الجوزيه، أبو عبد اللَّه محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين: إعلام الموقعين عن رب العالمين، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٩٩١م؛ إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، الرياض، مكتبة المعارف، (بدون تاريخ)؛ جلاء الأفهام في فضل الصلاة على محمد خير الأنام، الكويت، دار العروبة، ط٢، ١٩٨٧م؛ الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، المغرب، دار المعرفة، ط١، ١٩٩٧م؛ الروح، بيروت، دار الكتب العلمية، بدون تاريخ؛ زاد المعاد في هدي خير العباد، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط٢٧، ١٩٩٤م؛ طريق الهجرتين وباب السعادتين، مصر، دار السلفية، ط٢/ ١٣٩٤هـ؛ عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين، دمشق، دار ابن كثير، ط٣،

١٩٨٩م؛ مدراج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، بيروت، دار الكتاب العربي، ط٣، ١٩٩٦م، بدائع الفوائد،بيروت،دار الكتاب العربي،بدون تاريخ.

_ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر: تفسير القرآن العظيم، بدون تاريخ، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٩هـ ،البداية والنهاية، دارهجر للطباعة والنشر،ط١، ٢٠٠٣م.

_ابن ماجه، أبو عبد اللَّه محمد بن يزيد القزويني: سنن ابن ماجه، القاهرة، دار إحياء الكتب العربية، (بدون تاريخ).

_ابن المبارك، أبو عبد الرحمن عبداللَّه بن المبارك: الزهد والرقاق، بيروت، دار الكتب العلمية (بدون تاريخ)؛ المسند، الرياض، مكتبة المعارف، ط١.

_ابن الملقن، سراج الدين أبو حفص: تحفة المحتاج إلى أدلة المنهاج، مكة المكرمة، دار حراء، ط١، ١٤٠٦هـ؛ طبقات الأولياء، القاهرة، مكتبة الخانجي، ط٢، ١٩٩٤م

_ابن منده، أبو عبد اللَّه محمد بن إسحاق العبدي: كتاب الإيمان، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤٠٦هـ

_ابن منظور، محمد بن مكرم: لسان العرب، بيروت، دار صادر، ط٣، ١٤١٤هـ؛ مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر، دمشق، دار الفكر، ط١، ١٩٨٤م

_ابن مهنا، أبو علي عبد الجبار بن عبداللَّه الخولاني: تاريخ داريا، دمشق، مطبعة البرقي، ١٩٥٠م

_ابن الهمام، كمال الدين محمد بن عبدالواحد:شرح فتح القدير على الهداية،القاهرة، مطبعة مصطفى الحلبي، (بدون تاريخ).

_ابن وضاح، أبو عبداللَّه محمد بن وضاح: البدع والنهي عنها، القاهرة، مكتبة ابن تيمية، ط١، ١٤١٦هـ

_أبو داود،سليمان بن الأشعث السجستاني: الزهد، حلوان، دار المشكاة، ط١،

١٩٩٣م؛ السنن، بيروت، المكتبة العصرية (بدون تاريخ) .

_أبو يعلى، أحمد بن علي: المسند، دمشق، دار المأمون للتراث، ط١، ١٩٨٤م

_الآجري، أبو بكر محمد بن الحسين: الشريعة، الرياض، دار الوطن، ط٢، ١٩٩٩م

_الأنباري، محمد بن القاسم أبو بكر: الزاهر في معاني كلمات الناس، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٩٩٢م

_الإشبيلي، عبد الحق بن عبدالرحمن: الأحكام الشرعية الكبرى، الرياض، مكتبة الرشد، ط١، ٢٠٠١م .

_الأصبهاني أبو نعيم، أحمد بن عبداللَّه: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، مصر، مكتبة السعادة، ١٩٧٤م

_الألباني، أبو عبدالرحمن محمد ناصر الدين: التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان وتمييز سقيمه من صحيحه وشاذه من محفوظه، السعودية، دار باوزير للنشر، ط١، ٢٠٠٣م؛ وسلسلة الأحاديث الصحيحة، الرياض، مكتبة المعارف، ١٩٩٥م. والجامع الصغير وزيادته. وصحيح وضعيف سنن الترمذي، ،الإسكندريه،مركز نور الإسلام لأبحاث القرآن والسنة، وصحيح وضعيف سنن النسائي، ،الإسكندريه،مركز نور الإسلام لأبحاث القرآن والسنة،(بدون تاريخ)

_الأنباري، محمد بن القاسم أبو بكر: الزاهر في معاني كلمات الناس، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٩٩٢م

_الأنصاري، زكريا بن محمد: الغرر البهية في شرح البهجة الوردية، المطبعة الميمنية، بدون تاريخ

_البخاري، محمد بن إسماعيل: الأدب المفرد، بيروت، دار البشائر الإسلامية، ط٣، ١٩٨٩م؛ ؛الصحيح الجامع،بيروت، دار طوق النجاة، ط١/ ١٤٢٢هـ،التاريخ الأوسط،،القاهره، مكتبة دارالتراث،ط١، ١٩٧٧م.

_البزار، أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبدالخالق: المسند، المدينة المنورة، مكتبة العلوم والحكم، ط١، ٢٠٠٩م

_البسام، أبو عبد الرحمن، عبداللَّه بن عبدالرحمن: تيسير العلام شرح عمدة الأحكام، القاهرة، مكتبة الصحابة، ط١٠، ٢٠٠٦م

_البوصيري، أبو العباس شهاب الدين: إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة، الرياض، دار الوطن للنشر، ط١/ ١٩٩٩م؛ مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه، بيروت، دار العربية، ط٢، ١٤٠٣هـ

_البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين: الآداب، بيروت، مؤسسة الكتب الثقافية، ط١، ١٩٨٨م؛ إثبات عذاب القبر، الأردن، دار الفرقان، ط٢، ١٤٠٥هـ؛ الأسماء والصفات، جدة، مكتبة السوادي، ط١، ١٩٩٣م؛ السنن الكبرى، بيروت، دار الكتب العلمية، ط٣، ٢٠٠٣م؛ شعب الإيمان، الرياض، مكتبة الرشد، ط١، ٢٠٠٣م؛ المدخل إلى علم السنن، القاهرة، دار اليسر، ط١، ٢٠١٧م؛ المدخل إلى السنن الكبرى، الكويت، دار الخلفاء للنشر، بدون تاريخ؛ معرفة السنن والآثار، دمشق، دار قتيبة، ط١، ١٩٩١م،الدعوات الكبير،الكويت،غراس للنشر،ط١، ٢٠٠٩م.

_التبريزي، محمد بن عبداللَّه: مشكاة المصابيح، بيروت، المكتب الإسلامي، ط٣، ١٩٨٥م.

_الترمذي، محمد بن عيسى: الجامع الكبير_سنن الترمذي، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٨م.

_التستري، أبو محمد سهل بن عبداللَّه: تفسير التستري، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢٣هـ

_تمام، أبو القاسم تمام بن محمد البجلي الرازي الدمشقي: الفوائد، الرياض، مكتبة الرشيد، ط١، ١٤١٢هـ

_الثعالبي، أبو زيد عبدالرحمن بن محمد: الجواهر الحسان في تفسير القرآن،

بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط١، ١٤١٨هـ .

_الجيتكير، أحمد: الميمية، مجلة المنار، العدد ٤/ ٧٤٩ سنة ١٩٠١م

_الحاكم، أبو عبد اللَّه محمد بن عبداللَّه النيسابوري: المستدرك على الصحيحين، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١/ ١٩٩٠م

_الحربي، إبراهيم بن إسحاق: غريب الحديث، مكة المكرمة، جامعة أم القرى، ط١، ١٤٠٥هـ

_الحكيم الترمذي، محمد بن علي: نوادر الأصول في أحاديث الرسول ـ ﷺ ـ بيروت، دار الجيل، (بدون تاريخ)

_الحُمَيدي، أبو بكر عبد اللَّه بن الزبير القرشي الأسدي الحميدي المكي: المسند، سوريا، دار السقا، ط١، ١٩٩٦م

_الحَمِيدي، محمد بن فتوح الأزدي الميورقي أبو عبد اللَّه بن أبي نصر: تفسير غريب ما في الصحيحين: البخاري ومسلم، القاهرة، مكتبة السنة، ط١، ١٩٩٥م .

_الحنبلي، محمد بن مفلح:الآداب الشرعية والمنح المرعية ،القاهرة،عالم الكتب،بدون تاريخ.

_الحنبلي، منصور بن يونس: كشاف القناع عن متن الإقناع، بيروت، دار الكتب العلمية، بدون تاريخ

_الحنفي، محمد عبد الغني: إنجاح الحاجة شرح سنن ابن ماجه، نشر كراتشي، قديمي كتب خانه، سنة ١٢٧٣هـ.

_الخرائطي، أبو بكر محمد بن جعفر: مكارم الأخلاق ومعاليها، القاهرة، دار الآفاق العربية، ط١، ١٩٩٩م .

_الخطابي، أبو سليمان حمد بن محمد: العزلة، القاهرة، المطبعة السلفية ط٢، ١٣٩٩هـ؛ غريب الحديث، مصر، دار الفكر، ط سنة ١٩٨٢م؛ معالم السنن، حلب، المطبعة العلمية، ط١، ١٩٣٢م

_الخلال، أبو بكر أحمد بن محمد: السنّة، الرياض، دار الراية، ط١، ١٩٨٩م

_الدارقطني، أبو الحسن علي بن عمر: السنن، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط١، ٢٠٠٤م؛ العلل الواردة في الأحاديث النبوية، الدمام، دار ابن الجوزي، ط١، ١٤٢٧هـ/ والرياض، دار طيبة، ط١، ١٩٨٥م

_الدارمي، أبو محمد عبداللَّه بن عبدالرحمن: السنن؛ (المسند)، السعودية، دار المغني للنشر، ط١، ٢٠٠٠م

_الدامغاني،أبوعبداللَّه الحسين بن محمد،الوجوه والنظائر لألفاظ كتاب اللَّه العزيز، تحقيق عربي عبد الحميد علي، بيروت، دارالكتب العلمية ،بدون تاريخ.

_الداني، أبو عمرو عثمان بن سعيد: السنن الواردة في الفتن وغوائلها والساعة وأشراطها، الرياض، دار العاصمة، ط١، ١٤١٦هـ

_الدورقي، أبو عبداللَّه أحمد بن إبراهيم: مسند سعد بن أبي وقاص، بيروت، دار البشائر الإسلامية، ط١، ١٤٠٧هـ

_الذهبي، شمس الدين أبو عبد اللَّه محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ط١، ٢٠٠٣م؛ سير أعلام النبلاء،بيروت،مؤسسة الرساله، ط.٣، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م؛ الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة،جده، دار القبلة للثقافة الإسلامية ، جدة، ط.١، ١٤١٣هـ- ١٩٩٢م.

_الرازي،أبوالفضل عبد الرحمن بن أحمد،فضائل القرآن وتلاوته،بيروت،دار البشائر الإسلامية،ط ١، ١٩٩٤م.

_الرازي، أحمد بن فارس القزويني: معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبدالسلام محمد، بيروت، دار الفكر، ط سنة ١٩٧٩م

_الرازي، فخر الدين أبو عبد اللَّه محمد بن عمر الرازي : مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط٣، ١٤٢٠هـ.

_الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد: تفسير الراغب، القاهرة، جامعة طنطا، كلية الآداب، ط١، ١٩٩٩م ، المفردات في غريب القرآن، دمشق،دار القلم، ط١، ١٤١٢هـ.

_رضا، محمد رشيد: تفسير المنار، مصر، الهيئة العامة للكتاب، ط١٩٩٠م

_الرملي، شمس الدين محمد بن أبي العباس: غاية البيان، شرح زيد بن رسلان، بيروت، دار المعرفة، بدون تاريخ

_الروياني، أبو بكر محمد بن هارون: المسند، القاهرة، مؤسسة قرطبة، ط١، ١٤١٦هـ

_الزبيدي، أبو الفيض محمد: تاج العروس من جواهر القاموس، الرياض، دار الهداية (بدون تاريخ)

_الزرقاني، محمد بن عبدالباقي: شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك، القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية، ط١، ٢٠٠٣م

_آل زهوي، أبو عبد اللّه الداني بن منير آل زهوي: سلسلة الآثار الصحيحة من أقوال الصحابة والتابعين، مصر، دار الفاروق للنشر، ط١، ٢٠٠٣م .

_السخاوي، شمس الدين أبو الخير: المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة، بيروت، دار الكتاب العربي، ط١/ ١٩٨٥م .

_السفيري، شمس الدين محمد: المجالس الوعظية في شرح أحاديث خير البرية ـ ﷺ ـ من صحيح الإمام البخاري، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ٢٠٠٤م

_السندي، محمد عبدالهادي أبو الحسن نور الدين: حاشية مسند الإمام أحمد بن حنبل، نشر وزارة الأوقاف القطرية، ط١، ٢٠٠٨م،حاشية السندي على سنن ابن ماجه، بيروت، دار الجيل ،ط٢، (بدون تاريخ).

_سيد قطب، إبراهيم حسين :في ظلال القرآن، بيروت، دار الشروق، ط١٧، ١٤١٢هـ

_السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن: حاشية السيوطي على سنن النسائي، حلب، مكتبة المطبوعات الإسلامية، ط٢/ ١٩٨٦م؛ الديباج على صحيح مسلم بن الحجاج، (شرح السيوطي)، السعودية، دار ابن عفان، ط١، ١٩٩٦م؛ شرح الصدور بشرح أحوال الموتى والقبور، بيروت، دار المعرفة، ط١، ١٩٩٦م.

_الشاطبي، إبراهيم بن موسى: الاعتصام، السعودية، دار ابن عفان، ط١/ ١٩٩٢م

_الشافعي، أبو الحسين يحيى بن أبي الخير: البيان في مذهب الإمام الشافعي، جدة، دار المنهاج، ط١، ٢٠٠٠م

_الشافعي، أبو عبداللَّه محمد بن إدريس: الأم، بيروت، دار المعرفة، سنة ١٩٩٠م

_الشافعي، عبد الرحمن بن نصر: المنهج المسلوك في سياسة الملوك، الأردن، مكتبة المنار، بدون تاريخ

_الشافعي، محمد علي علان: دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، بيروت، دار المعرفة، ط٤، ٢٠٠٤م

_الشوكاني، محمد بن علي: تحفة الذاكرين بعدة الحصن الحصين من كلام سيد المرسلين، بيروت، دار القلم، ط١، ١٩٨٤م؛ نيل الأوطار، مصر، دار الحديث، ط١، ١٩٩٣م.

_الصنعاني، أبوبكر عبد الرزاق بن همام:المصنف، بيروت، المكتب الإسلامي،ط٢، ١٤٠٣هـ.

_الصنعاني، محمد بن إسماعيل: سبل السلام، القاهرة، دار الحديث، بدون تاريخ.

_الضياء المقدسي، أبو عبداللَّه محمد: الأحاديث المختارة، بيروت، دار خضر، ط٣، ٢٠٠٠م

_الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي: الدعاء، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٣هـ؛ مسند الشاميين،بيروت، مؤسسة الرسالة ط١، ١٩٨٤م، ؛ المعجم الصغير (الروض الداني)، بيروت، المكتب

الإسلامي، ط١، ١٩٨٥م؛ المعجم الأوسط، القاهرة، دار الحرمين، بدون تاريخ؛المعجم الكبير،القاهرة،مكتبة ابن تيمية (بدون تاريخ).

_الطبري،أبو جعفر،محمد بن جرير: تاريخ الرسل والملوك (تاريخ الطبري)، بيروت، دار التراث، ط٢، ١٣٨٧هـ؛ جامع البيان في تأويل القرآن، بيروت، مؤسسة الرسالة،ج١، ٢٠٠٠م.

_الطحاوي، أبو جعفر أحمد بن محمد: شرح مشكل الآثار، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤١٥هـ

_الطيالسي، أبو داود سليمان بن داود: المسند، مصر، دار هجر، ط١، ١٩٩٩م

_العبد، محمد، مقال "الاستبصار عند الفتن" مجلة البيان ١٤١١هـ، ١٩٩٠، تصدر عن المنتدى الإسلامي، العدد ٣٢/ ص ٢٤ .

_عبد الحميد، أحمد مختار، معجم اللغة العربية المعاصرة، القاهرة، عالم الكتب، ط١، ٢٠٠٨م

_العثيمين، محمد بن صالح: تعليق مختصر على كتاب لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد، الرياض، مكتبة أضواء السلف، ط٣، ١٩٩٥م؛ شرح رياض الصالحين، الرياض، دار الوطن للنشر، ط ١٤٢٦هـ

_العجلوني،أبو الفداء،إسماعيل بن محمد بن عبد الهادي العجلوني الدمشقي،: كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس، بيروت، المكتبة العصرية، ط١، ٢٠٠٠م، الرياض، مكتبة المعارف، ط١، ٢٠٠٧م .

_العراقي، أبو الفضل زين الدين عبد الرحيم: طرح التثريب في شرح التقريب، القاهرة، دار الفكر العربي، (بدون تاريخ)؛ المغني عن حمل الأسفار في الأسفار: الرياض، دار العاصمة للنشر، ط١، ١٩٨٧م/ وبيروت، دار ابن حزم، ط١، ٢٠٠٥م

_العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر: الإصابة في تمييز الصحابة، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٥هـ؛ بلوغ المرام من أدلة

الأحكام، الرياض، دار الفلق، ط٧، ١٤٢٤هـ؛ تقريب التهذيب، سوريا، دار الرشيد ط١، ١٩٨٦م؛ تهذيب التهذيب، الهند، دائرة المعارف العثمانية، ط١، ١٣٢٦هـ؛ نتائج الأفكار في تخريج أحاديث الأذكار، بيروت، دار ابن كثير، ط٢، ٢٠٠٨م ،فتح الباري شرح صحيح البخاري،بيروت،دار المعرفه،١٣٧٩ه،تغليق التعليق على صحيح البخاري،بيروت،المكتب الإسلامي ط١، ١٤٠٥ه.

_العيني، بدر الدين: عمدة القاري شرح صحيح البخاري، بيروت، دار إحياء التراث العربي (بدون تاريخ) .

_الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد بن محمد، إحياء علوم الدين، بيروت، دار المعرفة، بدون تاريخ .

_الفراهيدي، الخليل بن أحمد: كتاب العين، القاهرة، دار الهلال، بدون

_الفريابي، أبو بكر جعفر بن محمد: كتاب القدر، بيروت، أضواء السلف ، ط١، ١٩٩٧م.

_الفيروزآبادي،أبو طاهر مجد الدين محمد، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، القاهرة، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي،١٤١٢ه،١٩٩٢

_القاري علي بن (سلطان) محمد، أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري: مرقاة المفاتيح، بيروت، دار الفكر، ط١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م .

_القاضي، عياض بن موسى أبو الفضل: مشارق الأنوار على صحاح الآثار، القاهرة، دار التراث (بدون تاريخ)

_القرطبي، أبو العباس، أحمد بن عمر بن إبراهيم: المفهم لما أُشكل من تلخيص كتاب مسلم، دمشق، دار ابن كثير، ط١، ١٩٩٦م

_القرطبي، أبو عبداللَّه محمد بن أحمد: الجامع لأحكام القرآن، (تفسير القرطبي)، القاهرة، دار الكتب المصرية، ط٢، ١٩٦٤م ،التذكرة بأحوال الموتى وأمور

الآخرة، الرياض، دار المنهاج،ط١، ١٤٢٥ه.

_القرطبي، أبو محمد علي بن أحمد: الفصل في الملل والأهواء والنحل، القاهرة، مكتبة الخانجي، بدون تاريخ

_القرطبي، أبو الوليد سليمان بن خلف بن سعد التجيبي القرطبي الباجي الأندلسي: المنتقى شرح الموطأ، القاهرة، دار الكتاب الإسلامي، ط١، ١٣٣٢هـ

_القسطلاني، أحمد بن محمد: إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، مصر، المطبعة الكبرى، ط٧، ١٣٢٣هـ.

_القشيري، عبد الكريم بن هوازن: لطائف الإشارات، (تفسير القشيري)، مصر، الهيئة العامة للكتاب، ط٣، بدون تاريخ

_القضاعي، أبو عبداللَّه محمد بن سلامه: مسند الشهاب، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٩٨٦م.

_الكتاني، أبو عبداللَّه محمد بن أبي الفيض: نظم المتناثر من الحديث المتواتر، مصر، دار الكتب السلفية، ط٢، بدون تاريخ .

_الكناني، نور الدين علي بن محمد: تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأخبار الشنيعة الموضوعة، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٣٩٩هـ

_الماتريدي، محمد بن محمد: تأويلات أهل السنة (تفسير الماتريدي)، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ٢٠٠٥م

_مالك، ابن أنس: الموطأ، بيروت، دار إحياء التراث العربي ط سنة ١٩٨٥م.

_الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد: النكت والعيون (تفسير الماوردي)، بيروت، دار الكتب العلمية، بدون تاريخ

_المباركفوري،: أبو العلا محمد بن عبد الرحمن: تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، بيروت، دار الكتب العلمية (بدون تاريخ)

_المباركفوري،:أبو الحسن عبيداللَّه بن محمد: مرعاة المفاتيح شرح مشكاة

المصابيح، الهند، نشر إدارة البحوث العلمية، ط٣، ١٩٨٤م

_المتقي الهندي، علاء الدين: كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط٥، ١٩٨١م

_المخلص، محمد بن عبد الرحمن: المخلصيات وأجزاء أخرى لأبي طاهر المخلص، قطر، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ط١، ٢٠٠٨م

_المراغي، أحمد مصطفى: تفسير المراغي، القاهرة، مطبعة الحلبي، ط١، ١٩٤٦م

_المروزي، أبو عبداللَّه محمد بن نصر: تعظيم قدر الصلاة، المدينة المنورة، مكتبة الدار، ط١، ١٤٠٦هـ؛ السنّة، بيروت، مؤسسة الكتب الثقافية، ط١، ١٤٠٨هـ ،مختصر قيام الليل وقيام رمضان وكتاب الوتر،باكستان،حديث أكاديمي فيصل أباد،ط١، ١٩٨٨م.

_المزي، يوسف بن عبدالرحمن: تهذيب الكمال في أسماء الرجال، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٩٨٠م

_مسلم، ابن الحجاج: المسند الصحيح،-صحيح مسلم- بيروت، دار إحياء التراث العربي (بدون تاريخ) .

_المظهري، محمد ثناء اللَّه: التفسير المظهري، باكستان، مكتبة الرشدية، ١٤١٢هـ

_معمر، ابن أبي عمرو راشد: الجامع، بيروت، المكتب الإسلامي، ط٢، ١٤٠٣هـ

_مغلطاي، أبو عبداللَّه مغلطاي بن قليج الحنفي: إكمال تهذيب الكمال في أسماء الرجال، القاهرة، الفاروق الحديثة، ط١، ٢٠٠١م

_المناوي، زين الدين محمد: التيسير بشرح الجامع الصغير، الرياض، مكتبة الإمام الشافعي، ط٣، ١٩٨٨م؛ فيض القدير شرح الجامع الصغير، مصر، المكتبة التجارية الكبرى، ط١، ١٣٥٦هـ

_المنذري، عبد العظيم بن عبد القوي: الترغيب والترهيب من الحديث الشريف،

بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٧هـ

_الموصلي، عبداللَّه بن محمود الحنفي: الاختيار لتعليل المختار، بيروت، دار الكتب العلمية، ط سنة ١٩٣٧م.

_النسائي، أبو عبدالرحمن أحمد بن شعيب: الإغراب، المدينة المنورة، دار المآثر، ط١، ٢٠٠٠م؛ السنن الكبرى، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط١، ٢٠٠١م، السنن الصغرى، حلب، مكتب المطبوعات الإسلامية،ط٢، ١٩٨٦م.

_نعيم، ابن حماد أبو عبداللَّه: الفتن، القاهرة، مكتبة التوحيد، ط١، ١٤١٢هـ.

_النووي، أبو زكريا محيي الدين: الأذكار، بيروت، دار الفكر، ١٩٩٤م؛ التبيان في آداب حملة القرآن، بيروت، دار ابن حزم، ط٣، ١٩٩٤م؛ المجموع شرح المهذب، القاهرة، دار الفكر (بدون تاريخ)؛ المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط٢، ١٣٩٢هـ.

_النيسابوري، محمد بن الحسين: طبقات الصوفية، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٩٩٨م.

_الهيثمي،أبو الحسن نور الدين علي: مجمع الزوائد ومنبع الفوائد،القاهرة،مكتبة القدسي١٩٩٤م

_الهيثمي، أحمد بن محمد: تحفة المحتاج في شرح المنهاج، بيروت، دار إحياء التراث العربي، نشر سنة ١٩٨٣م

_الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد: الوسيط في تفسير القرآن المجيد، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٩٩٤م

_الوخشي، أبو علي الحسن بن علي: الخامس من الوخشيات، مخطوط نشر على موقع الشبكة الإسلامية، الطبعة الأولى ٢٠٠٤م

_وكيع، أبو سفيان وكيع بن الجراح: الزهد، المدينة المنورة، مكتبة الدار، ط١، ١٩٨٤م

فهرس الموضوعات

المقدمه ٧٥٤
تمهيد:الفتنة معناها وأنواعها ٧٦٤
المخرج من الفتن ٧٦٨
التوجيهات النبويه :الدعاء ٧٧٧
اعتزال الفتنة وملابساتها ٧٩١
كف اللسان في الفتنة ٨١٠
التأني والتؤدة ٨١٦
الصبر في الفتن ٨٢٠
الإكثار من العبادة وقت الفتن ٨٣٠
مغادرة مواقع الفتن ٨٣٨
تجنب مواجهة الفتنة بفتنة أخرى ٨٤٦
سؤال أهل العلم في الفتن ٨٤٨
الارتباط بالقرآن الكريم للنجاة من الفتن..... ٨٥٢
الخاتمة ٨٦٧
فهرس المراجع ٨٧٩
فهرس الموضوعات..... ٨٩٥

***

رابعًا: قسم الدعوة